



عَائِصُ بْنُ عَثَمَةَ الْقَرْنِي

طَارَ أَبْنَى دَرْمَ

سِيَاطُ الْقُلُوبِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سِيَاطُ الْقُلُوبَ

عَائِضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَرْنِي

طَارَابُنْ دَزْمَ

جَمِيعَ الْحَقُوقِ مُحْفَظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٣ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

طَارَ أَبْنُ حَذْرَمَ لِلطبَاعَةِ وَالنَّسْخَةِ وَالتَّوزِيعِ

بَيْرُوتُ - لَبَّانَ - قَبْ: ١٤/٦٣٦٦ - تَلْفُونُ: ٧٠١٩٧٤

الرقائق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرْرِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيٌّ لَّهُ.

وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيرًا.
أَمَّا بَعْدُ . . .

قال البخاري في صحيحه: (كتاب الرقائق) والرقائق هي ما يررق القلوب، وقد يُطلق عليها: الرقاق.

ثم قال: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ».

وعن أنس عن النبي ﷺ قال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأصلاح الأنصار والهجارة».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه وأرضاه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في الخندق وهو يحفر ونحن ننقل التراب وبصرنا ﷺ فقال: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والهجارة».

هذه الأحاديث الثلاثة هي مدار حديثنا إن شاء الله في هذه الرسالة.

لقد مدح الله المُحبّين وذكر سبحانه وتعالى أن كتابه يُلذّين القلوب فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّهَا مَتَّافِنَ نَفَّسَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ مُّمَّ تَلِئُنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿فَتَحَتَّ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في سورة الرعد: ﴿أَلَا يَذِكِّرُ اللَّهُ تَعَظِّمَهُنَّ الْفُلُوبُ﴾ .

وقال في سورة الأنفال: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ أَيْمَنُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ .

وقال في سورة الحديد: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ مَأْمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَنَسِقُونَ﴾ .

من هذا المنطلق أتى أهل العلم من أهل السنة والجماعة فرأوا أن أعظم ما يُلذّين القلب ويدركونه بربه تبارك وتعالى هو كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ. ومن لا يتعظ بالقرآن كما ورد في بعض الآثار فلو تناطحت جبال الدنيا أمام عينيه ما اتعظ، وكفى بالموت واعظاً.

فمن أراد أكبر واعظ في الدنيا فإنه القرآن، فليتعظ بموعظة الله عز وجل.

وما كان عند الصحابة كتب مواعظ ولا رقائق، وإنما كان عندهم كتاب الله عز وجل.

فلما تطاول العهد ومضت القرون وترامت السنون، أتى بعض أهل العلم فرأى أن من المصلحة وضع كتب في الرقائق، لكنها ما أفلحت في ترقيق القلوب وما نجحت ذاك النجاح المطلوب، لأنّه لا يرقق القلوب إلا من خلقها وأبدعها وصوّرها وأوجدها، وهو الله سبحانه وتعالى.

نروح ونغدو لحاجاتنا
نموت مع المرء حاجاته
أشاب الصغير وأفنى الكبير
إذا ليلة هَرَّمت يومها
قال الحسن رحمه الله: يا ابن آدم إنما أنت أيام، إذا ذهب يومك
وتبقى له حاجة ما بقي
كرّ الغداة ومرّ العشي
إذا ليلة هَرَّمت يومها
فقد ذهب بعضك.

وإن كل يوم يشرق على الدنيا يقول: يا ابن آدم اغتنمي فو الله لا
أعود لك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فما نحن إلا أيام وما نحن إلا أنفاس وما أعمارنا إلا سويعات بل
هي أقل من السويعات.

دقّات قلب المرء قائلة له أن الحياة دقائق وثوانٍ
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانٍ
والسؤال: ما هي أكبر نعمة أسدتها الله عز وجل لهذا الإنسان؟
في هذا خلاف بين العقلاة والبلاء والعلماء.

فذهب بعض البلاء إلى أن أفضل نعمة هي الماء البارد.

وقال بعض المفسرين في قوله عز وجل: **﴿ثُمَّ لَتَشَكَّلَ يَوْمَئِذٍ عَنِ الْعَيْمِ﴾** قال: والله لتسألن عن الماء البارد فإنه من أفضل النعم.
وفي حديث في مسند الإمام أحمد حسنـه ابن رجب وأتى به في
كتاب «اختصار الملا الأعلى» أن الرسول ﷺ كان يقول في دعائه:
«اللهم اجعلني أحبك أكثر من حب الماء البارد على الظماء».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما وأرضاهما إذا صام وأتى الإفطار
في المدينة قدموا له الماء البارد فقال: اللهم إني أحبك أكثر من هذا
الماء البارد.

قال بعض النبلاء: أعظم نعمة هي الماء البارد.
وليجرب ذلك من ظمىء.

هل هناك مطلب أو مقصد أعظم من الماء البارد؟
ولذلك دخل ابن السمّاك الوعاظ الكبير التّحرير الشهير على
هارون الرشيد فلما جلس عنده قال هارون الرشيد له: أينا أزهد يا ابن
السمّاك أنا أم أنت؟ وهو يعلم أن ابن السمّاك أزهد منه.
قال ابن السمّاك: أنت يا هارون الرشيد أزهد مني.

قال: ولم؟

قال: لأنك زهدت في الآخرة التي يقول فيها الله: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧)، وأنا زهدت في الدنيا وهي فانية.

فالذى يزهد في الذهب أعظم من الذى يزهد في الخشب.
قال: صدقت.

فلما أتى بالماء ليشرب هارون قال ابن السمّاك: أسألك بالله لا
شرب حتى أحدثك.

قال: وماذا تحدثني؟

قال: لو منعت هذه الشربة على أن تدفع نصف ملوك أتدفعه؟
قال: نعم وربى.
وصدق.

فلما شرب قال له: لو منعت إخراج هذا الماء الذي شربته
بنصف ملوك أتدفعه؟

قال: نعم وربى.

قال: ملك لا يساوي شربة من الماء ليس بملك !!

وقال بعض النبلاء: بل أعظم نعمة هي نعمة الحياة، قال سبحانه وتعالى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُسْتَكِنُمُ ثُمَّ يُجْهِيَكُمْ»، وقال سبحانه وتعالى: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعَادَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»  . فذكر الله نعمة الحياة.

وقال قوم: بل هي نعمة الصحة، فإن الصحة لا يذكرها إلا المريض إذا مرض.

وفي أثر قدسي: أن الله سبحانه وتعالى إذا أمرض العبد يقول: وعزّتي وجلالي لا أمرض مؤمناً إلا على خصلتين: إما أن أميته فأغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإما أن أحبيه وأرد له الصحة فأبدلها عظماً خيراً من عظمه، أو لحماً خيراً من لحمه، ودمًا خيراً من دمه.

وذكر عَزِيزُهُ فيما صحّ عنه أن الله عز وجل يحاسب عبده يوم القيمة فيقول: «الْمُ أَصَحَّ بِدُنْكَ»^(١). فنعمة الصحة من أجل النعم.

وقال قوم وكأنه الصحيح: أعظم نعمة هي نعمة الإيمان وهذا ما يميل إليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

فلا أعظم من نعمة الإيمان كما قال تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثُلُّ فِي الظُّلْمَاتِ لَيَسَّرْ بِخَارِجِ تِنَاهَا» . فالمؤمن حي والكافر ميت، ولو كانوا جميعاً في الحياة يدّيّان.

ولذلك يقول ابن تيمية كما تقرر في مناسبات ما معناه: المؤمن

(١) رواه الترمذى وصححه الألبانى في المشكاة (٥١٩٦).

يُولد مرتين: مرة يوم أتت به أمه، ومرة يوم يولد في الإسلام فيتأدب بآداب الإسلام.

وأما الكافر فليس له إلا ميلاد واحد، ثم هو ميت أبد الدهر.

فنعود بالله من موت القلوب.

يقول ميمون بن مهران: دخلت على عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز وعمره تسعة عشر عاماً فأمسكت عنده ليلة من الليالي وكان صالحاً.

قال بعض أهل العلم: وهو أصلح من أبيه.

وقالوا: إنما تعلم عمر بن عبدالعزيز العبادة من عبادة ابنه عبدالملك هذا.

قال: فتركتني حتى رأى أنني نمت ثم توضأ وأنا ألمح إليه في ليلة شاتية ثم قام يصلي.

قال: فسمعته والله يبكي حتى كادت أصواته تختلف وهو يردد قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَعَنَّاهُمْ سِينَنٌ﴾   *ثُرَّ جَاهَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ*  .

قال: فتحركت وتنحنت.

فلما سمعني سكت فما سمعت بكاءه.

وهذه الآية من أعظم الزواجر في كتاب الله عز وجل.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك»^(١)، أو كما قال عليه السلام. رواه الترمذى وحسنه.

(١) رواه الحاكم (٤/٣٠٦).

وفي الترمذى أنه كان يقول ﷺ: «بادروا بالأعمال سبعاً»، ثم ذكرها عليه الصلاة والسلام.

وفي الترمذى أن الرسول ﷺ كان يقول: «لن تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع - فذكر منها - عمره فيما أبلغه».

وأعظم ما مُنِي به المسلمون هو فوات أوقاتهم، فإن أرخص الأوقات والدماء هي أوقات ودماء المسلمين.

لقد غلت الدماء وغلت الأوقات إلا عند المسلمين - إلا من رحم الله - فإنها رخصة جداً، وليس لهم حل إلا أن يرجعوا ويعودوا إلى الله تبارك وتعالى.

قال ابن القيم في «زاد المعاد»: كان رسول الله ﷺ أحفظ الناس لوقته فكانت أنفاسه ذكرأ، وكلامه ذكرأ، ونظره ذكرأ، ومشيه ذكرأ، وجلوسه وقيامه ونومه ذكرأ منه لربه تبارك وتعالى.

فهو أعبد الناس وأحفظ من حفظ الوقت من الناس عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر أهل العلم طائفة من الصالحين حفظوا أوقاتهم.

ففي ترجمة سهل بن عبد الله التستري أنه لما حضرته الوفاة لقنه ابنه الشهادة فقال: يابني أتلقني الشهادة وأنا في الورد السادس عشر من الأذكار.

أي أنه لم يترك ورده حتى في هذه الساعة.

يُذَكَّرُ بِالْأَوْرَادِ مِنْ كَانَ غَافِلًا فكيف بقلب كل حاله وزد

وفي ترجمته أيضاً عند الذهبي وغيره أنه لما حضرته الوفاة كان

يقرأ حتى بلغ سورة: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

فقال ابنه: ماذا تقول يا أبناه وأنت تتمتم وأنت في سكرات الموت؟

قال: الآن أختتم المصحف.

قال: أتختتم وأنت في سكرات الموت؟

قال: من أحوج مني الآن بالعمل الصالح؟

وذكر في ترجمة أحد المحدثين أنه قال لابنه عند سكرات الموت: يابني أسألك بالله أن لا تعصي الله في هذا البيت، فإنني قد ختمت كتاب الله عز وجل فيه أربعة آلاف ختمة.

وكان خالد بن معدان إذا جلس مع الناس لا تفتر أصابعه ولسانه من ذكر الله عز وجل.

فقيل له: كم تسبح في اليوم؟

قال: اعفوني كفى بذنبي وتقصيري.

قالوا: نسألك بالله أخبرنا كم تسبح؟

قال: مائة ألف تسبححة!

أما كرز بن وبرة فذكر النووي في «التبیان في آداب حملة القرآن» أنه كان يختم القرآن في النهار أربع مرات وفي الليل أربع مرات. ومن شک في هذا فليعد إلى الكتاب حيث نقل ذلك بأسانيد صحيحة.

ونحن لا نوافقه على هذا لأن السنة أولى بالاتباع، وإنما نذكر هذا من باب تبیین حرصهم على الوقت وحرصهم على استثمار الساعات والدقائق، وإنما فإن السنة أن لا يختم العبد القرآن في أقل من ثلاثة وإن ختم في سبع فحسن.

ثم إنه قد يتساءل متسائل: كيف يستطيع أن يختم أربع مرات؟

فنقول: إن الله جعل لبعض الصالحين كرامة، أي بركة في

الوقت، فجعلهم يعملون من الأعمال في ساعات ما لا نستطيع أن نعملها في الأسبوع أو في الشهر، وهذه بركة من الله وكرامة لبعض الأولياء.

فمثلاً كان ابن تيمية يؤلف بعض مصنفاته كالعقيدة الواسطية التي يدرسها العلماء إلى اليوم في وقت قليل، فقد ألفها في جلسة من بعد صلاة الظهر إلى العصر! فلا تعجب.

أما الإمام أحمد رحمة الله رحمة واسعة فإنه لما حضرته الوفاة جلس وترئع وأخذ يقلب كفه ويقول: من أكل من الدنيا فيا أقل ما أكل، ومن صبر على شففها فيا أقل ما صبر.

لقد صبر على الزهد وعاش ثلاثة وستين أو ما يقاربها، فمات أهل النعيم ومات أهل البؤس وذهبوا بأعمالهم إلى الله عز وجل.

ولذلك فإنك إذا نظرت إلى القبور فإنك لا تفرق بين قبر الغني وقبر الفقير.

أتيت القبور فناديتها أين المعظم والمحتر
تفانوا جميعاً فما مخبر ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى فتمحو محسن تلك الصور
فلذلك صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أنس أنه قال: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا» أي من كان يأكل أطيب المطاعم وينكح أجمل الزوجات ويركب أجمل المراكب ويدمي جنبه الحرير ورهيف الديباج.

«فيغمس في جهنم غمضة واحدة ثم يخرج فيقول الله له: هل رأيت نعيمًا قط هل مرّ بك نعيم قط؟
قال: لا والله ما مر بي نعيم قط.

ويؤتى بآباء أهل الأرض الذي مرت به النوايب والأحداث فما

كان يجد كسرة الخبز، قد أنهكته الأمراض والمصائب.

فيغمس في الجنة غمسة. فيقال: هل مر بك بؤس قط؟ فيقول:
لا يا ربى ما مر بي بؤس قط»^(١).

فالمقصود إخلاص العمل لوجه الله - عز وجل - ومعرفة أن هذه الدار ليست بدار.

مر عمر بن عبدالعزيز على نصرانية راهبة فقال لها يستكشف ما عندها: عظيني.

فقالت:

تجرد من الدنيا فإنك إنما أتيت إلى الدنيا وأنت مجرد فأخذ يردد هذا البيت معجباً به.

نعم.. لقد أتى الإنسان إلى الدنيا وهو لا يملك شيئاً من المتعة ولا من الشياطين.

ولذلك يقول الله عز وجل في العبد إذا أخرج من قبره وهو عريان لا يملك من الدنيا شيئاً.

﴿وَلَقَدْ جَنَّتُمُوا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَرْكَشْتُمْ مَا خَوَلَنَّكُمْ وَرَأَةٌ ظَهُورُكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَاعَةٌ كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهِمْ شُرَكَوْا لَقَدْ نَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزَعَّمُونَ﴾^(٢).

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيأ والناس حولك يضحكون سروراً فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً قال أحد الصالحين للربيع بن خثيم: إني أنشد شعراً بعض الأوقات أترنم به فهل ذلك في الذنب أو في الحسنات؟

(١) رواه مسلم.

قال: هو عمرك فافعل فيه ما تشاء.

ولذلك ليس للإنسان إلا عمر واحد.

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها
وذكر صاحب الحلية أبو نعيم أن رابعة العدوية كانت تصلي الليل
كله، فإذا صلت الفجر نامت نومة قليلة ثم استفاقت وقالت: يا نفس
كم تنامين، يوشك أن تنامين نومة طويلة طويلة.

وأثر عن علي رضي الله عنه أنه لما مر على القبور بكى طويلاً
وقال: أما ظواهركم فجميلة، ولكن ليت شعري ما في بواطنكم؟

ولكنهم لم يجيوا.. فهم كما قال المتنبي:

خُرُّشٌ إِذَا نُودِّوا كَأَن لَم يَعْلَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
فَالْمَوْتُ آتٌ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسٌ وَالْمُسْتَعْزِزُ بِمَا لَدِيهِ الْأَحْمَقُ
فَحَفِظُ الْوَقْتَ مِنْ أَجْلِ مَا يَطْلُبُهُ الْمُسْلِمُ.

أما الزهد: فإن العلماء قد اختلفوا في تعريفه.

فهو عند قوم يعني الزهد في الحرام.

فقالوا: من ترك الحرام كل الحرام فهو الزاهد.

واستدلوا على ذلك بحديث حسن عن أبي هريرة قال: قال لي
رسول الله ﷺ: «واتي المحارم تكن أورع الناس»^(١)، والورع والزهد
قرینان.

وقال غيرهم: الزهد هو الزهد في الناس أي أن لا تحب أن
يمدحوك بما ليس فيك.

(١) أخرجه ابن ماجه بلفظ: «كن ورعاً تكن أعبد الناس»، وصححه الألباني في الصحيحة
.(٥٠٦)

لأن بعض الناس يجعل مقاصده مدح الناس وثناء الناس.

فالزهد أن تزهد في مدح الناس وفي ثناء الناس، سواء مدحوك أو ذموك، فإنهم لا يضرون ولا ينفعون.

ولذلك كان الله يقرب هذه الحقيقة في القرآن فيقول: ﴿إِنَّمَا لَنْ يُغْنِي عَنِّكَ مِنَ الْأَنْوَارِ شَيْئًا﴾، ويقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ تُطْعِنْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَنَّا لَكُمْ﴾.

فالمقصود أن مدحهم وذمهم لا يضر ولا ينفع.

قال الفضيل بن عياض: كنت أهتم من كلام الناس حتى عرفت الناس، فما أصبحت ألقى بكلامهم بالأ.

وقيل: الزهد هو الزهد في العلو والرفة.

قال مالك بن دينار: تجد الرجل يزهد في الثوب ولا يزهد في الرفة والعلو.

ولذلك قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَعْدَ مَا لَيْلَةٍ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾.

قال الفضيل: ﴿لَيْلَةٍ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ هو الذي يخرج من بيته في الصباح فلا يلقى مسلما إلا ويرى أنه أحقر منه وأذل منه.

فإنك إن رأيت أنك أحسن من أحد من الناس من المسلمين فقد بغيت علوا في الأرض أو فسادا.

وقال غيره من أهل العلم من الصالحين: الذي يريد العلو في الأرض هو الذي يغضب لنفسه ولا يغضب الله عز وجل.

قال ابن القيم ما معناه: نفسك ليست لك بل عدوة لك، فكيف تغضب لها؟ فالواجب أن تغضب إذا مدحـت لأنها عدوة لك، وترضـى إذا أغضـبت لأنـا عدوـك إذا أغضـب رضـيت.

وأثر عن علي رضي الله عنه وأرضاه أنه كان في غزوة فطارـدـ مشـركـاً يـرـيدـ أنـ يـقـتـلـهـ فيـ سـبـيلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، فـلـمـ اـضـطـجـعـ المـشـركـ عـلـىـ ظـهـرـهـ بـصـقـ فـيـ وـجـهـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ .
فـكـفـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ وـأـشـاحـ بـسـيفـهـ .

فـقـالـ لـهـ الصـحـابـةـ: لـمـ لـمـ تـقـتـلـهـ يـاـ أـبـاـ الـحـسـنـ؟

قـالـ: طـارـدـتـهـ لـأـقـتـلـهـ لـوـجـهـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، فـلـمـ بـصـقـ فـيـ وـجـهـيـ غـضـبـتـ لـنـفـسـيـ فـخـشـيـتـ أـنـ أـقـتـلـهـ مـنـ أـجـلـ نـفـسـيـ .
فـهـلـ هـنـاكـ أـمـةـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـمـةـ؟

قـيـلـ لـطـلـقـ بـنـ حـيـبـ: مـاـ هـيـ التـقـوـىـ؟

قـالـ: هـيـ أـنـ تـعـمـلـ بـنـورـ مـنـ اللهـ تـرـجـوـ رـحـمـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، وـتـخـافـ عـقـابـ اللهـ، هـذـهـ هـيـ التـقـوـىـ كـمـاـ فـعـلـ عـلـىـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ وـعـنـ إـخـوـانـهـ وـأـقـرـانـهـ مـنـ الصـحـابـةـ الـأـطـهـارـ وـجـمـعـنـاـ بـهـمـ فـيـ مـقـدـعـ صـدـقـ عـنـدـ مـلـيـكـ مـقـتـدـرـ .
وـقـيـلـ: الـزـهـدـ أـنـ تـزـهـدـ فـيـمـاـ سـوـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ .

وـلـذـلـكـ لـاـ تـطـلـبـ فـيـ صـبـاحـكـ وـلـاـ فـيـ مـسـائـكـ إـلـاـ رـضـيـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ، فـإـذـاـ رـضـيـ اللهـ عـلـيـكـ فـلـاـ تـبـالـ بـالـنـاسـ .

فـلـيـتـكـ تـحـلـوـ وـالـحـيـاـةـ مـرـيـرـةـ وـلـيـتـكـ تـرـضـيـ وـالـأـنـامـ غـضـابـ
وـلـيـتـ الـذـيـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ عـامـرـ وـبـيـنـيـ وـبـيـنـكـ عـامـرـ
إـذـاـ صـحـ مـنـكـ الـوـدـ فـالـكـلـ هـيـنـ وـكـلـ الـذـيـ فـوـقـ الـتـرـابـ تـرـابـ
قـالـ ابنـ الـقـيـمـ: أـحـسـنـ هـذـاـ كـلـ الـإـحـسـانـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ وـأـسـاءـ
كـلـ الـإـسـاءـةـ حـيـنـ وـجـهـهـاـ لـمـخـلـوقـ مـثـلـهـ .

فإن هذه الأبيات لأبي فراس الحمداني الأمير الشاعر يقولها في ابن عمّه سيف الدولة.

فإذا رضي الله عليك سبحانه وتعالى، فوالله لو غضب عليك أهل الأرض ما نقصوك شيئاً وما ضروك بشيء.

ولذلك فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ومن عقידتهم قوله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١).

أتى عيينة بن حصن الفزارى الغطفانى مع أناس من بني تميم فنادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات وقت القيلولة بصوت مرتفع فقالوا: اخرج يا محمد!

ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: «الآثَرَاتُ أَشَدُ كُفُرًا وَنَفَاقًا وَأَجَدَرُ أَلَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ». وَ

ويقول سبحانه وتعالى: «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ يَنْكُثُ كَذُلَّكُمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»، أي: لا تنادوه بيا محمد بل شرقوه بالرسالة.

فقال عيينة بن حصن لما خرج الرسول ﷺ: يا محمد إن مذحنا زين، وذمنا شيئاً، أي اخرج وإلا ذمناك!! حتى يذمك العرب بذمنا.

فقال ﷺ: «ذاك الله»^(٢)، أي الذي مدحه زين وذمه شين.

وصدق عليه الصلاة والسلام، فإنه تعالى إذا مدح مدح، وإذا

(١) رواه الترمذى بسنده صحيح.

(٢) رواه أحمد (٤٨٨/٣) والترمذى (٣٢٦٨).

رضي رضي، وإذا شانه شيء أو أغضبه شيء فغضبه الذي يحيق بالقوم الماكرين.

فقال الله عز وجل: «إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْمَحْرَرِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ».

انظر إلى أدب القرآن حيث لم يقل: كلهم لا يعقلون لأن فيهم أنساً ليس لهم ذنب: «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَدَقُوا حَقّاً تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» يعني غفر لهم سوء الأدب.

فالمعنى أن بعض الناس يعتقد النفع والضر في المدح أو في الذم من الناس.

ويinsi أن الذي مدحه زين وذمه شين هو الله تبارك وتعالى.
فالواجب على المؤمن أن يدخل في مدحه تبارك وتعالى الذي مدح به الصالحين.

فهل مدح الصالحين في القرآن بقوة الأجسام؟

هل مدح الناس بالعلو في الأرض؟

هل مدح الله عز وجل أحداً بالذكاء وبالفطنة في غير مرضاته؟

بل مدح الله عز وجل الصالحين بثلاثين آية.

قال أهل العلم: من أراد أن يعرض نفسه على القرآن فليعرضها على هذه الثلاثين.

ولذلك قالوا في تفسير قوله سبحانه وتعالى: «وَإِذَا أَبْتَلَنَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ يُكَلِّمُهُ».

قالوا: بثلاثين آية هي في القرآن كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

فمن أراد أن يدخل في مدح الله فليدخل في هذه الآيات.

كقوله عز من قائل: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾**.

وكقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَشَوَّنُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا وَلَذَا خَاطَبُهُمُ الْجَنَّهُوْنَ قَالُوا سَلَّمًا﴾**.

وكقوله سبحانه وتعالى: **﴿أَدْعُوكُمْ بِالْيُقْرَبَى هَىَ أَحْسَنُ إِنَّا لَذِى يَبْيَنكُ وَبَيْنَمَا عَدَوْهُ كَانُوا وَلِيْ حَمِيمُ﴾**.

وكقوله سبحانه وتعالى: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**.

وكقوله سبحانه وتعالى: **﴿خُذِ الْعُقُوْنَ وَأَمْرُهُ بِالْمَرْفُ وَأَغْرِضُ عَنِ الْجَهَنَّمِ﴾**.

فهذا هو المدح الذي يجب أن يمثله العبد وأن يدخل فيه.

وقال ابن تيمية: الزهد هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

وهذا من أحسن التعريفات.

فكل ما لا ينفعك في الآخرة فالأفضل تركه.

وأما ترك ما ينفعك في الآخرة فليس من الزهد في شيء.

فمثلاً: البيت الواسع قد ينفعك في الآخرة.

كيف؟

بأن تربى فيه أولادك وتأنس به وتستغله في تضييف الناس وفي
الالتقاء بهم على الخير وفي الزيادة من الطاعات شكرأ الله.

وهكذا غير البيت مما هو من قسم المباح.

ولذلك أخطأ بعض الناس من أهل التصوف ومن غيرهم في
تعريف الزهد وظنوا أنه يكون بتحريم الحلال.

فسمعنا وقرأنا عن بعضهم أنه حرم على نفسه الرطب، وآخر حرم على نفسه اللحم، وهكذا من التشديدات التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والمطلوب هو الوسط: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا»، وسيرة محمد ﷺ هي الحكم في ذلك.

وأما الصحابة فإنك تستطيع أن توقع سيرهم على هذا كله لأنهم أنقى العباد الله.

قال ابن القيم رحمه الله: وثبت أن الصحابة شبعوا وجاءوا، وتنعموا ويسروا، ولبسوا من أحسن اللباس ومن أوضعها، رضوان الله عليهم وأرضاهم. فلك في كل منهم مثل.

البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بؤسها يقول ابن الجوزي: لا يهول عليك أحد بذكر الأحاديث الضعيفة الموضوعة لأن يقول: أن الرسول ﷺ رأى سراجين في بيته فقال: والله لا يجتمع سراجان في بيت محمد ﷺ. فهذا حديث موضوع.

وكقولهم: صفت له ﷺ طعامان على سفرته فقال: والله لا آكل طعامين.

وهذا حديث موضوع.

وكقولهم لما قدم اللحم للرسول ﷺ.

قال: لا آكل اللحم لأنني أخاف أن لا يطعمني الله إياه في الجنة.

وهذا حديث موضوع أيضاً.

بل الصحيح أن تأخذ السيرة النبوية من صحيح البخاري ومسلم ومن السنن الأربع ليرى الإنسان كيف يعيش معلم الإنسان ﷺ، وقد ذكرت كثيراً من أحواله ﷺ في رسائل من هذا المجموع.

فالواجب على المسلم أن يستمتع بالمباحات التي تعينه على الطاعات وعلى مواصلة طريق الجنة، ولكن دون إسراف يؤثر أو يعيق ذاكم المسير.

كما قال سبحانه: **﴿وَكُلُوا وَأَشْرُوا وَلَا شَرُورًا﴾**.

وقال: **﴿فَلَمَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظَّبَابُ مِنَ الرِّزْقِ فَلَمْ يَهِي لِلَّذِينَ مَأْمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالَصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾**.

أي أن المؤمنين سيتمتعون بها إن شاء الله في الجنة دون أن يشاركهم أحد.

أما في الدنيا فإنك قد تجد الكافر يتمتع بالزينة والطيبات أكثر من المؤمن الموحد، ولكنه لا خلاق له عند الله.

بل كما قال سبحانه: **﴿فَلَا تُعِجِّبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾**.

ويقول: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نَتْلِي لَهُمْ خَيْرًا لَا نَفْسِهِمْ إِنَّمَا نَتْلِي لَهُمْ لِيَرَدَّوْا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾**.

فالوسط الوسط عباد الله تبلغوا، وكل أمرىء عالم بما يصلح نفسه:

أ هو التسامح قليلاً في المباحات؟

أم هو التضييق قليلاً على النفس؟

﴿بِكِ الْإِنْسُنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾.

أسأل الله لي ولكلم حياة وسطاً، وأن يجتبنا خرافات الصوفية وحياة المترفين.

وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلم.

كن في الدنيا كأنك غريب

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلْمَتِ وَالنُّورَ ثُمَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْيَحُهُ مَنْتَهِيَ
وَثَلَاثَ وَرَبِيعَ يَزِيدُ فِي الْخَلَقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الحمد لله حمدًا حمدًا، والشكر لله شكرًا شكرًا.

والصلوة والسلام على حامل لواء العز فيبني لوي، وصاحب
الطُّود المنيف في عبد مناف بن قصي، صاحب الغرَّة والتحجِيل
المذكور في التوراة والإنجيل، المعلم الجليل الهادي النبِيل، وعلى آله
وصاحبه وسلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تكون لي ولكم حجة عند الله يوم
لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد.. هذا حديث عن الغربة يوم يعيش المسلم غريباً بين
أهلها، وغريباً في حييه، وغريباً في مجتمعه، وفي أمهته.

ولنستمع خاشعين إلى حديث المصطفى ﷺ الذي يفيض روحانية
وهداية ونوراً، وكأنَّ لسان الحال يقول:

بإله لفظك هذا سال من عسل
أم قد صببت على أفواهنا العسلا
أم المعاني اللواتي قد أتيت بها
أرى بها الدُّر والياقوت مُثْصلا
لو ذاقها مُذِيفٌ قامت حشاشته
ولو رأها غريب داره لسلا
عن ابن عمر رضي الله عنهمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبِي،
وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل».
وكان ابن عمر رضي الله عنهمَا يقول: «إذا أصبحت فلا تنتظر
المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقفك،
ومن حياتك لموتك» رواه الإمام البخاري وابن ماجه والإمام أحمد
والبيهقي وأبو نعيم وجمعُ غفير من أهل العلم.

والحديث فيه قضايا:

أولها: راوي الحديث هو عبد الله بن عمر.
عاش مع الرسول ﷺ والإيمان والحب والطموح وتعلم في مدرسته.
وله أحاديث كثيرة.

ذكر وكيع في كتاب الزهد بسند حسن أن ابن عمر
رضي الله عنه وأرضاه، من كثرة خشيته لله عز وجل، ومن كثرة
بكائه،قرأ يوماً من الأيام سورة المطففين حتى بلغ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ
يَقُولُ النَّاسُ إِرَتِ الْعَالَمَيْنَ ﴾. فبكى حتى أغمى عليه.
لأنها والله كلمة من أعظم الكلمات، وهي والله عبرة للمعتبر يوم
يتصور المسلم والمسلمة والذكر والأنثى: يوم يقوم من القبر لرب
العالمين.

أي منظر هذا؟ وأي هول هذا؟

ولذلك روى ابن كثير أن الخليفة العباسي المهدى دخل المسجد النبوى على صاحبه الصلاة والسلام، فقام له الناس جمِيعاً إلا ابن أبي ذئب الزاهد العابد العالم لم يقم.

فقال له المهدى: قام لي الناس إلا أنت؟

قال: كدت أقوم فذكرت قوله تعالى: **﴿يَوْمَ يَقُولُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** (١). فتركت هذا القيام لذلك اليوم.

قال المهدى: اجلس فوالله ما بقيت شعرة في رأسي إلا قامت.

ومن صلاح ابن عمر رضي الله عنه قوله في صحيح البخاري: كنت أعزبأ، وكنت أنام في المسجد وكان الناس يرون الرؤى فيعرضونها على رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح.

فأراد ابن عمر أن يشارك الناس، فكان يتمنى أن يرى رؤيا في المنام لعله أن يعرضها على المصطفى ﷺ.

قال: فرأيت في المنام كأن رجلينأتاني فأخذنا بيدي فذهبنا إلى بئر مطوية لها قرنان. فخفت وفزعت.

فقالا لي: لم تُرْعِ. لم تُرْعِ. أي: لا تخف، لا تخف.

قال: ثم أعطيني قطعة من حرير لا أشير بها إلى روضة في الجنة، إلا طارت بي إلى تلك الروضة أو كما قال.

فاستحشا أن يعرض الرؤيا على الرسول ﷺ فعرضها على حفصة أخته، فعرضتها على الرسول ﷺ. فقال: «نعم عبدالله لو كان يصلى من الليل».

قال نافع: والله الذي لا إله إلا هو، ما كان عبدالله بعدها ينام من الليل إلا قليلاً.

وكان يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم أنني ما تركت الخلافة لقريش إلا من مخافتكم.

ثانياً: يقول ابن عمر رضي الله عنهم: أخذ  بمنكبي، وفي لفظ: بمنكبي.

لأن الأخذ بالمنكب له دلالة وأي دلالة.

لقد كان  حبيباً إلى القلوب، وكان سهلاً إلى الأرواح، وكانلينا كما وصفه الله: «فَمَنَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَهُ الْقَلْبُ لَا نَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ»، «وَلَنَكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»، «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَرِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ».

فكان ربما شبَّك أصابعه بأصابع أحد الصحابة ليظهر الأنس والوداد، والقرب.

يقول معاذ كما في سنن أبي داود بسند صحيح: أخذ  بيدي، فقال: «يا معاذ والله إني لأحبك، فلا تدع في دُبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك».

وجاءه جرير بن عبد الله البجلي، فقال: يا رسول الله أنا رجل لا أثبت على الخيل.

فضرب في صدره، وقال: «اللهم اجعله هادياً مهدياً». متفق عليه.

أي حب، وأي سعة صدر، وأي فيض من الحنان تركه في الدنيا ؟

لقد كان ابن عمر شاباً في تلك الفترة، والشباب تغره نفسه بالعجب، والزهو، واللبس، والعطر، والأخذ، والعطاء، والتناول.

لكته وَيَسِّرْ أعطاه درساً لن ينساه.

حتى علق قلبه بالجنة، وجعله يسير بين الناس يحمل الغربة
بأنواعها.

فقال له وَيَسِّرْ: «كن في الدنيا كأنك غريب». أرأيت الغريب الذي
نزل في بلدة ليس له فيها زوجة ولا ولد، ولا والد، ولا أحباب، ولا
 أصحاب، ولا أصدقاء، ولا أحباء.

وليس له دار، ولا قصر، وليس له مزرعة، ولا بستان، فالرسول
يريد من ابن عمر ومن المسلم أن يكون مثله.

غريب من الخِلَانَ في كل بلدة
إذا عظم المطلوب قل المساعد
فهذه الدنيا كاسمها هي من (الدُّنْوِ)، أو من (الدُّنْعَةِ)، فهي قليلة
النفع.

ولذا قال سبحانه: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا نُورُ الْآتِيمِ
أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ١٥ أُوْتِيَكُ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
الثَّمَارُ وَحَيْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَنَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦».

هذه الدنيا يريد وَيَسِّرْ منها أن نكون غرباء فيها.

والغربة على أنواع:

غربة الرجل في أهله وفي بيته يوم يريد الإسلام، ولكن زوجته
وأطفاله وجيرانه لا يريدون له الإسلام ولا الهدى.

فهو في حرب وصراع معهم.

وغربة الشاب في بيته وبين أسرته يوم يهديه الله عز وجل صراطاً
مستقيماً، ويوم يدله على سبيل النجاة، فيجد أن أول من يحاربه هو
البيت، وأبوه، وأمه، وأخوه، وأخته، فيقف غريباً.

وهذه والله غرية من أعظم الغرب.

وغرية المرأة الصالحة في بيته لا يدين بالولاء للسنة ولا للاستقامة، فتبقى غرية تصارع الأحداث بضعفها لأنها تريد من بيتهما أن يكون بيتهما إسلامياً مستقيماً على هدي محمد ﷺ، فتفاجأ فإذا بيتهما يحاربها، والزوج والأب والابن، حينها تكون غرية في بيتهما، ولها ما للغرباء في الجنة.

والغرباء جزاؤهم أن يُرفع مقامهم عنده سبحانه وتعالى.

قوله: «كن في الدنيا كأنك غريب» هذا تشبيه، وإن فالحقيقة أنه ليس بغرير.

للغرباء صفات:

أولاً: هم قوم يعتقدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويعتقدون ما يعتقده أصحاب رسول الله ﷺ.

ثانياً: الغرباء لا يفارقون الصلوات الخمس جماعة إلا من عذر قاهر شرعي.

ثالثاً: والغرباء يُظهرون السنة على محياهم: في ملابسهم وفي حركاتهم وسكناتهم.

رابعاً: والغرباء ذيَّدُنَّهم قراءة كتاب الله عز وجل وتدبر القرآن.

خامساً: والغرباء يتدارسون السنة، ويعملون بالسنة، ويحبون السنة.

سادساً: والغرباء لا يجدون ضغينة على عباد الله وعلى المسلمين كافة جماعات وأفراداً، وأحزاباً، وانتيماءات، ما داموا تحت مظلة الإسلام، وتحت مظلة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحت مظلة منهج أهل السنة والجماعة.

وقد ذكر الذين صنفوا في هذا الموضوع كأبي عثمان الصابوني، وابن بطة، وأبو الوفاء، وابن الجوزي صفات الغرباء ووصفوهم وصفاً عجياً.

ومجمل الصفات وملخصها أن يكون الغرباء أتقياء وأولياء الله تبارك وتعالى.

قال تعالى في هؤلاء الغرباء في الدنيا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رِبَّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْنَمُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا يَشْرُوْا بِالْجَنَّةِ أَلَّى كُثُّمٍ تُوعَدُونَ ۚ ۲۰﴾ تَحْنُ أَوْلَيَّاً لَّكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَتَّهِيْنَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ۚ ۲۱﴾.

حضرت الوفاة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وكانت عنده امرأته فاطمة بنت عبد الملك.

فقال: يا فاطمة: اخرجي من بيتي فإني أرى نفراً ليسوا بانس ولا جن.

قال أهل العلم: هم ملائكة.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْا الْحُسْنَةُ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ ۚ ۲۲﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَيْسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشَتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِيلُونَ لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَلَنَكَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُثُّمْتُمْ تُوعَدُونَ ۚ ۲۳﴾.

وذكر عن الإمام أحمد وهو في سكرات الموت، الزاهد العابد الذي أصبح جسمه كالعود من كثرة الصيام والعبادة، وكثرة الإنابة والدعاة.

الذي كتب أربعين ألف حديث، وحفظ ما يقارب ألف ألف حديث مع الآثار والموقوفات والمقطوعات.

والذي وقف حصناً لأهل السنة في وجه البدعة، وجُلد بالسياط.
فلما حضرته سكرات الموت، جاء إيليس يصارعه حتى في
سكرات الموت.

فأخذ بعض أنامله ويقول للإمام أحمد: فَتَّنِي يا أَحْمَدَ.
والإمام يقول: لَا بَعْدَ، لَا بَعْدَ.

أي أَنِّي لَا أَزَالُ أَخْشَى مَكَايِدَكَ يَا خَبِيثَ، وَأَلْتَجَى إِلَى رَبِّي فِي
آخِرِ لَحْةٍ مِّنْ حَيَاةِي.

قوله ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنْكَ غَرِيبٌ». ثُمَّ تَرَقَّى ﷺ إِلَى درجة
أَعْلَى، فَقَالَ: «أَوْ عَابِرٌ سَبِيلٌ». وَعَابِرُ السَّبِيلِ أَعْظَمُ مِنَ الْغَرِيبِ لِأَنَّ
الْغَرِيبَ يَقِيمُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنَ أَوْ ثَلَاثَةَ أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً، لَكِنْ عَابِرُ
السَّبِيلِ لَا يَقِيمُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَمْرُ مَرَّ السَّحَابِ.

وأَعْرَفُ النَّاسَ بِالدُّنْيَا وَبِحَقِيقَةِ الدُّنْيَا هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَدْ كَانَ
يَقُولُ: «مَا لَيْ وَلِلْدُنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَابٌ قَالَ فِي ظَلِّ
شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وَتَرَكَهَا». حَدِيثٌ صَحِيفٌ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَمْضِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا يَجِدُ كِسْرَةَ خَبْزٍ وَتَمْرٍ، فَمَا لَنَا
نَشْبَعُ نَحْنُ مِنَ الْمَوَائِدِ الشَّهِيَّةِ؟ وَنَرْكِبُ الْمَرَاكِبِ الْوَطَيَّةِ؟ وَنَسْكِنُ فِي
الْفَلَلِ الْبَهِيَّةِ؟

كَفَاكَ عَنْ كُلِّ قَصْرٍ شَاهِقٍ عَمِيدٍ
بَيْتٌ مِّنَ الطِّينِ أَوْ كَهْفٌ مِّنَ الْعِلْمِ
تَبْنِي الْفَضَائِلَ أَبْرَاجًا مَشِيدَةً
نَصِبُ الْخِيَامَ الَّتِي مِنْ أَرْوَعِ الْخِيَامِ
إِذَا مَلُوكُ الْوَرَى صَفَوْا مَوَائِدَهُمْ
عَلَى شَهِيَّ مِنَ الْأَكْلَاتِ وَالْأَدْمِ

صفت مائدة للروح مطعمها

عذب من الوحي أو هدي من الكلم

وكان بيته من طين إذا نام فيه وصل رأسه إلى الجدار، ورجلاه
إلى الجدار الآخر.

عاش عبداً رسولاً، لكن ادخر الله له الرضوان عنده **﴿وَلَسَوْفَ يُعَطِّيلَكَ رَبُّكَ فَرَضَّعَ﴾**.

يقول وهو يتلو هذه الآية ويكي بيبي هو وأمي: «والذي نفسي
بيده لا أرضي وأحد من أمتى في النار»^(١). فصلى الله وسلم عليه
تسليماً كثيراً.

فتعابر السبيل لا يأخذ إلا ما يكفيه في الطريق.

دخلوا على أبي ذر رضي الله عنه وأرضاه وهو في سكرات
الموت ييكي قالوا: ما لك؟

قال: استثقلت من الدنيا، وأكثرت من الدنيا، وورائي عقبة كؤود
لا يجيزها إلا المُخفَّ.

فنظروا في بيته فوجدوا فراشاً يفترشه وقبراً وصحفة وعصا.

أهذا الاستكثار من الدنيا؟

قال: إن خليلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال لي: «ليكن زادك في الدنيا كزاد
الراكب، ليكن متابعك من الدنيا كمتابع الراكب»^(٢) رضي الله عنه
وأرضاه.

أرسل عمر رضي الله عنه وأرضاه سلمان الفارسي إلى العراق.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٧).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١/١٩٩).

سلمان الذي استجاب للا إله إلا الله.

سلمان الذي كفر بالطاغوت.

سلمان الذي ترك النار وعَبَدَةَ النار، وأباه وأهله، وأجداده، وزوجته، وأطفاله، وأتى يطوي القفار، والبحار، حتى وصل إلى المدينة، فكان جزاؤه أن يقول له ﷺ: «سلمان منا آل البيت، سلمان منا آل البيت»^(١). وهو والله وسام من أعظم الأوصمة.

يجلس العرب في حلقة فينتسبون لأجدادهم وترابهم فيقولون
لسلمان: من أبوك؟

قال:

أبِي الإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سَوَاهِ
إِذَا افْتَخَرُوا بِقِيسٍ أَوْ تَمِيمٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَأَرْضَاكَ.

أرسله عمر رضي الله عنه وأرضاه أميراً إلى العراق، فذهب على حمار.

انظروا صحبة الرسول ﷺ الذين فتحوا الدنيا يركبون الحمير.

فخرج أهل العراق لاستقباله، فلما رأوه قالوا له: أرأيت أميراً أرسله عمر إلينا اسمه: (سلمان الفارسي) في الطريق؟
قال: أنا سلمان الفارسي.

قالوا: لا تضحك علينا.

قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو سلمان الفارسي.

(١) رواه الحاكم (٥٩٨/٣).

فعجبوا من هذا الدين الذي يكون الأمير فيه كأنه أفقر فقير .
فسكن هناك وأخذ راتبه فوزعه على ثلاثة أقسام : قسم يتصدقه ،
وقسم يهديه لإخوانه ، وقسم يتقوّت به .
فهؤلاء الأجلاء هم الذين عرّفوا حقيقة الغربة فجعلوها في
حياتهم .

ويرسل عمر أيضاً سعيد بن عامر الصحابي الجليل إلى الشام إلى
حمص .

فيقول : اعفني يا أمير المؤمنين .
قال : أتجعلون الخلافة في عنقي ، ثم تتركوني ، والله لتتولين الإمارة .
فذهب رضي الله عنه وأرضاه ، فقالت زوجته : عندي مال كثير
أعطيه لك تضمه في تجارة أو تتقوّت به لك .

فأخذ المال فتصدق به في سبيل الله .

فقالت : أين المال ؟

قال : أعطينا شريكاً يضاعف به الدرهم لواحد سبعمائة درهم .
فآمنت وسكتت وصدقت .

فدخل حمص والياً .

وكان هذا الغريب يعدل في الناس ويصلّي بهم ، حتى مر عمر
رضي الله عنه وأرضاه على أمرائه وولاته في الأقاليم عندما ذهب إلى
فلسطين ، فسأل أهل حمص : كيف تجدون سعيد بن عامر ؟
فكلهم أثني عليه خيراً ، لكن أخذوا عليه أربعاء من الخصال .

قال عمر رضي الله عنه وأرضاه : اللهم إني ما علمت به إلا
خيراً ، اللهم لا تخيب ظني فيه .

قالوا: أما الأولى فيصرع بين أيدينا أحياناً.

وأما الثانية: فلا يخرج لنا يوماً من أيامه.

وأما الثالثة: فإنه لا يخرج حتى يرتفع النهار.

وأما الرابعة: فإنه لا يخرج في الليل مهما طرقنا عليه بابه.

قال عمر رضي الله عنه وأرضاه وقد نكس رأسه، ودموعه ثهراق على خديه: اللهم لا تخيب ظني في سعيد بن عامر قم يا سعيد.

فقام يتكلّم، فقال: يا أمير المؤمنين والله لو ددت أني أكتم هذا الأمر، أما والحالة هذه فلا بد من الكلام.

فأما قولهم أنه يصيّبني الصرع، فقد حضرت مشهداً، ما وددت أنني حضرته، فقد رأيت خبيب بن عدي أحد أصحاب الرسول ﷺ وهو يُقتل في مكة، وأنا مع المشركين آنذاك، فسمعته يقول للكافر: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بددأ، ولا تغادر منهم أحداً.

فكلاً ما تذكرت ذاك المشهد صرعت ووددت أنني نصرته.

وأما اليوم الذي لا أخرج فيه للناس: فأنا رجل ليس لي خادم، وزوجتي مريضة فأغسل ثيابي، وثياب أهلي هذا اليوم، وأنظر جفافها.

وأما أني لا أخرج إليهم في الليل فقد جعلت النهار لهم والليل لربِّي تبارك وتعالى.

وأما قولهم بأنني لا أخرج حتى يرتفع النهار فزوجتي مريضة فأنا أصنع إفطاري بنفسي، فإذا أفترت خرجت إليهم.

فرفع عمر يديه إلى السماء قائلاً: الحمد لله الذي لم يخيب ظني في سعيد بن عامر.

سلام على أصحاب محمد ﷺ ورحمة الله وبركاته.

إن لم تؤخذ السيرة والعقيدة والمبادئ الأصيلة والسلوك والرائق
منهم، فمن أين تؤخذ؟
إنهم هم الذين هدى الله، فبهداهم اقتده.

● أقسام الغربة:

الغربة أقسام وأنواع وهي:

أولاً: غربة أهل السنة بين أهل البدعة.

فالمسلم يتستّن بسنة رسول الله ﷺ في كل شيء، في المعتقد، وفي عمل لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الحضور للجماعات، وفي المحافظة على الفرائض، والنواقل، وفي مضاعفة الحسنات ورفع الدرجات، وفي اللحية، وفي الشوب، وفي السواك، وفي الهدي الظاهر، والباطن، لأنّه ليس في الإسلام قشور، وليس في الإسلام توافه، بل كله سنة، وكله يؤخذ جملة وكله عبادة، وشريعة من الله الذي لا إله إلا هو.

لكن أهل البدع يأبون إلا أن يجعلوا أهل السنة يحيون معهم غرباء، عندما يحاولون جهدهم نشر بدعهم، وخرافاتهم، حتى يضلوا بها الناس ويشنونهم ويصرفوهم عن سنته ﷺ.

والبدعة كما عُلِمَ كثيراً قد بدأت طلائعها قديماً في زمانه ﷺ عندما قال له أحد أجداد الخوارج: (اعدل يا محمد)، أو (إن هذه قسمة ما أُريد بها وجه الله)، يقصد قسمة الرسول ﷺ في الغنائم !!

ثم تطورت البدع رويداً رويداً، حتى ظهرت على السطح بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فظهرت لنا بدعة الخوارج وبدعة الروافض، والناصبية.

ثم استمر الحال إلى أن لاحت بدعة المعتزلة ثم الصوفية، ثم الأشاعرة.. إلخ.

وهكذا يستمر مسلسل البدع في عالم الإسلام حتى كادت تطغى على السنة في بعض الأعصار لو لا أن الله حافظ دينه.

فأصبحت السنة غريبة على كثير من الناس، حتى من فيهم الخير الكبير، لكنهم يستنكرون بعض السنن أو قد يلومون أصحابها ويحاولون صرفهم عنها برغم ثبوتها في الأحاديث الصحيحة.

فما بالك بأهل الفجور من أصحاب البدع الغليظة التي لا ترقب في أهل السنة إلا ولا ذمة، بل تحرّبهم في كل مكان؟

هذه هي الغرية الأولى: غربة أهل السنة بين المخالفين لها..
وهم كثير.

الغرية الثانية: غربة أهل الإسلام ككل مع غير المسلمين حيث ينتشر الكفر في كل مكان على وجه الأرض، ويحاول أن يطوق المسلمين في نواحיהם لئلا يتشرّد الإسلام في الأفاق، ولكن: «وَاللَّهُ مُتَّمُّ ثُرُرِيْهِ وَلَقَّرَّ كَرَّهَ الْكُفَّارُونَ». وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صحيح مسلم: «بِدَا الْإِسْلَامِ غَرِيْبًا، وَسِعَوْدَ غَرِيْبًا فَطَوَبَ لِلْغَرِيْبَاءِ».

الغرية الثالثة: غربة المستقيمين من أهل السنة مع العصاة أو غير المستقيمين.

حيث استنكار السنن، والمضايقات والاستهزاء والسخرية.

فالواجب على المسلم المتبّع لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصبر ويحتسب الأجر في ذلك كله، وأن لا يتضجر لأن هذا الطريق هو طريق الهدایة وقد سلكه قبله الأنبياء والصالحون منذ قديم الزمان.

وليعلم أن الغرية قد تختلف من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان.

أيها المسلمون: كونوا في الدنيا غرباء أو عابري سبيل.

وإذا أصبحتم فلا تنتظروا المساء.

وإذا أمسيتم فلا تنتظروا الصباح.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلم.



يا حسرتاه تقضى العمر

أهمية الوقت

ما هي الحياة إلا الدقائق والثوانى، وما هي الحياة إلا الأيام والليالي، وما هي الحياة إلا الأنفاس، الوقت هو الحياة، الوقت أغلى من الذهب والفضة، الوقت أغلى وأرفع من الشهرة والمنصب **﴿أَوَلَمْ**
تُعِيرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الظَّيْرُ﴾ **﴿أَفَحَسِّنْتُمْ أَنَّمَا**
خَلَقْنَاكُمْ عَبَّادًا وَلَكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ **﴿115﴾** **فَتَعْلَمَ اللَّهُ أَكْلُكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ**
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْمَرْشِ الْكَبِيرِ **﴿116﴾**.

يا من خلق للعبادة، يا من خلق لحفظ وقته مع الله، يا من خلق لرسالة عظيمة، هل حاسبت نفسك في وقتك؟ وفي أيامك؟ وفي لياليك؟ وهل عرفت أين ذهبت دقائقك وثوانيك؟

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي
يقول **رَبِّكُمْ**: «اغتنم خمساً قبل خمس: اغتنم شبابك قبل هرسك،
وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وصحتك قبل سقمك،

وغناك قبل فرك» أو كما قال ﷺ^(١).

أقبلت إجازة الربيع على البنين والبنات، وعلى الدارسين والدارسات، وهي إجازة في عُرف البشر ولكنها ليست إجازة عند رب السموات والأرض، فالمسلم ليس له عطلة ولا راحة حتى تدخل قدماء الجنة.

ولو أنا إذا متنا ثرثنا لكان الموت غاية كل حي ولكن إذا متنا بُعثنا ويُسأل ربنا عن كل شيء فليس لنا إجازة ولا عطلة. يعطينا البشر إجازات وعطل وراحات، ولكن رب البشر يقول: «وَاعْبُدُ رَبَّكَ حَقَّ يَأْتِيكَ الْيَقِينُ»^(٩٩) لا تُعطل ليلاً ونهاراً. فملك الحسنات يسجل ويقيّد، وملك السيئات يحسب ويحصي. فأين المفر من الله إلا إليه؟.

يقول عطاء بن رياح لشباب مرّ بهم صامتون ساكتون: ما لكم لا تسبّحون ولا تذكرون، أتنسون أن عليكم ملائكة يكتبون ما تفعلون؟ «إِنَّ كُلَّ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَقِيْرُ الرَّحْمَنِ عَبْدًا»^(٩٣) لقد أحصنتم وعدّهم عَدَّا^(٩٤) وكلّهم ماتيه يوم القيمة فرداً^(٩٥) حتى إذا جاء أحدّهم الموت قال ربّ آرْجُون^(٩٦) لَعَنِّي أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كُلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرَزَّ إِلَى يَوْمٍ يُعَوَّنَ»^(١١٠).

* * *

(١) رواه الترمذى وأبو نعيم في الحلية مُرسلاً. وأخرجه الحاكم (٣٠٦/٤)، وصحّحه من طريق آخر عن ابن عباس مرفوعاً. ووافقه الذهبي.

أقسام الشباب في العطلات الصيفية

حين تأتي هذه العطلة ينقسم شباب الإسلام إلى ثلاثة أقسام:

١ - ظالم لنفسه.

٢ - مقتصد.

٣ - سابق بالخيرات.

أولاً - الصنف الظالم لنفسه:

فأما الظالم لنفسه، فشاب ظن أن الحياة غناء ورقص، ولعب ولهو، وأكل وشرب ونوم، وذهب وإياب. وما عَلِمَ أن الله سوف يسأل عن كل دقيقة من دقائق حياته.

شاب جعل هذه العطلة أو الإجازة للشهوات وتناول المخالفات ولتضعيف السينات ونسى رقابة الواحد الأحد رب الأرض والسموات.

وإذا خلوت برببة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

شاب نسي مراقبة الله، وعين الله، ولقاء الله، يسمع العود والغناء، يرقص مع كل راقص. نسي أنه ابن لخالد بن الوليد الذي

أسمع أذن الدهر، وخطب على منبر الدنيا، وأسائل دم الوثنية في الأرض لترفع راية لا إله إلا الله.

نسى أنه ابن لسعد بن أبي وقاص الذي دك إيوان كسرى وكبار في الإيوان وانصدع فقال: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْوَنٍ ٢٥ وَرِزْقَ وَمَقَامٍ كَبِيرٍ ٢٦ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكِيهِنَ ٢٧ كَذَلِكَ وَأَرْتَهَا قَوْمًا أَخْرِيَنَ ٢٨». ٢٩

نسى أنه ابن لعمر بن الخطاب الذي إذا ذُكر في مجالس القياصرة والأكاسرة أغمى عليهم!

يا من يرى عمراً تكسوه بُرْدَتَه والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرطاً وملوك الروم تخشه
وأبناء عمر، وأبناء خالد، وأبناء سعد، يخرجون مغثين راقصين
للاعبين مشجعين. لا والله. هذا باطل وظلم وجور.

وينشاً ناشيء الفتى منا على ما كان عوَدَه أبسوه
فيما رب، هذه هي الأمة التي رفعت اسمك على النجوم لا تضيئ
آخرها واحفظها كما حفظت أولها. يا رب، هؤلاء أبناء الذين أسكتوا
البشرية ليسمعوا كلامك الإنسانية.

من ذا الذي رفع السيف ليرفع اسمك فوق هامات النجوم مناراً
كنا جبالاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحاراً
من المسؤول عن إخراج أجيال عمر وخالد وسعد ليصبحوا في
الساحة مغثين وغنيمات، وراقصين وراقصات.

هذا الصنف من الشباب يتحرج الإجازة بلهب ليذهب في كل
مذهب، أما الصلوات فلا تسأل عنها فقد ضيّعها، وأما القرآن فهجره،
وأما الذكر فلا يعرفه، وأما المسجد فما اهتدى إليه.

قرآنـةـ المـجـلـةـ الـخـلـيـعـةـ،ـ وـتـلـاوـتـهـ الـأـغـنـيـةـ الـمـاجـنـةـ،ـ وـجـلـاسـهـ كـلـ خـسـيـسـ مـنـ الدـنـيـاـ.

ثانياً - الصنف المقتصد:

وأما الصنف الثاني فمقتصد لم يستغل الإجازة في معصية الله، بل استغلها في المباحات، يؤدي الفرائض ويتهي عن المحرمات.

ينام نوماً عميقاً، فإذا استيقظ اشتغل بالزيارات والنزهات والفسحات.

فأين استثمار الوقت؟ أين القراءة؟ أين التلاوة؟ أين التحصيل العلمي؟

يقول الغزالـيـ رـحـمـهـ اللهـ:ـ منـ نـامـ مـنـ كـلـ أـرـبـعـ وـعـشـرـينـ سـاعـةـ ثـمـانـيـ سـاعـاتـ فـقـدـ نـامـ مـنـ عـمـرـهـ سـتـونـ سـنـةـ عـشـرـينـ سـنـةـ.ـ ثـمـ تـبـقـىـ لـهـ أـرـبـعـونـ سـنـةـ مـاـ بـيـنـ لـهـ وـلـغـوـ وـمـعـاـصـيـ وـمـخـالـفـاتـ وـشـغـلـ بـالـدـنـيـاـ وـبـالـدـرـهـمـ وـالـدـيـنـاـ.

ثالثاً - صنف السابقين بالخيرات:

هم شباب الإسلام، وهم نجم التوحيد، وهم كوكبة محمد ﷺ وهم الفجر لهذا الدين. إنهم شباب عرفوا الحياة وعرفوا أنهم سوف يقفون بين يدي علام الغيوب، وعرفوا أن الستين سنة والسبعين هي مزرعة للأخرة. وعرفوا أن السلف الصالح استثمروا أوقاتهم في مرضات الله.

كان سعيد بن المسيب رحـمـهـ اللهـ يـنـامـ قـلـيلـاـ ثـمـ يـسـتـيقـظـ فـيـقـولـ لنـفـسـهـ:ـ قـوـمـيـ يـاـ مـأـوىـ كـلـ شـرـ،ـ وـالـهـ لـاـ تـنـامـينـ حـتـىـ الفـجرـ.

ويقول الأسود بن يزيد وكان يسرد الصوم فيقول له الناس: خفف

على نفسك من الصيام فيقول: إذا أصبحت في القبر فمن يصوم عنك؟ ومن يصلّي عنك؟ ومن يقرأ عنك؟ **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍ مُّرِيبٍ﴾** ٥٤.

هل رأيتم ميتاً في قبره يصلّي؟ هل رأيتم ميتاً يصوم؟ هل رأيتم ميتاً يذكر الله؟

أبدي أبينا نحن أهل منازل
نبكي على الدنيا وما من عشر
أين الأكاسرة الجبابرة الأولى
خُرُسٌ إذا نودوا كأن لم يعلموا

أبداً غُراب البَيْن فيها ينبع
جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
كنزوا الكنوز فلا بقينا ولا بقوا
أن الكلام لهم حلال مطلق

هذا الشاب سابق بالخيرات، كتاب الله خذنه ورفيقه، صديقه
ورضيعه وريبع قلبه. لا تفوته الصلوات ولا تكبيرة الإحرام في جماعة.
حضرت الأعمش الوفاة فبكى أبناءه. فقال لهم: ابكونوا أو لا
تبكونوا، والله ما فاتني تكبيرة الإحرام ستين سنة.
لأنه يريد جنة عرضها السموات والأرض.

هؤلاء الشباب مقبلون على العلم إقبالاً جازماً وعازماً على تحرير
المسائل وعلى التحقيق وعلى استثمار الوقت. لا تفوتهم دروس الهدى
والخير ومحاضرات العلم والإيمان.

دروسهم دعوة، وجلساتهم إيقاظ وصحوة، وحركاتهم طاعة.
فهؤلاء الذين سبقو بالخيرات **﴿ثُمَّ أَزَّرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾**.

فيما شباب الإسلام، يا أيها الفضلاء، يا أيها النبلاء، ألا تريدون
أن تكونوا من السابقين بالخيرات الذين ليهم طاعة، ونهارهم تسبيح
وزلفى وقربى من الله. كمصعب بن عمير، وسعد، وخالد، كطارق
وصلاح الدين؟

فهم:

عَبَاد لِيل إِذَا جُنَاحُ الظَّلَامِ بِهِمْ
وَأَسْدُ غَابِ إِذَا نَادَى الْجَهَادِ بِهِمْ
يَا رَبِّ فَابْعَثْ لَنَا مِنْ مُثْلِهِمْ نَفْرَا

فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ بِسْنَدِ صَحِيحٍ أَنَّ شَبَاباً أَتَوْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَالَ: «مَاذَا تَرِيدُونَ؟» فَكُلُّهُمْ طَلَبَ مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا وَمِنْ مَقَاصِدِ
الْحَيَاةِ، هَذَا يَرِيدُ ثُوَبَاً فَيُعَطِّيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُوَبَاً، وَهَذَا يَرِيدُ دَنَانِيرَ وَدِرَاهِمَ
فَيُعَطِّيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ، وَالثَّالِثُ يَطْلُبُ طَعَامًا فَيُعَطِّيهِ.

أَمَا أَحَدُهُمْ فَتَوَقَّفَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرِيدُ أَنْ تَنْاجِيَنِي لِتَطْلُبَ
بَيْنِي وَبَيْنِكَ فَخَلَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: إِنِّي لَا أَرِيدُ دُنْيَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي أَرِيدُ مَرَاقِتَكَ فِي
الْجَنَّةِ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ»، قَالَ: هُوَ ذَلِكِ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: «فَأَعْتَنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، إِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ اللَّهَ
سُجْدَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ بِهَا دَرْجَةً»^(١).

هؤلاء شباب الإسلام وهذه طريق الجنة وبهذا يستمر الوقت.

قال الذهبي: ثبت عن الإمام أحمد أنه كان يصلّي غير الفرائض في اليوم والليلة ثلاثة ركعات، فلما سُجن وُضُرب في سبيل الله ومن أجل رفع لا إله إلا الله، ما استطاع أن يصلّي إلا مائة وخمسين ركعة من غير الفرائض.

(١) مما حديثان. الأول: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربيعة بن كعب: «أَعْتَنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»، والثاني: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لثوبان: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ إِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ اللَّهَ سُجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ بِهَا دَرْجَةً»، رواهما مسلم.

قال الذهبي: وممن كان يصلّي صلاة طويلة من العشاء إلى الفجر عليٌّ بن الحسين زين العابدين، كان إذا أطلَّ عليه الليل وأقبل عليه النهار توضأً وأتى إلى فراشه وقال: ما أحسنت وما أدفأك وما أزوحك، ولكن في الجنة أحسن منك وأروح منك وأدفأ منك، والله لا أنام حتى الصباح. فكان يصلّي حتى الفجر، فإذا طلع الفجر رؤي على وجهه قبس من نور وشعاع من ضياء.

قالوا للحسن البصري: ما للذين يقومون الليل على وجوههم نور؟ فقال: خلوا بالله فأكسبهم نوراً من نوره.

وقال ابن رجب: كان خالد بن معدان يسبّح كل يوم مائة ألف تسبّحة. فلما سُئلَ لماذا تسبّح مائة ألف؟ قال: ديني مائة ألف درهم. فأنا أسبّح مائة ألف قدر ديني لعل الله أن يعتقني من النار.

إن الملوك إذا شابت عبيدهم في رقهم عتقوهم عتق أبرار وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً قد شبَّت في الرق فأعتقني من النار يا شباب الإسلام، يا جيل محمد ﷺ، يا حفظة دولة الإسلام، يا من دُكَّ أجدادهم دولة الأصنام، أنتم مرشحون للعودة إلى الله، وأنتم مرشحون لقيادة البشرية، وأنتم مرشحون لقيادة الإنسانية.

من يقود الناس إلا أنتم؟ ومن يهدي إلا أنتم^(١)? ومن يوجه الناس إلا أنتم؟.

اللهم رُدّنا إليك رداً جميلاً، وكفر عننا سيناثنا، وأصلاح بنا، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، واجعلنا من يقود الناس إلى جنة عرضها السموات والأرض، وصلّى الله على سيدنا محمد. وأخر دعوانا أنِّي الحمد لله رب العالمين.

(١) هداية دلالة وإرشاد. [الناشر].

الدنيا الحقيرة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ ثَقَالِهِ وَلَا تَمْوِنُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُشْلُمُونَ ﴾ (١٦٧).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْسٍ وَجَهَنَّمَ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَيَوْمَ مِنْهَا يَرْجَأُ كَثِيرًا وَنِسَاءَ وَآتَقُوا اللَّهُ الَّذِي نَسَأَلَنَّ لَهُ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١٦٨).

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصلح لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ هُوَ أَعْظَمًا عَظِيمًا﴾ (٧١).

أما بعد..

أيها الناس، يقول الله جلت قدرته: «أَعْلَمُوا أَنَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَفْوٌ وَرِزْنَةٌ وَتَفَاهُّمٌ يَبْتَلِيُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمْثُلٌ غَيْرُ أَعْجَبٍ الْخَفَّارَ بِنَالَهُ ثُمَّ يَهْبِطُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَّلًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرَضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْعُرُورِ﴾ (٢١).

ثم يقول سبحانه: «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ وَنِعْمَةٍ رَّيْكُمْ وَجَنَاحُهَا كَعْرَضٌ
الْأَسْمَاءُ وَالْأَرْضُ أَعْدَتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ». (٢١)

هذه حقيقة الدنيا وهذه حقيقة الآخرة.

«أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ » نصبح لاعبين إذا أصبحنا بلا دين.

ونمسي لاعبين، إذا أمسينا بلا دين.

ونعيش لاعبين، إذا عشنا بلا دين.

ونموت لاعبين، إذا متنا بلا دين.

«لَعْبٌ وَهَقُو وَزَيْنَةٌ » أي: طلاء وبريق ولمعان، ولكن الحقيقة للآخرة والبقاء للآخرة «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ ». (٢٢)

كيف يجوع الرسول ﷺ في الدنيا، ويموت كسرى وقيصر حبطة وثخمة من الأطعمة والأشربة؟

كيف يعيش ﷺ في بيت من طين، ويعيش كسرى وقيصر في قصور الذهب والفضة والزبرجد؟

كيف يكتسي ﷺ فلا يجد إلا قطعة من القماش يداولها زماناً، ويتحلّى كسرى وقيصر بالإبرةسم والحرير؟

يدخل عمر رضي الله عنه وأرضاه على الرسول ﷺ في مشربه (غرفة) والرسول ﷺ نائم وقد اعتزل نساءه.

فرأى الرسول ﷺ مضطجعاً على حصير وقد أثّر الحصير والخصف وهذا اللحاف في جنبه ﷺ.

فنظر عمر إلى البيت فرأى شيئاً من شعير معلق في السقف.

فدمعت عين عمر.

فقال له ﷺ: ما لك يا ابن الخطاب؟

قال: يا رسول الله كسرى وقيصر وهم أعداء الله فيما تعلم،
وأنت رسول الله وحبيب الله وأنت في هذه الحالة.

فيقول ﷺ: «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون
لهم الدنيا وتكون لنا الآخرة؟»^(١).

أما ترضى أن يأكلوا ويسكنوا القصور ويتوالوا ما أرادوا، ويتفكّهوا
بما أرادوا، ويتمتعوا بما أرادوا، ولكن الآخرة بجنتها وأنهارها
وقصورها للمتقين «وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ
بِالرَّحْمَنِ لِبُشِّرُهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَابِحٍ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ٣٣
وَسُرُّاً عَلَيْهَا يَسْكُونُ ٣٤ وَرُخْرُقًا وَلَدَنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ٣٥ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ٣٦».

يقول الشافعي رحمة الله:

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الضأن تأكله الكلاب
هكذا حكمة الباري بala يعطي هذا الدين إلا من يُحب، وأما
الدنيا فيعطيها من يحب ومن لا يحب، بل يعطيها الزنديق الملحد
والرّغيد المنافق والفاجر المتهتك.

صحّ عنه ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده، لو أن الدنيا تساوي
عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»^(٢)، لكنها حقيقة
وزهيدة، فما رضي بها الله لعباده وما رضي بها رسول الله ﷺ للصحابية.

لقد قطعت أجسامهم في سبيل الله، وضررت أبشرهم، وسفكت

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه.

دماؤهم، وقطعت رؤوسهم، وهم يباغعون ويقدّمون أرواحهم ويقولون:
يا رسول الله ما لنا إذا نصرك الله؟

فما قال: المناصب، وما قال: الملك، وما قال: الأموال، بل
قال: الجنة.

فقام ابن رواحة أحد الشباب الأبطال وقال: ربح البيع يا
رسول الله، والله لا نقيل ولا نستقيل.

فهو بيع مُبَرَّم، والله لا نعود فيه ولا ننكر البيعة، وسوف ترانا
نقدم أنفسنا ما دام أنت قد ضمنت لنا الجنة وأتيت بالعقد من السماء.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشْرَقَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ
إِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ
حَقًّا فِي التَّوْرَىنَةِ وَالْأَيْمَنِ وَالْقُرْمَانِ وَمَنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَتَسْتَبِّشُوا بِيَبْعِكُمُ الَّذِي بَأْيَعْمَمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كان سالم مولى أبي حذيفة أحد الموالى من أصحاب الرسول ﷺ
يحفظ القرآن، فخرج من المدينة مع جيش المسلمين إلى اليمامة ليقاتل
مسيلمة الكذاب، فلما بدأت المعركة ذهب فاغتسل وتحفظ ولبس أكفانه
وكسر غمده على ركبته، ثم قاتل حتى قُتل، وقال قبل أن يُقتل: بئس
حامل القرآن أنا إذا انهزمت اليوم، فذهب ولم يبق قليلاً ولا كثيراً.

والمقصود من هذه الحقائق التي ذكرها الله عز وجل أن يعلم
الإنسان حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، ومن هم أهل الجنة ومن هم أهل
النار.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ اعلموا إن كنتم تعلمون، واسمعوا إن
كنتم تسمعون، وافهموا إن كنتم تفهمون.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاهُّمٌ وَكَثُرَّ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

بِوَبِ الْبَخَارِيِّ بَاباً يَقُولُ فِيهِ: (بَابٌ) مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ ۖ
وَأَصْحَابُهُ مِنْ شَفَّافِ الْعِيشِ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَصَابَنِي جُوعٌ، اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، حَتَّىٰ وَاللَّهُ الَّذِي لَا
إِلَهٌ إِلَّا هُوَ إِنِّي كُنْتُ أُضْرَعُ بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَبَيْتِ الرَّسُولِ ۖ

قَالَ: فَيَأْتِي الصَّحَابِيُّ فَيَظْنَ أَنَّ بَيْ مَسْتَأْ مِنَ الْجَنِّ.

فَصَلَّيْتُ لَيْلَةَ مِنَ الْلَّيَالِي مَعَ الرَّسُولِ ۖ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْجُوعِ
مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ، وَفِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ: مَا كُنْتُ أَدْرِي مَا يَقْرَأُ بَنَا فِي
الصَّلَاةِ.

فَلَمَّا أَنْهَى الصَّلَاةَ خَرَجَتْ لِأَتَعَرَّضَ لِلنَّاسِ لِعَلَّهُمْ يَأْخُذُونِي إِلَى
بَيْوَتِهِمْ لِيَطْعَمُونِي.

لَكِنْ هَلْ يَعْرُضُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: أَطْعَمُونِي؟ هَلْ يَقُولُ: أَشْبِعُونِي
وَاسْقُونِي؟

لَا.. بَلْ كَانَ يَعْرُضُ نَفْسَهُ، فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ بَعْضِ الْآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ
لِعَلَّهُمْ يَفْهَمُونَ مَقْصِدَهُ فَيَضْيِغُونَهُ! فَتَعَرَّضُ لِأَبْيَ بَكْرٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مَا
يَرِيدُ بَلْ أَجَابَ عَلَى سُؤَالِهِ وَمَضَى! وَهَكُذَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ!

قَالَ: فَخَرَجَ ۖ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ بَدَأْنِي
بِالْكَلَامِ قَبْلَ أَنْ أَبْدِأَهُ فَتَبَسَّمَ وَقَالَ: تَعَالَ مَعِي.

عَرَفَ ۖ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ سُؤَالًا وَلَكِنَّهُ يَحْمِلُ جُوعًا وَظَمَاءً.

قَالَ: فَأَدْخِلْنِي فِي الْبَيْتِ وَمَا فِيهِ كُسْرَةُ خَبْزٍ وَلَا فِيهِ تَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ
وَلَا زَبَبَةٌ، وَمَا فِيهِ إِلَّا قَدْحٌ مِنْ لِبَنٍ، فَرَأَيْتَ الْلِبَنَ فَقَلَّتْ: يَسْقِينِي الْآنَ
فَيَرِدُ عَلَيَّ جُوعِي بِإِذْنِ اللَّهِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا هِرَرَةَ.

قَلَّتْ: لَبِيكَ وَسَعَدِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قال: اذهب إلى أهل الصفة الفقراء المساكين في المسجد فنادِهم .

فقلت في نفسي: الله المستعان، أنا أولى بهذا اللبن وأهل الصفة إذا أتوا وهم ما يقارب السبعين أو الثمانين لا يبكون من اللبن شيئاً، فماذا يبقى لي؟ لكن لا بد من أمر الرسول ﷺ .

فذهب إلى أهل الصفة فناداهم فجاؤوا يُهُرِّعون حتى دخلوا على المصطفى ﷺ، فأعطاهم من اللبن حتى شربوا وارتوا جميعهم، وأبو هريرة يراقب الموقف وقد أُسقط في يده، فلما انتهوا وخرجوا قال ﷺ: يا أبا هر .

قلت: ليك وسعديك يا رسول الله .

قال: خذ الإناء فاشرب .. فشربت والله حتى ارتويت .

فقال: اشرب .

فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق نبأ ما أجد له مكاناً .

فأخذ البقية في الإناء فسمى وشرب ﷺ^(١) .

لقد ناله ﷺ التعب والجوع، ولم يكن جزاؤه في هذه الدنيا، لأنها دنيا حقيرة توشك أن تزول فهي كظل الشجر، بل العطاء والرضي سيكُون في الآخرة إن شاء الله كما قال سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعَطِّيلُكَ رَبُّكَ فَتَرَكُنَ﴾^(٢) .

دخل عمر رضي الله عنه على إبل الصدقة ومعه مولاه وخدمه، فقال الخادم لما رأى الإبل الحمر كأنها الجوخ: صدق الله يوم يقول: ﴿قُلْ يَعْصِيُ اللَّهَ وَرِبَّهُ فَإِنَّكَ فَلَيَقْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ .

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

فقال عمر: كذبَت يا عدو الله، ليست هذه رحمة الله ولا
فضل الله.

أتدرى ما رحمة الله؟ رحمة الله: الاستقامة على أمر الله، والعمل
على نور من الله حتى تلقى الله.

يقول تعالى: ﴿أَلَهُنَّكُمُ الْكَافِرُ﴾ (١)، تكاثرتم حتى حملتم على
النعش إلى المقابر.

أتيت القبور فناديتها أين المعظم والمحترر
تفانوا جميعاً فما مخبر وما توا جميعاً ومات الخبر
ويقول سبحانه عن حقارة الدنيا: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوا فُرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةً﴾، لا ثياب ولا سيارات ولا قصور ولا مناصب ولا أولاد
ولا أموال ولا وظائف، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُوا فُرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً وَرَكِبْتُمْ
مَا حَوَّلَنَّكُمْ وَرَأَيْتُمُ الظُّهُورِكُمْ﴾ فلم تأتوا معكم بشيء منها.

وقف علي رضي الله عنه على القبور فبكى وقال: السلام عليكم
يا أهل القبور، أتخبركم بأخبارنا؟ أما الزوجات فتزوجت، وأما البيوت
فقد قسمت، وأما الأموال فقد ورثت، هذه أخبارنا فما أخباركم؟

ثم بكى وقال: سكتوا، ووا الله لو نطقوا لقالوا: ﴿وَكَرَوَدُوا فَإِنَّكَ
خَيْرَ الرَّازِدِ النَّقَوِيِّ﴾.

لقد وصف الله هذه الدنيا كما سبق كحديقة غناء فيها من الزهور
والأشجار الشيء الكثير والشيء الجميل والبديع، وتحوم فيها الطيور
المغيرة والنحل البهي والفراش الملؤن.

ولكن فجأة.. فإذا الحديقة قد ذبلت أشجارها، وتساقطت
ورودها وأزهارها، وولت طيورها وفراشها.

فأصبحت الأرض كالحنة يابسة جافة، حتى تكاد تسأل نفسك
وتقول: أهذه هي الحديقة التي مررت بها قبل أيام أو قبل ساعات؟

أين الزهر؟

أين التمر؟

أين البيل؟

أين الماء؟

لقد ذهب ذلك إلى غير رجعة.

وهكذا حال الدنيا يا عباد الله، تزهر وتتزين للناظرين، فإذا هي
عما قليل قد انطفأت بهجتها.

وضمرت نضارتها وذابت.

ولكن من يعتبر؟

ثم قال تعالى: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ للعصاة والمعرضين
﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ للطائعين المؤمنين.

أما موعدوه سبحانه لأهل الإيمان فقد مضى معنا أنه جنة عرضها
كعرض السماء والأرض.

جنة واسعة لا تحيط بها العين ولا تسعي عليها القدم، لأقل
واحد فيها مثل ملك أغنى أهل الأرض عشر مرات.

وموضع سوط فيها خير من الدنيا وما فيها.

ولكن كل هذا لمن أعد؟ ولمن هيئ؟

قال تعالى: ﴿أَعْدَّتِ الْأَذِنَاتِ إِنَّمَا يُمُّنُّ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ دون غيرهم من
لم يؤمن لا بالله ولا برسله.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ لَا فضلٌ غيره: ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

فنسأل الله من فضله العظيم، وأن يجعلنا من ورثة هذه الجنة
الواسعة وأباعنا وال المسلمين.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



لعلك تنجو

الحمد لله ، والصلوة والسلام على رسول الله وآلها وصحبه .

معنا في هذه الأوراق حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه وأرضاه قال : بعث رسول الله ﷺ رجلاً من الأذد يُقال له ابن اللثيّة على صدقاتبني سليم ، فلما بعثه ﷺ لقبض الصدقات أتى فقال : يا رسول الله هذا لكم - يعني شيئاً من الصدقة - وهذا أهدي إليّ .

فقال ﷺ له : أفلأ جلست في بيت أبيك وأمك فترى هل يهدى إليك أم لا ؟

ثم قام ﷺ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما بال رجال أبعثهم لقبض الصدقات فيأتي أحدهم فيقول : هذا لكم وهذا أهدي إليّ ، أفلأ كان جلس في بيت أبيه وأمه فيري هل يهدى إليه أم لا ؟

ثم قال ﷺ : والذي نفسي بيده لا يأخذ رجل مالاً بغير حق إلا أتى به يوم القيمة .

وفي رواية مسلم : ولا عرفن رجالاً يأتون يحملون على رقبهم ما أخذوا إن كان إبل له رغاء ، أو بقرة له خوار ، أو شاة تيعر .

ثم قال ﷺ : اللهم هل بلغت ؟

وفي المسند من حديث عبدالله بن المغفل بسنده حسن: «لا يأتي أمير يوم القيمة إلا وهو مغلول.. فإن أصاب في ولايته فك الله غلته، وإن لم يصب تَدْهَلَةً على وجهه في النار» أو كما قال عليه السلام.

في حديث ابن التتية عدة مسائل مهمة للأمة منها:

المسألة الأولى: أكبر قضية في هذا الحديث أن من غل شيئاً أو أخذه بغير حقه، فضله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيمة، فضلاً عن معاقبته له. فمن سرق أو غلَّ بغيراً مثلاً ولو من بيت مال المسلمين فإن الله تعالى يأتي به أمام الناس يوم القيمة وهو يحمل بعيره وللبعير رغاء يسمعه أهل الموقف ليكون أشد في فضيحته.. فما بالكم بمن غلَّ أكثر من بعير؟ وهكذا الغنم وهكذا البقر.. وغيرها.

فأين هؤلاء الغلال عن أبي بكر الذي مات وما خلف إلا ثوبين وبغلة وشيئاً من مال فيقول: اذهبوا لعمر بن الخطاب وقولوا له: يا عمر اتق الله لا يصرعنك الله كمضرعي.

فلما وصلت التركرة إلى عمر بكى حتى جلس وقال: أتعبتَ الخلفاء بعده يا خليفة رسول الله.

وعمر لما تولى ما أخذ قليلاً ولا كثيراً، حتى يقول على المنبر: والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأتم من مالكم شيئاً إلا بُرْدَتِين أو ثوبين.. ثوب يلبسه في الصيف وثوب في الشتاء.

وفي حديث في الصحيحين أنه قال عليه السلام: «من غلَّ ذهباً صُفحت له صفائح فأحرقت به»، وشاهدته في القرآن: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفَعُونَهَا فِي سَيِّلِ اللَّهِ فَيُشَرِّهُمْ يَعْذَابُ اللَّهِ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتَكُونُ بِهَا جَاهَهُمْ وَجُهُوَهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» 35.

فالله.. الله أن يراقب الإنسان نفسه مع الله ولا يستصغر أي

مسؤولية: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، ولو كان درهماً واحداً أو ريالاً.

إنها مسؤولية أمام علام الغيوب سبحانه وتعالى عندما يقول: «وَلَقَدْ جِئْنُوكُمْ فُرَادَى كَمَا حَلَقْتُكُمْ أَوْلَى مَرَّةٍ وَرَكَبْتُمْ مَا حَوَّلْتُكُمْ وَلَمَّا ظَهُورُكُمْ وَمَا تَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءُكُمُ الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَهْمَنْ فِيْكُمْ شَرَكُوا لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ ﴿٤٦﴾».

يقول ﷺ: «اللهم من تولى من أمر أمتي شيئاً فرق بهم فارق به، ومن شق عليهم فاشقق عليه»^(١). وهذا الحديث صحيح، فمن رفق ورحم رحمة الله، ومن شق عليهم وأخذ أموالهم وأتعسهم أتعسه الله في الدنيا والآخرة.

وفي حديث لكن في سنته نظر: «الناس عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»^(٢).

وقد عرف الصحابة والسلف عظيم مسؤولية الإمارة فلذلك كانوا يستعنون الرسول ﷺ.

يقول الرسول: اذهب يا فلان أميراً.

فيقول: اعفني يا رسول الله من الإمارة.

قام ﷺ في الناس خطيباً في المسجد فقال: «والذي نفسي بيده لا نُولِي أحداً منكم على عمل فینقصنا ولو بخيطاً أو شعرة إلا أتى بها يوم القيمة»^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في المشكاة (٤٩٩٨).

(٣) مسلم (١٨٣٣).

فقام رجلٌ أسمهُر من الأنصار فقال: يا رسول الله خذ عملك،
والله لا أتولى لك عملاً.

قال: ولم.

قال: سمعتكم تقول كيت وكيت.

فرفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصبعه وقال: والذى نفسي بيده لقد قلته: والذى نفسي
بيده إنى أقوله الآن: من تولى عملاً فنقصنا مخيطاً أو شعرة ليأتين به
يوم القيمة، أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأحجموا جميعاً حتى يقول عمر: ما أحببت الإمارة في الإسلام
إلا مرة واحدة أثناء فتح خيبر لما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأعطيئ الرأية غداً رجلاً
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»^(١).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يولي الناس لا ينظر إلى نسب ولا ينظر إلى
أسرة ولا ينظر إلى قبيلة، فأتقاهم أقربهم إلى الله وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أكترمكم عند الله عَنْدَ اللَّهِ أَكْرَمُكُمْ. حتى ورد في المسند أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:
«لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيأ لوليته الخلافة»^(٢).

ولذلك لما طلب العباس عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه أن يوليه ولاية قال
له: «يا عم نفسك تنجيها خير من إمارة لا تحصيها».

فما الذي ينفع الإنسان إذا قدم يوم القيمة وقد تولى إمارة الدنيا
جميعاً ثم لم يعدل ولم ينصف ولم يتق الله ثم خسر نفسه.
فأخذها رضي الله عنه وأرضاه وصية من المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأتى أبو ذر إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله وليت فلاناً
ووليت فلاناً، فلماذا لم تولني؟

(١) متفق عليه.

(٢) لعل القائل عمر. راجع الإصابة (٤/١٠٤).

قال: «يا أبا ذر، والله إني أحبك وأحب لك الخير كما أحبه لنفسي».

يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة، وإنها خزي وندامة، نعمت المرضعة وبئسث الفاطمة» رواه مسلم.

وأتى سيد القراء أبي بن كعب إلى عمر فقال: يا عمر كيف تولي الناس وتتركني؟

قال عمر: والله يا أبي.. والله يا أبا المنذر إني أحبك كحبي لنفسي، ولكنني تركتك من الإمارة لثلاثة أدنى إيمانك.

فأخذها نصيحة من عمر، فلم يتول ولاية حتى لقي الله سبحانه وتعالى.

هذا هو منهج السلف في تهريتهم وبعدهم عن الإمارة لما علموا عظم مسؤوليتها عند الله يوم القيمة.

قال الخليفة لأبي حنيفة: تولى القضاء.

قال: لا أصلح له.

قال: أنت كاذب.

قال: كيف تولي كاذباً!

وورد أن الإمام مالك أرادوه للقضاء وهو أقل من الولاية. فرفض.

ولما تولى إسماعيل بن علية القضاء كتب له ابن المبارك: ويلك من الله إن في الحديث: «القضاء ثلاثة: اثنان في النار، وواحد في الجنة»^(١).

(١) رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني في المشكاة (٣٧٣٥).

فانظر أن تكون من الاثنين.

فكتب لابن المبارك: ما فهمت ما تقول!

قال ابن المبارك: أبي هذا إلا أن نقشر له العصا، فكتب له
قصيدة لأنه لم يفهم الترا

يا جاعل العلم له بازيأ
أين روایاتك فيما مضى
إن قلت أخطأت فقل لي
يصطاد به أموال المساكين
عن ابن عون وابن سيرين
إذا زل حمار الشيخ في الطين
فلما فرأ القصيدة عرف المعنى فبكى، ثم دخل على هارون
الرشيد وطلب العزل من القضاء.

ولكن هذا ليس على إطلاقه، فإن كان هذا المنصب أو الدائرة أو
المكان بحاجة لك وأنت إن شاء الله من أصلاح الموجودين فلا تتأخر
عن توليه.. قال يوسف عليه السلام: «أَجعَلْنِي عَلَى خَزَائِينَ الْأَرْضِ إِنِّي
حَفِيظٌ عَلَيْهِ».

وقال عمر لأبي هريرة: تولى الإمرة.

فقال: والله لا أتولى، أخاف ثلاثة واثنتين.

قال: قل خمساً!

قال: لا، أخاف ثلاثة واثنتين.

قال: ما هي؟

قال: أخاف أن يُجلد ظهري، ويؤخذ مالي، ويُسفك عرضي.
وأخاف في الآخرة أن يؤتى بي مغلولاً، وأن أرد على وجهي في النار.
قال عمر: يا ابن أم أبي هريرة، أنت خير أم يوسف الذي
يقول: «أَجعَلْنِي عَلَى خَزَائِينَ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهِ».

قال: يوسف كريم ابن كريم ابن كريم.

وأنا ضعيف ابن ضعيف ابن ضعيف! أو كما قال. وقد صدق رضي الله عنه، فمن وجد في نفسه قوة وأمانة فليتول المنصب وإلا فليهرب منه.

المسألة الثانية: أنه ﷺ كان لا يترك الصدقات في أيدي الناس يتلاعبون بها، بل كان يرسل عماله لجمعها.

ففي الصحيحين أنه أرسل معاذًا إلى اليمن وكان مما قال له: «أخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم».

ومن أرسلهم ﷺ عمر بن الخطاب لجمع الصدقات من الناس، فمرّ بالناس جمیعاً وقال: يا رسول الله كل الناس دفعوا إلى الصدقة إلا ثلاثة.

قال: من هم؟

قال: عمك العباس، وخالد بن الوليد، وابن جمیل.

قال: أما عمك.. أما علمت يا عمر أن عم الرجل صنو أبيه، هي علىٰ ومثلها (لأن العباس أسلف الرسول ﷺ لستين، فاستحينا أن يقول أعطيتها للرسول ﷺ فامسك الصدقة).

واما خالد بن الوليد، فإنكم تظلمون خالداً، لقد احتبس أدرعه وأعنته في سبيل الله.

وفي بعض الروايات قال خالد: هي وقف في سبيل الله.

يقولون معن لا زكاة لماله وكيف يزكي المال هو باذله

وأما ابن جمیل فما ینقم ابن جمیل إلا أن كان فقیراً
فأغناه الله^(۱).

فالشاهد أن الرسول ﷺ كان یرسل أصحابه، لكن یُرسل الأمانة
وأهل الاستقامة.

فيُشترط فيمن یتولى على الزکوات والصدقات والتبرعات أن يكون
فيه خصلتان: القوة والأمانة.

كما كان موسى عليه السلام عندما قالت فيه ابنة شعيب: ﴿إِنَّ
خَيْرََ مَنِ اسْتَعْجَرََ الْقَوِيَُّ الْأَمِينُ﴾. فأمانة بلا قوة ضعف، وقوة بلا أمانة
فجور.

وأرسل الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليشاطرهم النخل
ويخرّص نخلهم.

فلما وصل إليهم.. جمعوا أموالاً ليرشوه!
سبحان الله! ما وجدتم إلا عبد الله بن رواحة الذي یتنتظر الموت
صباح مساء في سبيل الله، ولا یريد الدنيا إلا لمرضات الله؟
أما وجدتم إلا صحابياً من أصحاب الرسول ﷺ؟

فأتوا وقالوا يا ابن رواحة: خذ هذا المال وراعنا في الخرص..
فاحمر وجهه حتى أخذ یتفض و قال: يا إخوان القردة والخنازير، والله
الذي لا إله إلا هو إنكم أبغض عندي من أمثالكم، وإن هذا لا
يحملني على العیف - يعني على ظلمكم -، والله لا أظلمكم ولا آخذ
قید أنملة.

قالوا: بهذا قامت السموات والأرض، أي بهذا العدل قامت
السموات والأرض.

(۱) رواه البخاري.

المسألة الثالثة: محاسبة العمال، فحقٌ على المسلم الذي يتولى ولاية أن يحاسب من تحت يده من رؤساء المكاتب ومن المسؤولين عن الأقسام والشعب والدواير، ليلىقى الله وقد حاسبهم. فإن ترك الأمور دون رقابة ولا محاسبة فمعناه الوهن، ومعناه الفشل والضياع.

والرسول ﷺ في هذا الحديث - حديث ابن اللتبية - حاسب عماله وسأل عن المال وعن الزكاة.

ويقاس على ذلك من كان مسؤولاً في كلية، أو مدرسة، أو معهداً، أو ثانوية، أو دائرة حكومية، أو مصلحة، أو شركة، أو مؤسسة، فعليه أن يتفقد دائمًا من تحت يده بالحساب، وبالجلسة، والبحث عن أخبارهم، ومتابعة دوامهم، وحضورهم وذهابهم، وأدائهم للدروس، وتحضيرهم للمحاضرات، فإن الله سوف يسأله عن رعيته وعن أساتذته وعن من تحت يده. وقصص محاسبة عمر رضي الله عنه لعماله كثيرة.. كقصته مع ابن عمرو بن العاص لما ساق المצרי فسيقه.

ومر يوماً فرأى عمارة تُبني من جُصٍ في المدينة فقال: لمن هذه؟

قالوا: لواليك على بلدة كذا في الشام.

قال: أبت الدراما إلا أن تُخرج عناقها! والله لا يتولى لي ولاية.. ثم عزله.

وأتاها أحد ولاته واسمها الحارث بن زياد.. فلما رأه يلبس المرقع ويأكل الخبز والزيت قال له: يا أمير المؤمنين غيرك أولى بهذا منك! فقال: ثكلتك أمرك، إني كنت أظن أنك خير من هذا، اذهب والله لا تلي لي ولاية أبداً!

المسألة الرابعة: هدايا العمال غلول، صح ذلك من حديث ابن

مسعود رضي الله عنه وأرضاه^(١). فالهدية التي تقدم للعامل وللولالي وللمسؤول من أحد الناس هي رشوة.

لأنه لو لا منصبه لما أهدى له هدية.

فالقلوب يستعبدتها الإحسان والهدايا دائمًا.

كان المغيرة بن شعبة أميراً في الكوفة فجعل خادمه عند الباب وقال: لا تدخل أحداً إلا من آذن أنا بدخوله.

فأدخل من آذن له إلا واحداً أتى فعرفه فأدخله.

قال المغيرة: لماذا أدخلته؟

قال: أدخلته لأمر.

قال: ولماذا؟

قال: إنه أحسن إلي يوماً من الأيام.

قال: أحسنت إن المعروف ينفع حتى في الكلب.

لكن استثنى الفقهاء إذا كان بينهما هدايا من قبل، كأن يكون حبيباً له وليس عنده معاملة له ولا مشكلة ولا شيئاً من أمور الدنيا، فله أن يهدى إليه ويأخذ هديته.

والرشوة لها أقسام وهي:

١ - هدية العمال.

٢ - الولائم التي تقام من أجله.

٣ - ما يقدم له من الخدمات.

٤ - إكثار الزيارة له حتى يصادقه.

(١) رواه البيهقي (١٣٨/١٠).

٥ - مجاورته.

المسألة الخامسة: من مسائل الحديث التعميم في الإنكار بلا تشهير، فنحن أمنا أن تكون هيئتين لليدين للمسلمين، وألا نشهر بالناس ولا نعلن الأسماء على المنابر. فالرسول ﷺ يعرف أنه - أي العامل - عبد الله بن اللتبية، ويعرف أنه أزدي من أزد شنوة، لكنه لم يقم أمام الناس يوم الجمعة ويقول: يا أيها الناس اسمعوا، أرسلنا عبد الله بن اللتبية إلى بني سليم قبل أيام ففعل وفعل !!

أبداً.. فأسلوبه ﷺ أسلوب الحكم والمصلحة وعدم جرح القلوب.. لثلا يخسر الناس، لعل المخطئ أن يتوب بسر ودون تشهير.

المسألة السادسة: جواز الخطبة للحاجة، فقد كان ﷺ إذا سمع أمراً حادثاً للناس أو يُحتاج إلى التنبيه عليه قام وخطب الناس.

تكسف الشمس فيقول الناس: كسفت لموت إبراهيم ابنه ﷺ.

فقام وأعلن أنها لا تكسف لموت أحد ولا لحياة أحد.

يأتي الناس فقراء فلا يجدون من يعطيهم، فيقوم ﷺ ويخطب لعل أحداً أن يساعدهم.

المسألة السابعة: الهدية وما ورد فيها:

ورد قوله ﷺ: «تهادوا تحابوا»^(١) وهو حديث حسن.

وورد في حديث حسن آخر: «الهدية تسل السخيمة»^(٢)، والسخيمة هي ما يأتي في القلب من أحقاد بين الناس.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في الإرواء (١٦٠١).

(٢) رواه الترمذى بنحوه وضعفه الألباني في المشكاة (٣٠٢٨).

فحبذا أن تجعلها دينك مع جيرانك ومع أقاربك، فتهدي إليهم ولو شيئاً قليلاً لأنها تسل السخيمة وتدفع الجفاء، وهي أحسن من كثير من المال.

وقف ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه عند زمزم في الشمس، فأتى أعرابي فظلل ابن عباس بمظلته وابن عباس يشرب، ثم ذهب الأعرابي وذهب ابن عباس.

وبعد سنوات أتى الأعرابي وقال: يا ابن عباس لي عندك يد أريد أن تكافئني بها.

قال: ما هي؟

قال: رأيتك مع الحجاج تشرب من زمزم وقد صهرتك الشمس وقد ظللتك بكسائي.

قال ابن عباس: أهلاً وسهلاً، ثم أجلسه بجانبه فأغدق عليه من المال والأشياء.

وقد كان الرسول ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، أي يكافئ عليها.

فيقول ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلى ذراع لقلبه»^(١).

وهذا من تواضعه ﷺ. فالحكمة أنك تقبل الهدية إذا علمت أنه لا يترتب عليك مفسدة في عرضك ولا في دينك، لأنك إذا ردت الهدية وجد صاحبها عليك، وكان هذا سوء تعامل مع الناس. والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ.

(١) البخاري (٢٠١/٣).

تعرّف على الله

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد..

إخواني في الله، يقول ﷺ من حديث طويل: «تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

وهذه الوصية قالها أخشن الناس لرب الناس، وأعلم الناس بما لرب الناس من جلال وكمال، وأصدق الناس في الوصية للناس. وهي من حديث طويل حيث ركب ابن عباس رضي الله عنهما مع رسول الهدى ﷺ على حمار.

فقال لابن عباس وهو في مقتبل العمر، شاب في أول الطريق لا يعلم ما الله صانع به، فاختلسها رسول الله فرصة واهتب لها سانحة نادرة فقال لابن عباس: «يا غلام».

فالتفت الغلام، واستمع الغلام، وأنصت الغلام.

قال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأّل الله، وإذا استعن فاستعن بالله. وأعلم أن الأمة لو

اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى بسند صحيح.

ما أحسن الحديث!

وما أعظم الوصية!

وما أجمل الخطاب!

تعالوا معنا أيها الناس إلى دعوته ﷺ، وكيف علم أصحابه أن يعرفوا الله في الرخاء ليعرفهم في الشدة.

وهذه سئلة الله في الخلق أن من تعرف على الله في الرخاء عرفه في الشدة، ولذلك كانت أمنية الصالحين قديماً وحديثاً، أنبياء وغير أنبياء، أن يحفظهم الله في الشدة.

● يقول إبراهيم عليه السلام: «وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطَّيْثِيقَ يَوْمَ الْلَّيْلَتِينَ» (٨٢)، طمع فقط في رحمة الله ونسى رسالته ونسى الصالحات التي قدم وعد نفسه مذنبًا فقال: «وَالَّذِي أَطْمَعَ أَنْ يَغْفِرَ لِي حَطَّيْثِيقَ يَوْمَ الْلَّيْلَتِينَ» (٨٣). وإبراهيم عاش الرخاء حافظاً لله يوم أعرض الناس عن الله، كان مصلياً متوجهاً موحداً حنيفاً مسلماً، ولم يكن من المشركين.

الناس يسجدون للأصنام، وهو يسجد لله.

الناس يتعلّقون بالأوثان، وهو يتعلّق بالله.

الناس يقدّسون الخرافة، وهو يقدّس ربه.

فأوقدوا له النار بعد أن دخل على الثمرود الكذاب الدجال على الله.

يقول الله جلّ قدرته: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيْهِ؟»،
ألم تر إلى من ضيّع حدود الله؟

ألم تر إلى من انتهك حرمات الله؟

ألم تر إلى من كفر بالله؟

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيْهِ أَنْ إَنْتَهَ اللَّهُ الْمُلْكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُعِيْهُ وَيُمِيْتُ»، الخالق هو الله، وهو الرازق والمدبر.

من يا طبيب بطبّه أرداك
قل للطبيب تخطفته يد الرّدّي
عجزت فنون الطب من عافاك
قل للمربيض نجا وعوفي بعدهما
من الذي بالشهد قد حلاك
والنحل قل للنحل يا طير البوادي
فاسأله من ذا بالسموم حشاك
وإذا ترى الشعban ينفث سمه
وهذا السم يملا فاك
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا
فالحمد لله العظيم لذاته
حمدًا وليس لواحد إلاك

قال إبراهيم: «رَبِّيَ الَّذِي يُعِيْهُ وَيُمِيْتُ»، لا يحيي ولا يحيي
إلا الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما تكسب نفس
غداً إلا الله، ولا يعلم بأي أرض تموت إلا الله.

قال الكذاب: «أَنَا أَحِيْهُ وَأَمِيْتُ».

قال: كيف؟

فأخرج محبوسين فأعتقد واحداً وقال: هذا أحبيته، وقتل واحداً
وقال: هذا أمتة.

فسلم له إبراهيم جدلاً وقال: «فَإِنَّ اللَّهَ يَأْنِي بِالشَّمَسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
فَأَنِّي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهِيْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ».

جمعوا لإبراهيم بعدها ناراً وأوقدوا الحطب، وأشعلوا النار

ووضعوه في المنجنيق وأطلقوه ليهوي في النار، لا صاحب ولا صديق ولا ركن ولا ناصر إلا الله.

فالزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
 «إِنَّا لَنَصْرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
 الْأَشْهَدُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ الْعَذَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ
 الْأَدَارِ ٥٢». *

قال بعض أهل العلم: أتى جبريل عليه السلام إلى إبراهيم وقال:
 ألك إلى حاجة؟

قال: أمّا إليك فلا، وأمّا إلى الله فنعم^(١)، ثم قال: «حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ».

قال ابن عباس في صحيح البخاري: «حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ»، قالها إبراهيم لما ألقى في النار فنجاه الله، وقالها محمد ﷺ لما قيل له: «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمِعُوا لَكُمْ فَلَا خُشُونَمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ فَأَنْتُمُ بِنِعْمَتِنَّ اللَّهِ وَفَضْلِ لَمْ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ». *

فهل قال شبابنا: «حَسْبَنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ»، لما أتتهم الهموم والغموم، ولما رأوا المعاشي والفتن والحوادث؟ وهل قالته الفتيات والنساء؟

لينقلب الجميع بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

فوقع إبراهيم في النار فأصبحت برداً وسلاماً بفضل الله، لأنه حُقِّق «تَعْرَفُ عَلَى اللَّهِ فِي الرَّحَاءِ يَعْرُفُكَ فِي الشَّدَّةِ».

(١) انظر تفسير ابن كثير (١٩٣/٣).

● ولد موسى عليه السلام في زمن كان فيه فرعون يقتل الأبناء،
فأين تخفيه أمه؟

فانقطعت بها الحبال إلا حبل الله، فأخذت ابنها ووضعته في
تابوت ثم ألقته في اليم تنفيذاً لأمر الله سبحانه، ثم فزعت لفراقه
وحزنت فاستأنست لما ربط الله على قلبها.

ولكن أين يذهب موسى هذا الطفل الصغير الذي لا يعرف أن
يأكل أو يشرب أو يتكلم أو أن يدافع عن نفسه؟

لقد ذهب إلى بستان رجل من الناس، وترك البساتين حول نهر
النيل، وذهب إلى بستان الطاغية فرعون!!

فتأخذه الجواري فيضجعه بين يدي الطاغية المجرم، فأراد قتله
فمنعته آسيا زوجته المؤمنة الصادقة التي تعرّفت على الله في الرخاء
فعرفها في الشدة.

يقول أهل العلم: عذبها فرعون يوم طلبها أن تشهد أنه الله الذي
لا إله إلا هو، فكفرت به وقالت لا إله إلا الله.

فسمر يديها في الأرض فما وجدت ألمًا.

فوضعها في الشمس فأتت الملائكة تظلها بأجنحتها.

يا حافظ الآمال أنت منعنتي ونصرتني
وعدًا الظلوم على كي يجتاحني فمنعنتي
فانقاد لي متخشعاً لما رأك نصرتني

فلما رأت موسى أحبته، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقْيَتُ عَيْنَكَ مَحَبَّةً
مِّنِي﴾، قال أهل العلم: ما رأك أحد إلا أحبك.

قالت لفرعون: ﴿فَرَأَتُ عَيْنِي وَلَكَ﴾، اترك الطفل لعله أن يكون
ولدًا لنا (لأنهما عقيمان).

قال: قرة عين لك أنت، أما أنا فلا.
قال أهل العلم: والله لو قال فرعون: قرة عين لي لأقر الله عينه
بموسى.

وعاش موسى والله يحفظه لأنّه كان من المخلصين محققاً لقوله:
«تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

ودارت الأيام وقتل رجلاً وفر هارباً لا يملك شيئاً، جائعاً مريضاً
غريباً.

ولذلك أورد أهل السير أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مذين
وسقى للجاريتين عاد إلى الظلّ ورفع يديه وبكي وقال: يا رب أنا
مريض، يا رب أنا غريب، يا رب أنا جائع، يا رب أنا فقير.

فأوحى الله إليه: يا موسى المريض من لم أكن أنا طبيبه،
والجائع من لم أكن أنا مشبعه، والغريب من لم أكن أنا مؤنسه،
والفقير من لم أكن أنا مُعنيه.

وهو قوله: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».

وعاش وتزوج ابنة الرجل الصالح بعد أن أتته تدعوه لأبيها فقال:
تعالى ورائي ودليني على الطريق.

سبحان الله! يا للحياة! يا للروعة! يا لمراقبة الله!

فهل تصور شبابنا هذا الموقف، موقف موسى والجارية التي أتت
تدعوه، ثم هو يكون أميناً معها وحافظاً لعهد الله.

وهل علم بعض شبابنا هذا المبدأ وهم الذين أطلقوا نظرهم إلى
الحرام، ونظروا إلى الأجنبية، وانتهكوا الحرمات، وأغضبوا رب
الأرض والسماءات، وأكثروا في الخطىئات.

فأرسل الله موسى رسولاً إلى فرعون الطاغية، سبحانه الله!
هو يفر من الطاغية والله يريد أن يجعله يواجهه في موقف رسالة
وفي موقف تحدي... فخاف موسى.

ولكن لأنه تعرف على الله في الرخاء فقد عرفه في الشدة، فقال
له ولأخيه: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعَ وَأَرَى﴾.

وبعد أن تلاقي عليه السلام بالسحررة في مشهد رهيب مكشوف أمام
الناس أوجس في نفسه خيفة من سحرهم فقال له تعالى: ﴿لَا تَخَافْ إِنَّكَ
أَنْتَ أَلْأَعْلَى﴾، فنصره الله وحفظه من كيدهم لأنّه تعرف عليه في الرخاء.

فهرب من فرعون فطارده الطاغية بجنود كالجبار إلى أن وصل
موسى وقومه البحر، فخاف قومه أن يدركهم فرعون وجنوده فقال:
﴿كَلَّا إِنَّ مَعَنِي رَبِّ سَيِّدِينِ﴾ لأنّه علم أن الله سينقذه هنا كما أنقذه سابقاً
بشرط أنه تعرف عليه في الرخاء فعرفه في الشدة.
فأنقذه الله كما هو معلوم وأغرق عدوه.

• أما يونس بن متى فإنه خرج مُغاضباً لقومه، فلما ركب في
السفينة كما تعلمون جاءها ريح عاصف يقلبها ذات اليمين وذات
الشمال إلى أن رموه في البحر بأن استهموا فيما بينهم، أي افترعوا.
فأصبح في ظلمة البحر، وظلمة الليل، ثم اكتملت الظلمة بابتلاع
الحوت له، فأصبح في ظلمات ثلاث.

إلى من يلتجأ؟ إلى من يشتكي؟

قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَحْنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.
فأنقذه الله من الكرب والهم والشدة، لأنّه كان قد عرفه في
الرخاء، قال سبحانه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ ﴿١٦﴾ لَلَّيْكَ فِي بَطْرِيهِ
إِنَّ يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾.

● ويوسف عليه السلام لما رماه إخوته في البئر أصبح يُسبّح وهو طفل صغير.

قال بعض المفسرين: هدأت الضفادع والحيتان من التسبّح إلا يوسف عليه السلام فأنقذه الله.

فلما ذهب إلى مصر حدثت له الفتنة مع زوجة العزيز.

فهل وقع فيها؟

لا .. حاشاه ذلك، قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنَّهُ الْشَّوَّأْ وَالْفَخْشَأْ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الظَّاهِرِينَ﴾، لقد عرف الله في الرخاء فعرفه وقت الفتنة والشدة.

فيما من نظر إلى الحرام؟ ويا من هنّاك الأعراض .. هل قلت وقت الفتن كما قال يوسف: ﴿مَعَادَ اللَّهُ إِنَّمَا رَبِّ أَخْسَنَ مَنْ وَأَنَّمَا لَا يُقْلِعُ الظَّالِمُونَ﴾؟

إن قلتها فهنيئاً لك وطوبى بفضل من الله ورضوان.

هؤلاء الأنبياء وغيرهم كثير عرّفوا الله في الرخاء فعرفهم في الشدة، وهذه ستة الله لا تتغير ولا تتبدل أبداً، لأنّ من عرفه في الرخاء عرفه في الشدة.

● الذين لم يعرفوا الله في الرخاء:

أما الفريق الذي خالف هؤلاء فهم لم يتعرّفوا على الله وقت الرخاء فلم يكن نصيراً لهم وقت الشدة.

● ترجم ابن كثير للبرامكة بشيء عجيب ونبأ غريب.

البرامكة أسرة أعجمية فوّضها الخليفة هارون الرشيد في الأموال والديار، فبنوا القصور وبنوا الحدائق وكانوا يموّهون قصورهم بماء الذهب وماء الفضة.

أي بذخ هذا؟ أي ثراء هذا؟

فسوا الله وتركوا الصلوات، وارتكبوا الشهوات، وأكثروا من السيئات، وأكثروا من الفواحش، فأهلهم الله عز وجل ثم سلط عليهم أقرب الناس إليهم هارون الرشيد.

وثقوا بهارون الرشيد ووثق بهم، أحبوه وأحبهم، لكن كما أتى في الحديث: «من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضي الله رضي الله عنه وأرضى عليه الناس»^(١).

بغضب عليهم هارون الرشيد غضبة، لأنهم ما عرفوا الله في الرخاء فلم يعرفهم في الشدة، فأخذ كبيرهم الذي علمهم المعصية يحيى بن خالد البرمكي فأنزله في السجن سبع سنوات حتى طالت لحيته وأظفاره وشعر حاجبيه وطال شاربه وطال كل شيء فيه، حتى أصبح يقول: لا أنا في الدنيا ولا أنا في الآخرة.

ما رأى الشمس سبع سنوات.

قال له بعض الناس لما دخلوا يزورونه: ما لك؟

قال: ما عرفت الله في الرخاء فلم يعرفني في الشدة. وقال في رواية عنه: أتدرؤن بماذا أصابنا الله بهذه المصيبة؟

قالوا: لا ندرى.

قال: دعوة مظلوم سرت في ظلام الليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها.

فيما من تمهل في الرخاء.

(١) رواه ابن حبان (١٥٤١).

ويا من قاطع المساجد والصلوات الخمس.

اعلم أن الحفظ في الرخاء معناه الحفظ في الشدة.

يقول ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث جندي بن عبد الله البجلي: «من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله، فالمأثم لا يطلبنكم الله من ذمته في شيء، فإنه من طلبه أدركه، ومن أدركه كبه على وجهه في النار».

كيف يحفظ الله، كيف يرعى حدود الله، كيف يتعرّف على الله في الرخاء من لم يصلّى الصلوات الخمس، أو من أخرّها عن أوقاتها، أو من أسرف في تضييعها أو التلاعيب بها؟

• أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي: هو أحمد أهل البدعة، وأحمدنا أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.

كان كريماً في المال ينفق في المجلس الواحد مائة ألف دينار، وأنفق مرة من المرات يوماً واحداً ألف ألف درهم، لكن ضياع الله وضياع حدود الله، يقصد بالمال الرياء والسمعة، يقول فيه أبو تمام:

لقد أنسَت محسنَ كلَّ حسنٍ محسنَ أحمدَ بنَ أبي دؤادِ
وما سافرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاهِ رَاحْلَتِي وَزَادِيِ
حَقْدَ عَلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَأَغْرَى الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ بِجَلْدِ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ الْإِمَامَ أَحْمَدَ.. وَالْإِمَامَ أَحْمَدَ يَعْرَفُ اللهَ فِي الرَّخَاءِ
فَعْرَفَهُ اللهُ فِي الشَّدَّةِ.

وأحمد بن أبي دؤاد ضيّع الله في الرخاء فضيّعه الله في الشدة.

فقال الإمام أحمد: اللهم احبسه في جلده، اللهم عذبه قبل موته.

فاستجاب الله للإمام أحمد فأصابه أحمد بن أبي دؤاد الفالج.

فزاره بعض الناس من تلاميذ الإمام أحمد وقالوا: والله ما زرناك لنعودك، ولكن زرناك شامتين، الحمد لله الذي عذبك في جسمك، الحمد لله الذي حبسك في أعضائك، فكيف تجد حالك؟
قال: فأما نصفي هذا لو وقع عليه الذباب لكان القيامة قامت، وأما النصف الآخر فلو قُرِضَ بالمخاريف لما أحسست به.

ثم مات.

● أحد الخلفاء العباسيين ذكره السيوطي والذهبي وغيرهم تولى الخلافة فنسى الله.

أخذ حربة فكان يحميها بالنار ويقول: والله لأقتلن بها رجلاً.
وحرف حُفَّراً (خوانات) وملأها ذهباً وفضة.
قالوا: ما لك؟

قال: أخشى الفقر.

سبحان الله! يخشى الفقر والغني في السماء.
يخشى الفقر والرازق في السماء ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ كَثُرٌ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ .
فماذا كانت النتيجة؟

أتى الخليفة الذي من بعده فسلبه الخلافة واقتاده وأخذ خزائنه وأخذ ذهبها وفضتها، فأحمى حربته وأذهب عينيه الاثنين حتى أصبح أعمى، فقام في مسجد بغداد مسجد دار السلام - كما يقول السيوطي والذهبـي - يمد يديه ويقول: من مال الله يا عباد الله!!

لماذا؟

لأنه ما عرف الله في الرخاء، فلم يعرفه في الشدة.
ومن هذا المنطلق يا عباد الله ينبغي لنا أن نقف طويلاً عند

قوله ﷺ: «تَعْرَفُ عَلَى اللَّهِ فِي الرَّحْمَاءِ يُعْرَفُكَ فِي الشَّدَّةِ»، تعرّف عليه وقت الصّحة أن تصرفها في مرضات المولى سبحانه وتعالى.

وتعرّف عليه في وقت الفراغ أن تصرفه في ما ينفعك من قرآن وعلم واجتهاد وعبادة وعمل صالح، بدلاً من تضييعه في ما لا يجدي، أو ما يجر عليك ويلات في المستقبل، وليرحمك الله كما حفظت أوقاتك.

يا عباد الله! يا مسلمون.. يا صائمون.. يا مصلّون.. يا أبناء الذين تعرّفوا على الله في الرحاء فعرفهم في الشدة، أما آن لنا أن نعرف الله فيعرفنا؟

إنها وصيّة المصطفى ﷺ، وإنه درس خالد نوجّهه إلى أنفسنا ثم لإخواننا من كل مسلم ومسلمة لعلّهم أن يرّعوا حدود الله ويحترموا حرّمات الله ويعظّموا شعائر الله ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفَظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِ﴾. إذن وصيّته ﷺ بل من أعظم وصاياه: «تَعْرَفُ عَلَى اللَّهِ فِي الرَّحْمَاءِ يُعْرَفُكَ فِي الشَّدَّةِ».

والله لقد أدرك أهل المال أن لا لذة لهم ولا سعادة إلا في تقوى الله، والله لقد سكّنوا القصور وعمروا الدور وركبوا السيارات الفاخرة لكن لما ضيّعوا الله ضاعوا ﴿وَمَنْ أَغْرَى عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَتَخْشُرُّمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَسْرَتِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتَ بَصِيرًا﴾ ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ مَا يَنْتَنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمُ لُسْنِي﴾ ﴿وَلَمْ يَرَهُ﴾.

ألا إنها وصيّته ﷺ وإنها دعوته ﷺ: «تَعْرَفُ عَلَى اللَّهِ فِي الرَّحْمَاءِ يُعْرَفُكَ فِي الشَّدَّةِ».

ونحن يا شباب الإسلام، ويا حمّلة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، نعيش في رحاء، أي والله رحاء يتمثّل في الأمان والاستقرار وبرد العيش وفي السكينة والغنى.

فَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَغِيرْ نَعْمَةَ اللَّهِ كَفَرَأَ وَأَنْ لَا نَشَكِّرْ مَعْرُوفَ اللَّهِ ۝
تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَعْمَلُوا كُفْرًا وَأَحَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝
۝۲۸

أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ هَجَرُوا بَيْتَ اللَّهِ، وَهَجَرُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَهَجَرُوا
شَعَائِرَ اللَّهِ، وَعَمِلُوا مَا يَغْضِبُ اللَّهَ وَمَا يَسْخَطُ اللَّهَ؟

أَلَمْ تَرِ مَا فَعَلُوا بِأَنفُسِهِمْ؟ أَلَمْ تَرِ كِيفَ يَلْعَبُونَ بِالنَّارِ، وَكِيفَ
يَسْعُونَ إِلَى الدَّمَارِ، وَكِيفَ لَا يَخْشُونَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ؟ ۝
تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا يَعْمَلُوا كُفْرًا وَأَحَلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝
۝۲۹
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيَهَا رِزْقُهَا رَعَدًا مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِإِنْعَمْ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ۝
۝۳۰

سَكَنُوا وَارْتَاحُوا، وَأَكْلُوا وَشَرِبُوا، لَكُنْ اتَّهَمُوا الْمُحْرَمَاتِ وَأَكْثَرُوا
مِنِ السَّيِّئَاتِ، فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ فَأَخْذَهُمْ أَخْذَ
عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ ۝ .

سَبَّحَانَ مَنْ يَعْفُو وَنَهَفَوْ دَائِمًا
وَلَمْ يَزُلْ مَهْمَا هَفَا الْعَبْدُ عَفَا
يَعْطِيُ الَّذِي يَخْطِي وَلَا يَمْنَعُه
جَلَالَهُ عَنِ الْعَطَا لَذِي الْخَطَا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .



نفائس الأوقات

الحمد لله رب العالمين ولبي الصالحين، ولا عدوان إلا على
الظالمين، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين،
وقدوة الناس أجمعين، وحجة الله على الهالكين، وعلى آله وصحبه
والتابعين.

أما بعد...

الدقائق الغالية هي حياة المسلم.

فكل دقيقة تمر من حياة المسلم ومن عمره تُحسب عليه عند الله
عز وجل.

ولذلك قال سبحانه وتعالى: **﴿أَوَلَمْ نُعِيرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾** قال أهل العلم في النذير: هو الموت.

وقالوا: هو محمد ﷺ.

وقالوا: القرآن.

وقالوا: الإسلام.

وقالوا: الشيب.

وذكر عن بعض السلف أنه قال: من بلغه الله ثمان عشرة سنة
فقد أذر إليه وأنذر.

وفي صحيح البخاري: «من بلغه الله ستين سنة فقد أذر الله
إليه» أو كما قال عليه السلام.

فإذا تفكَّرَ المُسْلِمُ أَنَّهُ قد جاءَتْهُ مِنَ اللَّهِ نِذَارَةٌ وَإِذْدَارٌ وَجَبَ عَلَيْهِ
أَنْ يَسْتَغْلِلَ هَذِهِ الدِّقَّاتِ فِي مَرْضَاهُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ.

دَقَّاتُ قَلْبِ الْمُرِئِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَّائِقَ وَثَوَانِي
فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ذَكْرَهَا فَالذَّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عَمَرٌ ثَانِي
أَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ﴾
فَالْمَعْنَى أَلَمْ نَمْهَلْكُمْ؟

أَلَمْ نَمْدِ لَكُمْ فِي الْأَجْلِ؟

أَمَا تَرَكَنَاكُمْ تَعِيشُونَ حَتَّى جَاءَتْكُمُ النِّذَارَةُ؟

أَمَا تَرَكَنَا لَكُمْ مُهْلَةً؟

وَلَذِلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: الشَّيْبُ هُوَ النَّذِيرُ.

وَمَنْ شَابَتْ لَحِيَتَهُ أَوْ شَابَ رَأْسَهُ فَقَدْ أَتَاهُ مِنَ اللَّهِ نَذِيرٌ.

قَالَ سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدَ الثُّوْرِيَّ: مَنْ شَابَ فَلِيشَتِرَ كَفَنًا وَلِيَعْدَ لِلْقَبْرِ
عَدْتَهُ.

وَلَقَدْ بَكَى الْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ الشَّيْبَ وَعَلِمُوا أَنَّهُ دَاعِيُ الْقَبْرِ وَأَنَّهُ
بَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ سَاقِئٌ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَاللَّهِ مَا مَثَلَ الشَّابَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِي
ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِي.

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةَ:

بكبت على الشباب بدموع عيني فلم يغرن البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب
يقول: يا ليت الشباب أول العمر يعود إليّ فأخبره بما فعل بي
المشيب، فقد غير لوني وغير مهجتي وحطّم قوتي وأذاب سكونه
شعري واحد ودب ظهري وأسهرني وأبكاني.
ولذلك نام شباب مع شيخ كبير في بيته وكان قد بلغ الثمانين من
عمره.

فما نام طول الليل فهو دائمًا في أنين وزفير وفي شهيق حتى
صلالة الفجر.

فقال له الشباب لما صلى الفجر؟ ما تركتنا ننام البارحة.
فعمل قصيدة يقول فيها:

قالوا أينك طول الليل يزعجنا فما الذي تشتكى قلت الثمانين
قال ابن قتيبة: مرّ شيخ كبير منبني غفار عليه لحية بيضاء وعلى
صدره، والعرب كان فاجرهم ومؤمنهم قويهم وضعيفهم لا يحلقون
لحاهم.

فمرّ على شباب يلعبون في الشارع، فقال أحد الأطفال: يا عم
من الذي باعك هذا القوس؟

فدمعت عيناً الشيخ وقال: يا بني هذه اللحية أعطانيها الدهر بلا
ثمن، وسوف يعطيك شيئاً مثلها.
يعني أصبر وسوف تجد مثلها.

ولكن قال الصالحون: من حفظ الله في الشباب حفظه في الهرم.
ولذلك قال عليه السلام فيما صحّ عنه: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله
تجده تجاهك، تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت

فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأفلام وجَّهت الصحف»^(١).

وفي حديث عند الترمذى بسنده حسن: «اغتنم خمساً قبل خمس» ثم ذكر منها عليه السلام «شبابك قبل هرمك».

قال ابن كثير وهو يترجم للمحبّ الطبرى الإمام الشافعى الكبير. يقول: ركب معه شباب فى سفينة فلما اقترب من الشاطئ قفز من السفينة إلى الشاطئ فحاول الشباب أن يقفزوا فما استطاعوا فقالوا له: ما لك وأنت فى الثمانين استطعت ونحن شباب لم نستطع؟ قال: هذه أعضاء حفظناها فى الصغر، فحفظها الله علينا فى الكبر.

وذكر أهل العلم فى كتب الحديث وغيرها أبواب الشيب وعدوه من الإنذارات للمؤمن قبل أن يأتيه نذير الموت.

ولذلك قال أهل السير: وقف عابد من بنى إسرائىل أمام المرأة وكان عمره ثمانين سنة فرأى شيبة. وكان هذا الرجل قد أطاع الله أربعين سنة ثم عصاه أربعين سنة، نعوذ بالله من الخذلان.

لأن بعض الناس بعد أن يستمر في طريق الهدایة يتراجع في اللحظات الأخيرة.

فنظر إلى المرأة وقال: يا رب أطعتك أربعين سنة وعصيتك أربعين سنة، فهل تقبلني إذا عدت إليك؟

(١) رواه الترمذى بسنده صحيح.

فسمع هاتفًا يقول: أطعتنا فقريناك، وعصيتك فأمهلناك، وإذا عدت إلينا قبلناك.

لأن بعض الناس كما قلت يدرکهم الخذلان فيعود للمعصية بعد الطاعة.

يذكر الذهبي في ترجمة عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي أنه لما تولى الخلافة كان عالماً من العلماء، بل كانوا يعدونه من علماء المدينة.

فلما تولى الخلافة سفك الدم وسل السيف.

يقولون أنه أول ما بويع بالخلافة أخذ المصحف، ثم نشره أمامه ثم قرأ فيه قليلاً ثم طبقه وقال: هذا آخر العهد بك!
قال الذهبي معلقاً: اللهم لا تمكر بنا.

فأدركه الخذلان والعياذ بالله لما مكنته الله في الأرض.

ولذلك لما أتته سكرات الموت بكى طويلاً ونزل من على سرير الملك فمرغ وجهه في التراب ويكي و قال: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني ما عرفت الحياة، يا ليتني ما توليت الخلافة.

فسمع غسالاً وهو في سكرات الموت.

وكان الغسال يغسل الملابس، ولا يحمل هموم الأمة، ولا يخاف من الظلم ولا الإجحاف.

فقال عبدالملك: يا ليتني ما عرفت الحياة، يا ليتني كنت غسالاً.
قال سعيد بن المسيب أحد علماء التابعين لما سمع الكلام:
الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا وقت الممات ولا نفر إليهم.

وإنما يتذكر قوله سبحانه وتعالى: **﴿أَوَلَئِنْ تُعِمَّرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْتَّنَيْرُ﴾**، من عقل وفهم عن الله عز وجل.

أما الذي غلبه هواه، فهذا لا يسمع الآيات ولا يستفيد من الموعظ، ولو أسمعته خطب الدنيا ومواعظ الدنيا ومحاضرات الدنيا فلن يستفيق أبداً.

وبالمناسبة فالنساء أشد ما يغضبهن في الرجل هو: الشيب.
فالمرأة تصاحبك حتى ترى الشيب فكأنها رأت ثعباناً عليك!
يقول حسان بن ثابت:

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فاعرضن عني بالحدود النواضر
فالشيب هذا عدو للنساء.

ولذلك أخذ بعض الناس السواد وصبغوا لحاظهم ورؤوسهم.

وهذا على الصحيح من أقوال أهل العلم أنه محرم لقوله عليه السلام فيما صح عنه في أبي قحافة: «وجنبوه السواد»^(١)، والسر في ذلك كما قال بعض الفقهاء: أنه يوهم الناظر، وأن فيه تدليس.

ولكن الصبغ يجوز بالورس والحناء والكتم.
هذا على سبيل الاستطراد.

قال بعض الصالحين لما حضرته الوفاة: اللهم ارحم شيبتي، فإني سمعت في الحديث أن الرسول عليه السلام يقول: «إن الله يستحب أن يعذب شيخاً في الإسلام».

وذكر الذهبي في ترجمة يحيى بن أكثم أحد العلماء القضاة وقد تولى القضاء للمأمون لكنه ما حُمد كثيراً في القضاء، فسياسته في القضاء ما كانت محمودة إنما كان محدثاً صالحًا فيه خير.

فلما توفي رؤي في المنام قالوا: ما فعل الله بك؟

(١) رواه مسلم.

قال : والذى نفسي بيده لقد أوقفني بين يديه تبارك وتعالى ثم
قال الله : وعزتي وجلالي لولا شيتك لعذبتك بالنار ، ثم أدخلني الجنة .
وهذا لا يعني أن الشيخ الكبير له أن يفعل ما شاء لأن الله
يستحب من شيته ، لا .

بل معناه أن الله يستحب منه إذا استحب من الله .

وإلا ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا ينظر الله
إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »^(١) ، منهم : « أشيمط زان » ، أي
شيخ كبير في السن ويزني .

فهذا ليس له عند الله قبول ، ولا يكلمه الله يوم العرض الأكبر ،
ولا ينظر إليه ولا يزكيه ، وله عذاب أليم .

ونظر إبراهيم عليه السلام في المرأة فرأى شيبة بيضاء فقال : يا
ربى ما هذا البياض ؟

قال : هذا وقار يا إبراهيم .

قال : اللهم زدني وقاراً .

وقالوا عن الإمام أحمد أنه كان لا يقوم لأحد من الناس لا لملك
ولا لوزير ولا لسلطان ولا لغني ولا لوجيه ، إلا إذا رأى شيخاً كبيراً
شابت لحيته ، فإنه يقوم فيقبله ويعانقه ويجلسه بجانبه .

وفي الحديث : « إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم »^(٢) .

وثلاثة يوفرون : السلطان المقطسط أي العادل ، وحامل القرآن أي
طالب العلم العامل بعلمه ، والشيخ الكبير .

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود وحسنه الألباني في المشكاة (٤٩٧٢) .

هؤلاء يوقرون لما أعطاهم الله عز وجل.

ومقصودي من هذا أيها الأحبة أن نصل إلى مسألة حفظ العمر مع الله عز وجل، فإن كثيراً من الناس ذهبت لياليهم من بين أيديهم سدى فلم يستغلوها في الطاعة فبكوا وندموا.

يقول سبحانه وتعالى عن المفرطين: «أَوَلَمْ نُعِمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْتَّذَكِيرُ».

ويقول سبحانه وتعالى عنهم: «يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا» قال أهل العلم: يقولون يا ويلتنا على ما ضيعنا في حياتنا من الأوقات الثمينة.

دخل عمر رضي الله عنه وأرضاه المسجد فوجد رجلاً حزيناً جالساً في المسجد فقال: ما لك؟

قال: فاتتني صلاة الليل البارحة.

أما نحن، فالكثير تفوته صلاة الفجر وقلبه بارد لا حزن فيه ولا غضب، ولا هم ولا خوف، فهو كما قال المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه مال جرح بميّت إسلام
قال عمر: سبحانه الله، قم فصلٌ، أما سمعت الله يقول: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا».

فمن فاته ورده في الليل وقراءة القرآن فليعوضه في النهار.

ومن فاته في النهار.. فليعوضه في الليل.

الجنيد بن محمد أحد الصالحين كان يسبّح ثلاثين ألف تسبحة، ذكرها أهل العلم في ترجمته، فلما حضرته الوفاة أخذ يقرأ القرآن وهو في سكرات الموت، فقال له أبناؤه: تقرأ القرآن وأنت مشغول بالموت؟

قال: وهل هناك في الدنيا من هو أحوج مني إلى العمل الصالح؟
فيما إخوتي في الله، إن الدقائق الغالية في حياة المسلم لا تُقدر
بثمن.

وقد ذكر أهل العلم في حفظ الوقت نماذج أذكر شيئاً منها.
كان كرز بن وبرة أحد الصالحين يقرأ القرآن أربع مرات في اليوم
كما يقول النووي والعُمدة عليه رحمه الله.

وهذا يمكن، ولكن ليس هو السنة، فلا يفتقه من يختتم القرآن في
أقل من ثلاثة أيام، لكن ذكره من باب الجد والمثابرة.

وكان يقول له أصحابه: اجلس معنا نتحدث معك.

قال: احبسوا الشمس.

قال الحسن البصري: والذي نفسي بيده، ما أصبح صباح إلا
نادي: يا ابن آدم اغتنمي، فوالله لا أعود لك إلى يوم القيمة.

قال الجاحظ في كتاب (الحيوان): وأحسن ما أنسد العرب في
حفظ الوقت:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداة ومرُّ العَشِي
إذا ليلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونجدو ل حاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع الممرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي
ويصدق هذا الكلام قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصحيح: «يؤتى بأنعم أهل
الأرض - أي من يستحق النار - فيغمسه الله في النار غمسة ثم يقول:
هل رأيت نعيمًا قط؟».

قال: لا والله يا رب ما مرّ بي نعيم قط».

ذهبت الفلل والقصور، وذهب النعيم، وبقيت المعصية تلاحمه حتى أدخلته النار.

«ويؤتى بائعس أهل الدنيا» هذا الرجل الضائع الذي ينام في الخيمة ولا يجد إلا كسرة الخبز، ولا يجد إلا جرعة الماء، «فيغمسه الله غمسة في النعيم ثم يقول الله له: هل من بك بؤس قط؟

قال: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط»^(١)، وهذه هي الحياة.

ولذلك: سل من تنعم وهو في الحياة الآن، هل تتذكر النعيم السابق الذي مر بك؟

سيقول: لا.

لأنه لا يبقى إلا طاعة الله الواحد الأحد.

ولذلك تواصى بها الصالحون قديماً وحديثاً.

قال سليمان عليه السلام: تعلمنا ما تعلم الناس ومما لم يتعلموا، فما وجدنا كتقوى الله.

وقال عون بن عبد الله لزملائه وهو يودعهم: أوصيكم بوصية: عليكم بتقوى الله، فإن المتقي لا وحشة عليه.

ولذلك قليل العمل الصالح يعادل جباراً من نعيم الدنيا لو كانت في ميزان الحسنات.

فلذلك لما مر سليمان عليه السلام - كما يُروى ذلك في الأثر - وهو راكب على بساط الريح يحمله إلى أين شاء بواسطة الريح التي سخرت له كما قال سبحانه: «فَسَخَّرْنَا لَهُ الْرَّيحَ بَجْرِي يَأْتِيهِ رِغْمَةً حَيْثُ أَصَابَ»، أي حيث أمرها تتجه به حسب ذلك الأمر.

(١) رواه مسلم.

فمر يوماً من أيام فلاح في مزرعته، فلما رأه الفلاح وهو في أبهته أعجبه المنظر فقال: سبحان الله، لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً.

فسمعها سليمان عليه السلام فأمر بالنزول عنده، فلما قابله قال: والذي نفسي بيده لقولك: سبحان الله، خير مما أوتى آل داود.

ويؤيد ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عنه عليه السلام أنه قال: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحب إلى ما طلعت عليه الشمس»، وفي لفظ في غير الصحيح: «أو غربت».

ولذلك قال الله عز وجل عن إدريس عليه السلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْنَا﴾.

يقولون: كان خياطاً وكان بين أن يدخل الإبرة ويخرجهما يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم يُخرج الإبرة.

فأوحى الله إليه: يا إدريس، وعزتي وجلالي لأرفعنك مكاناً علياً.

قال: يا رب لماذا وأنا مذنب؟ يعني معترض بالقصير.

قال: إنه يُرفع عملك مع عمل أهل الدنيا فتفوقهم بالتسبيح والتهليل.

وهذا تسليد من الله أن تجد العبد دائماً يسبح ويهلل.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: كان خالد بن معدان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة.

وهذا توفيق من الله عز وجل.

تجد بعض الناس دائماً يتمتم بالتسبيح حتى يقول له المنافقون: هذا موسوس!

وفي حديث ضعيف ضعفه الشوكاني والأئمة: «اذكر الله حتى يقول الناس إنك مجنون»^(١).

كان أحد الصالحين يسبح.

فقال له أحد الشباب: يا موسوس.

فقال في قصيدة:

ومن هُيامي بكم قالوا به مرض فقلت لا زال عندي ذلك المرض يقول: من ذكري لك يا رب يقول الناس إن بي مريضاً، فقلت: لا زال بي هذا المرض.

وقال ابن القيم في بيت جميل:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ونترك الذكر أحياناً فننتكس ولذلك تجد الصالحين دائماً يتمتون بالذكر.

قال النووي: من راقب الناس - أي خاف من كلامهم - في هذه الأمور فاته أجر عظيم.

لكن الواجب أن تخلص العمل لله ثم لا يهمك قولهم ولا تعليقاتهم، بل اذكر الله كثيراً كما قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَيْرًا ﴿٤١﴾ وَسَيَحُوَّهُ بَكْرَهُ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ .

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا نستثمر أوقاتنا ودقائقنا الغالية في طاعته ومرضاته.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .



(١) رواه أحمد (٦٨/٣)، وضعفه الألباني في الضعيف (٥١٧).

مثـل الدـنيـا

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، وننحو بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيرًا.
أما بعد..

يقول الإمام البخاري رحمة الله تعالى في كتاب الرقاق (باب) مثل الدنيا في الآخرة قوله تعالى: «أَعْلَمُوا أَنَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَقْوٌ وَزِينَةٌ وَقَافِخٌ يَتَّكِمُ وَيَتَكَبَّرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَجَبَ الْكُفَّارَ بِنَالَهُمْ بِهِيجُ فَرَرَهُمْ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمَّاً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْغُرُورِ ١٠».

ثم أخرج عن سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو رفحة خير من الدنيا وما فيها».

في هذا الحديث مسائل:

قوله سبحانه وتعالى: «أَعْلَمُوا أَنَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَقْوٌ».

أما اللهو فكأنه خاص بالقلوب فهي تلهى .

واللعبة خاص بالجوارح .

ومثل الدنيا كما يقول بعض أهل العلم : كمثل صبيان أتوا في يوم من الأيام يلعبون ، فبنوا لهم قصوراً وعمرروا دوراً وزرعوا شجراً ، فلما غربت عليهم الشمس خربوها ، وهذا كمثل الدنيا .

قال عَزَّ مِنْ قَاتِلٍ : «مَثَلَ الْحَيَاةِ الَّذِيَا كَمَّا أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَطَهُ بِهِ، نَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا لَدْرُوهُ الْيَمَّعُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا» .

قال أهل التفسير : هذا المثل مثل أرض مربعة نزل عليها الغيث فأنبت من كل زوج بهيج ، فأنبتت الورود وأنبتت الأشجار وتدللت الأغصان اليابعة ، فأعجب هذا المنظر الزرائع .

فلما مضت عليها أشهر ، هبت عليها الريح وأذبلتها الشمس ، فتكسرت عيادتها وذبلت ورودها وذهبت بهجتها ، ففنيت وأصبحت قاعاً صفصاماً ، فهذا كمثل الدنيا .

بينما تمر بالإنسان وهو في صحة وعافية وأولاده مجتمعون عنده وهو مُصَدِّر ووجيه في الناس وماليه موفر وبناته قوي .

ثم تلقاه بعد حين وإذا هو مريض أو قد مات ، وقد تخرّمت الأيام صحته وعافيته وقد أصبح في حالة بئسية .

قال ابن القييم في زاد المعاد : أتت امرأة من آل النعمان بن المنذر وكانوا في صحة وأموال عظيمة حيث أنهم كانوا من ملوك العرب .

فقال لها رجل من العرب : يا فلانة ماذا فعل بكم ؟
فقالت : أصبحنا وما في العرب بيت أغنى منا ، ثم أمسينا وما في العرب بيت أفقر منا .

لقد سُلب ملوكهم في ليلة.

ولذلك مرّ ابن مسعود بقصر في الكوفة وقد التمتعت أنواره وكان فيه حفل وفيه مظاهر البهجة بادية، فقال: ما هذا؟

قالوا: أناس قد اجتمعوا عند أبيهم على زواج وعرس، فأحبوا أن يحتفلوا.

قال: ما امتلأت دار حبّة إلا امتلأت غبرة.

يعني: ما امتلأت دار بالبهجة والسرور والفرح، إلا امتلأت عما قليل بالنكد والهم والغم والحزن.

فإذا أصابتك مصيبة فاعلم بأنها قد وقعت على غيرك من الناس ودخلت كافة البيوت.

وكل هذه المصائب توصل العبد إلى الموت، والموت سهل لا بد أن يقدم عليه، لكن المصيبة الكبرى التي توصل العبد إلى جهنم أن يُخجب القلب عن الله عز وجل وأن يُطبع على القلب فلا يعي ولا يفهم ولا يعقل.

فهذه هي أعظم المصائب، فلا مصيبة بعدها.

ولذلك هُون على نفسك إذا أُصبت بمصيبة دنيوية لا دينية.

يقول الأندلسي في الدنيا:

إذا هدمت فزدها أنت هدماً وَحَصَنْ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ

يقول ابن القيم: إن مَرَضَنَ الْجَسْمَ سَهْلٌ وَيُسَيِّطُ وَمَا لَهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَأَمَّا مَرَضُ الْقَلْبِ فَمَا لَهُ إِلَى جَهَنَّمَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ جَهَنَّمَ.

فالله ما ذكر مرض الجسم في القرآن الكريم إلا في معرض الأعذار والرخص.

أما مرض القلب، فذكره الله في معرض العقيدة والتحدث عن الآيات وعن الكفر والنفاق، نعود بالله من ذلك.

يقول الله عن أصحاب المرض القلبي: **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ﴾**، بينما أجسامهم كما قال تعالى: **﴿وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَعْجُبَكَ أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ حُشْبٌ مُسَنَّدٌ﴾**، وإذا هم مرضى قلوب.

قال سبحانه وتعالى: **﴿أَعْلَمُوا أَنَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾**.

وهذا جلب لانتباه فهو يقول: **﴿أَعْلَمُوا﴾** إن كنتم تعلمون، واعقلوا إن كنتم تعقلون، وتفكروا إن كنتم تفكرون.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَلَهُوَ﴾ وهذا للحصر، واللعبة في الجوارح واللهو في القلب.

﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاهُ مِنْ بَيْنِكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾ قال أهل التفسير: تفاخر وتكاثر بالمطاولة والمنافسة.

ولذلك فأهل الدنيا إذا أراد بعضهم أن يغيط بعض تطاول عليه في البناء أو في المال أو في المظاهر.

﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَتْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قال أهل العلم: من أعجبه ماله أو كثر عليه ماله وألهاته من طاعة الله فليتذرّ قصة قارون، فإن الله أهلكه وقطع دابرها، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ** **قَالَ اللَّهُنَّا يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلْيَسَتْ لَنَا مِثْلَ مَا أُوفِيَ قَدْرُونَ إِنَّمَا الَّذِي** **حَفِظَ عَظِيمٌ** **٧٩** **وَقَالَ اللَّهُنَّ أُوفِيَ الْعِلْمُ وَتَكَثُرَتْ تَوَابَتُ اللَّهُ حَنِينٌ لِمَنْ** **مَأْمَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا وَلَا يُلْقَنَّهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ** **٨٠** **﴾** ما النتيجة؟ **﴿فَخَسَقَتْنَا يِدَهُ وَيَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾**.

وهكذا من تفاخر بأولاده وتباهي بهم في المناسبات عند أقاربه وأصحابه كما كان يفعل الوليد بن المغيرة في الجاهلية، حيث كان له مجموعة من الأولاد حوالي عشرة، وكان يتبااهي بهم في نوادي قريش

ومنتدياتها، حيث كانوا يشهدونها معه، فلذلك قال تعالى عنه: ﴿ذَرْفٌ وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ﴾ ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَنْدُودًا ١٢ وَبَيْنَ شَهْوَدًا ١٣﴾ .
أي يشهدون معه المناسبات.

ولكن ذلك لم ينفعه عند الله سبحانه وتعالى.
قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَالَهُ﴾ . قال ابن كثير:
الغيث إنما يُطلق على المطر إذا أتى بعد سنة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ لأن الأرض أغاثت به.
﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَالَهُ﴾ من هم الكفار؟
الرأي الوجيه أنهم الزراع.

وقيل الكفار هم أهل الكفر، فإنهم أعجب الناس بالدنيا، ولذلك لا تجد الكافر إلا كالحمار لا يعجبه إلا مظهر الدنيا، وهذا موجود في المنافقين وفي الفسقة وفي الكفار، فإنه إذا دخل البلد لا ينظر إلا إلى القصور والمتنزيّات والمطاعم والمسارب والأسواق والفحش، نعوذ بالله.

ثم قال عز من قائل: ﴿تُمْ يَهْبِطُ فَتَرْيَةً مُصْفَرًا﴾ يهبيج أي: يبس ويذبل ويضمحل، ﴿تُمْ يَكُونُ حُطَمًا﴾ . فالدنيا مثل هذا النبات عما قليل تصفر ثم تتحطم.

﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَوْنٌ﴾ ، عذاب شديد للكافر ومغفرة ورحمة للمؤمنين.

ولذلك قال عز من قائل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نُزِّلَهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ ٢٠﴾ ، وقال عز من قائل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَزَّيْنَاهَا

نُوَقِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُحْسِنُونَ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦ .

وقال عز من قائل: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُرَّ جَهَنَّمَ يَصْلَلُهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ١٧ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ١٨»، لأن بعض الناس قد يسعى لها رياة وسمعة، «فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعَيْهِمْ مَشْكُورًا كُلًا ثُمَّ هَتَّلَاءَ وَهَتَّلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ مَحْظُورًا ١٩».

وأما قوله ﷺ: «الموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو رؤحة خير من الدنيا وما فيها». فهذا الحديث له سبب وهو أن الرسول ﷺ لما أرسل جيشه إلى مأرب عين عليه ثلاثة قواد وهم: زيد بن حارثة، وعمر بن أبي طالب، وابن رواحة.

فقال ﷺ: «إِذَا قُتِلَ زِيدٌ فَعُصْفَنُ، إِذَا قُتِلَ جَعْفُرٌ فَابْنُ رَوَاحَةَ»^(١).

فتختلف ابن رواحة لما خرجوا في الصباح.

فلما صلَّى الرسول ﷺ الجمعة سلم عليه ابن رواحة.

فقال ﷺ: «أَمَا خَرَجْتَ مَعَ أَصْحَابِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟»؟

قال: يا رسول الله تخلفت لأرى وجهك على المنبر ليكون آخر العهد بك، وبقيت لأودعك.

فدمعت عيناه ﷺ ودمعت عينا ابن رواحة.

حتى كان يقول:

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير موعظ وخليل يقول: بقي السلام على محمد ﷺ في النخل في المدينة.

(١) سيرة ابن هشام (٣٧٩/٢).

فقال عليه السلام: «الغدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها». أما الذي أعدَ الله في الجنة للصالحين فهذا لا يستطيع أن يتكلم عنه، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

وأما الحقيقة فليس من الجنة شيء في الدنيا. وقد ذكرت طرفاً من أخبارها في رسائل أخرى من هذا المجموع.

قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «هل من مشمر للجنة، فإنها والذى نفسي بيده قصر أبيض ونور يطرد وماء ينسكب وزهرة بيضاء»، أو كما قال عليه السلام.

فقال الصحابة: نحن المشمرون. قال: «قولوا إن شاء الله»^(١).

أما قوله عليه السلام: «الغدوة في سبيل الله» أي لغزوة أو قتال ساعة في سبيل الله.

ويرى بعض أهل العلم أن من غدا إلى المسجد فهو في سبيل الله، ومن راح من المسجد فهو في سبيل الله، ومن جهز غازياً فهو في سبيل الله، ومن قال كلمة تنفع المجاهدين فهو في سبيل الله. فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه فليجاهد بماله، فمن لم يستطع بماله فليجاهد بلسانه، فيمدح الجهاد وينشر مدح الاستشهاد في المجالس ويندم الكفر والكفرة والشيوخين والملاحدة.

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وضيّقه الألباني في الضعيفة (٣٣٥٨).

ومن لم يستطع بلسانه فلينو بقلبه نية طيبة، وليجاهد نفسه في ذلك .

قيل لابن تيمية وهو يصعد جبلاً في دمشق: ما لك تصعد الجبل وتنزل؟

قال ما معناه: أتخيل أن عدواً يغير علينا فأريد أن أجهز له .
فهذا هو تحذيث النفس بالجهاد .

وقالوا لخالد بن الوليد: ما هي أعظم لذة لك؟
قال: والله إن أعظم لذة عندي هي ليلة بتها في يوم اليرموك،
عندما قمت في الليل فإذا جمبع الجيش قد نام من كثرة التعب
والإعياء، فرأيقت امرأتي وقلت لها: أتریدين ليلة من ليالي الجنة في
سبيل الله؟

قالت: نعم.

قلت: قومي لنحرس هذا الجيش .

فقمت فتوضأنا في ليلة شاتية لا يعلم بردها إلا الله، والناس
ملتحفون بأغطيتهم، ثم قمت أحرس الجيش فانهلت السماء علينا
بالغيث، فكنت أُلْحَف بعض الصحابة بالغطاء وأغطيتهم .

فوالله ما أعد ليلة أعظم عندي لذة في الدنيا من تلك الليلة .
هذه بعض لمحات حول معاني هذا الباب الذي عقده البخاري
في صحيحه .

أسأّل الله لي ولكلكم الجنة، وأن نرى فيها ما لم نره في الدنيا،
وأن نسمع ما لم يطرق مسامعنا إلى الآن، وما لم يخطر على قلب أحدٍ
منا .

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

يا مُتَعِّبَ الْجَسْم

الحمد لله الذي كان بعباده خيراً بصيراً . . .

﴿لَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سَرِيجًا وَكَمْرًا مُبِيرًا ١١١ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيَّلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ١١٢﴾ .
وأشهد أن لا إله إلا الله . . . وأشهد أنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ . . .
بعثه الله بالهدي ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصحَّ
الأمّة، وجاحدَ في الله حتى أتاه اليقين، فصَّلَى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلّمَ تسلیماً كثیراً .

يا مسلمون . . . يا صادقون . . . يا صائمون . . . يا مصلون،
اسمعوا إلى الله تبارك وتعالى وهو يتحدث لنا عن قرية . . . قرية نامت
في جفن البحر . . . قرية جاورت البحر ولكنها ما وقّرت رب البحر،
وما عظمت رب البحر، وما استحث من الله:

﴿وَسَلَّمُهُمْ عَنِ الْقَرِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي
السَّبَبَتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبِّهِمْ شُرَاعًا وَيَوْمَ لَا يَسِّئُونَ لَا
تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ بَلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ١١٣ وَإِذْ قَاتَ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لَمْ
يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَاتَلُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَنَّقُونَ ١١٤ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِمِمَّا أَنْهَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَا عَنِ الْشَّوَّعِ وَأَخْذَنَا
الَّذِينَ ظَلَمُوا يَعْذَابِ بَيْسِنِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ ١١٥ فَلَمَّا عَنَوا عَنْ مَا هُوَا عَنْهُ
فَلَنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِعِينَ ١١٦﴾ .

هذه القرية مسكونة بائسة... هذه القرية هالكة عاصية... قرية جحدت معروف الله... قرية تنكرت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... قرية عطلت أوامر الله كما تفعل بعض القرى... قرية كانت تجاور البحر **﴿وَسَلَّمُوا عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ﴾** لكن أسلوب القرآن رائع بديع أخذ يأخذ بأوتار النفس.

هذه القرية من قرىبني إسرائيل، اجتمعت عند البحر واجتمع أهلها على المعصية. حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت لحكمة أرادها الله، وعندنااليوم ليس هناك سمك بل أغلى من السمك، أعراض تُنتهك وعيون تنظر وغناء وخمر وسكر وتخلف عن الصلاة، فليست المسألة مسألة سمك... المسألة مسألة دين يُسحق بالشاطئ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر لا يُقام... وفي كل يوم تُحرج مشاعرها.

القضية أعظم من صيد السمك... القضية صيد النساء، وصيد فتيات، وصيد أعراض، وهدم بيوت، وجرح مشاعر.

حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت... ولكن الخباء الحقراء الأذلة فجرموا من البحر طرقاً ليوم الأحد حيلة على الواحد الأحد، يضحكون على الله، يستهزئون بالله، يخادعون الله وهو خادعهم.

فكان الأسماك تمر يوم السبت، فإذا دخلت إلى الخنادق وإلى الأحاديد سُكّروا الماء، ثم صادوها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

1 - قسم شاركهم وقال:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد مثل ما يفعل بعض الماجنين اللاهين، يوم يرى أهل المعاصي كثير فيقول: حط رأسك مع الرؤوس، واجعل نفسك مع هؤلاء، والله

غفور رحيم.. والبلد كله من هذا الصنف.. والناس فعلوا كذا ففعل مثلهم.

وهؤلاء لا يحملون عقلاً ولا وقاراً ولا حياة من الله: قد ماتت قلوبهم في الحقيقة.. وأصبح الإيمان في قلوبهم متلاشياً.. سخروا من الله فسخروا الله منهم.

٢ - وصنف بارد يعيش لخبزه ولطفله ولحذائه، فهو جالس في البيت يقول للدعاة: **﴿لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهِلْكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾**.

يقول: الناس هلكى، اتركوههم وشأنهم، دع ما الله الله... دع ما لقىصر لقىصر... ما عليك منهم، الله لا يسألك إلا عن نفسك... وهؤلاء أهل السلبية الذين سوف يحاسبهم الله على ما عطلوا من أمر معروف ونهي عن منكر.

٣ - وقامت طائفة ثالثة بيض الله وجوههم، أهل لا إله إلا الله. أهل الرسالة، أهل الحياة الخالدة الذين نور الله بصائرهم في الدنيا والآخرة، قالوا للعصاة: قموا... قموا أيها الضلال، إن الهلاك سوف يعم.

فماذا كانت النتيجة؟ لقد أرسل الله عليهم عذاباً نكالاً، فمسخهم قردة وخنازير، هؤلاء أهل المعصية... أهل الشاطئ، أهل الانحراف الذين عصوا الله ولا شعروا بوقار الله... والشعور بوقار الله من أسس الإسلام، بل هو من العقيدة الحقة.

قال نوح عليه السلام: **﴿إِنَّا لَكُوْنَ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ٢٣ وَقَدْ خَلَقْنَاكُوْنَ أَطْوَارًا ٤٤ أَتَرَ تَرَزَا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَابًا ٥٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ ثُرَّا ٦٦ وَجَعَلَ الشَّمْسَ يَرْكَبُها ٦٧ وَاللَّهُ أَنْبَكَرَ مِنَ الْأَرْضِ بَنَانًا ٧﴾**.

ما لكم لا ترجون لله وقاراً؟... ما لكم لا تحترمون الله؟..

عند أحمد في كتاب الزهد أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه.. ليت أبا بكر ينظر إلى واقعنا المعاصر، ليته من ليرى الشاطئ ماذا يحدث فيه من اختلاط ونظارات مسفوكة وأعراض متهدكة وصلة مؤخرة..

يقول أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه: يأيها الناس، استحيوا من الله حق الحياة، فوالله الذي لا إله إلا هو، إني لأذهب إلى الخلاء لأقضي حاجتي فأجعل ثوابي على وجهي حياة من الله. رضي الله عنك، اللهم أحقنا معه في منازل الخالدين.

الآية يستحي هذا العبد الذي خرج بعرضه، وخرج بينته، وخرج بزوجته وأخته، وخرج بدينه وبشرفه، وخرج بإيمانه بين لاهين لاغين تركوا المساجد والقرآن؟ ماذا يقولون لله؟ صالح عنه رضي الله عنه أنه قال: «استحيوا من الله حق الحياة، والاستحياء من الله حق الحياة أن تحفظ الرأس وما وعي، والبطن وما حوى، ومن تذكر البلى ترك زينة الحياة الدنيا»^(١).

عمر بن الخطاب الخليفة العظيم، الرجل الذي عجز التاريخ أن يأتي بمثله مرة ثانية، قال عنه ابن كثير: أنه سمع قوله سبحانه وتعالى: «وَقُوْفَرْتُ إِلَيْهِم مَّسْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا نَاصِرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُوَ أَلْيَّم مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾»، فالقى عصاه وسقط على الأرض، وحمله الصحابة على أكتافهم إلى البيت وبقي مريضاً شهراً كاملاً. هذا هو الإيمان ومراقبة الواحد الديان.

يوم تخلو بالجحيطان وتستتر بالجدران فتعلم أن الواحد الأحد يراك وتقول لنفسك:

وإذا خلوت برببة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

(١) رواه أحمد والترمذى، وضعفه الألبانى في المشكاة (١٦٠٨).

بكي الربيع بن خثيم حتى كادت أضلاعه تختلف وقال: والله إن شاء الله لا يسألني ربي أبني وقعت بفاحشة أبداً.

وقال البخاري فيما يُروى عنه في الصحيح: منذ بلغت الاحتلام ما كذبت كذبة، ولا اغتبت مسلماً.

تلك النماذج عاشت لله... وماتت لله... وذهبت لله...
وأتينا إلى جيل لا يعرفون الله، أكلوا نعم الله، واستنشقوا هواء الله،
وشربوا ماء الله.. وبارزوا الله بالمعاصي.

أنجى الله الذين ينهون عن السوء، وأما أولئك فهلكوا.. وأما
الصنف الثاني فقد اختلف العلماء فيهم وكأنهم إلى الهلاك أقرب.

يا مسلمون! في هذه الرسالة مسائل:

أولها: واجبنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيها: أدب الدعوة، كيف ندعو الناس وكيف نجلس للناس
نعلمهم الإسلام، وكيف نلقنهم لا إله إلا الله.

الثالث: الفتنة التي عمّت وطمّت، حتى يتمثّل المسلم اليوم أنه
يدفن مكان صاحب القبر.

الرابع: حياة اللهو واللعب والعبث التي يعيشها كثير من الناس.

الخامس: عقوبات المعاصي.

السادس: هل من توبية يا مسلمون؟

السابع: كلمة إلى النساء.

أمة نحن لا نعيش إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أنا
وأنت المتكلم والسامع، إن لم نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر وإلا
فاعتبر أن الخزي سوف يحل بنا والذل **﴿أُرْبَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤِدَ وَعِيسَى أَبْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا﴾**

يَعْتَدُونَ  كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ .

يقول ﷺ: «إنما هلك الذين من قبلكم أن الرجل منهم كان ينهى الرجل ثم لا يمنعه أن يكون أكيله وشرببه من آخر النهار، فلما فعلوا ذلك لعنهم الله وحولهم قردة وخنازير»^(١)، أذلهم إذلاً ما شهد التاريخ مثله بل كتب عليهم اللعنة في كل كتاب وعلى لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يفتقر إلى أمر إلا من الواحد الأحد، وإذا فعلت ذلك فتأكد أن الدمار والخسار سوف يحل بالبلاد والعباد.

صعد أبو بكر على المنبر رضي الله عنه وأرضاه فقال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون آية وتحملونها على غير محملها، وهي قوله سبحانه وتعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْتَوْا عَلَيْكُمْ أَفْسَكْمٌ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هَدَيْتُمْ»، وإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشكوا أن يعمهم الله بعذاب من عنده»، حديث صحيح.

أي: إذا رأوا المنكر وسكتوا، ولا تكلموا، بل جعلوها للهينات وتخلوا عن المسؤولية وعاشوا سلبين، أوشك الله أن يأخذ الناصح والطالع والمصلح والمفسد ثم يلعنهم كما لعن الذين من قبلهم.

(أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو في سكرات الموت)، هذا باب بوئه أهل السنة في كتبهم قالوا: عمر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو في سكرات الموت.

(١) رواه أحمد والترمذى وأبو داود.

طُعنَ أمير المؤمنين عمر لأنَّ الأبطال يموتون شهداء، نزف دمه كالماء فماذا يقول عمر؟ كان يذرف الدموع ويقول: يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني ما عرفت الحياة!! يا ليتني ما توليت الخلافة. طوبى لك يا أمير المؤمنين، والله يا ليت أيامك تتكرر.

أيا عمر الفاروق هل لك عودة فإن جيوش الروم تنهى وتأمر رفاقك في الأغوار شدوا سروجهم وجيشك في حطين صلوا وكبروا تغثّي بك الدنيا كأنك فاتح على بركات الله يرسو ويُحرّك كان دمه يثعب، وكانت عيناه تُهراق بالدموع ويقول: هل صليت؟ لأنَّه طعن في الركعة الأولى وما أكمل الصلاة، فكانت شغله الشاغل ي يريد أن يلقى الله بالصلاه... لا سُؤل عن زوجة... ولا عن منصب ولا عن دار ولا عن قصر ولا عن خلافة... ولا عن مُلك.

قال: هل صلّيت؟

قالوا: يعينك الله وتصلي.

فأعانه الله وأتم الصلاة، وكان يقول في سكرات الموت: الصلاة... الصلاة... الله الله في الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة... ومن حفظ الصلاة حفظه الله، ومن ضيّع الصلاة ضيّعه الله.

فأتى شاب إلى عمر وهو في الرمق الأخير فسلم عليه، فلما ولّى وجد عمر إزاره نازلاً تحت الكعبتين فقال: تعال يا ابن أخي... رضي الله عنك، حتى في ساعة الصفر تأمر، حتى في الساعة التي ينسى الإنسان فيها حبيبه وزوجته وولده، تأمر.

قال: تعال يا ابن أخي ارفع إزارك... ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك.

قال ابن «الغلام»: جزاك الله عن الإسلام خير الجزاء... إِي
وَاللَّهُ.

يقول عليٌّ لعمر وهو مكفنٌ يُصَلَّى عليه وأصبح جنازة: والله ما
أريد أن ألقى الله بعملِ رجل إلا بعملِ كعمله.. لقد كُفْنَت سعادة
الإسلام في أكفان عمر.

إنما الشاهد أنه أمر في ساعة حرجـة بالمعروف ونهـى عن المنـكر.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «من رأى منكم منكراً فليغیره بيده، فإن
لم يستطع فبسانه، فإن لم يستطع فبقبـلـه وذلك أضعف الإيمـان»^(١). أـيـ
إـيمـان يـبـقـى معـ الإـنـسـانـ الـذـي يـجـبـ الـأـسـوـاقـ وـالـمـنـزـهـاتـ وـالـشـوـاطـيـءـ
وـيـنـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـنـاظـرـ ثـمـ لـاـ يـنـكـرـ قـلـبـهـ عـلـىـ أـقـلـ الـأـحـوـالـ؟ـ..ـ وـالـلـهـ إـنـ
الـإـنـسـانـ يـصـبـبـ الـمـرـضـ..ـ وـإـنـ يـأـسـفـ أـسـفـاـ شـدـيـداـ وـإـنـ قـلـبـهـ يـكـادـ
يـتـمـزـقـ حـسـرـةـ عـلـىـ هـذـهـ الـأـمـةـ.

أـجـدـةـ الـقـرـيـبـةـ مـنـ مـهـبـطـ الـوـحـيـ..ـ مـنـ الـحـرـمـ!!ـ أـجـدـةـ،ـ الـبـلـدـ
الـإـسـلـامـيـ..ـ أـجـدـةـ،ـ بـلـدـ الـصـحـوـةـ وـبـلـدـ الـدـرـوـسـ وـالـعـلـمـ!!ـ أـشـاطـئـوـهـاـ
يـشـهـدـ هـذـهـ الـأـمـوـرـ!!ـ

إـنـهـ أـمـرـ يـؤـسـفـ كـلـ مـسـلـمـ.

أـقـولـ لـإـخـوـانـيـ إـنـ طـرـيقـ الـهـدـاـيـةـ قـدـ فـتـحـتـ أـبـوـابـهـاـ،ـ فـعـودـواـ إـلـىـ
الـوـاحـدـ الـأـحـدـ..ـ وـإـنـ وـاجـبـنـاـ نـحـنـ يـاـ دـعـةـ الـإـسـلـامـ أـنـ نـنـزـلـ إـلـىـ
الـنـاسـ،ـ وـهـوـ الـعـنـصـرـ الـثـانـيـ (ـآـدـابـ الـدـعـوـةـ)،ـ قـالـ تـعـالـىـ:ـ «ـأـدـعـ إـلـىـ سـيـلـيـ
رـيـكـ بـالـحـكـمـةـ وـالـمـوـعـظـةـ الـحـسـنـةـ»ـ.

وـوـاجـبـنـاـ أـنـ نـرـحـمـ النـاسـ،ـ وـأـنـ نـشـفـقـ عـلـىـ النـاسـ..ـ لـمـاـذـاـ نـبـقـىـ
فـيـ مـسـاجـدـنـاـ وـالـنـاسـ يـتـهـالـكـونـ؟ـ..ـ لـمـاـذـاـ نـبـقـىـ وـالـمـعـاـصـيـ طـمـتـ

(١) رواه مسلم.

وعلمت؟ .. أما نخشى أن يأتينا أثراها ونحن في بيتنا؟ .. لا إله إلا الله .. إن واجبنا أن نأتي بالأسلوب الذي أتى به محمد ﷺ **﴿فَإِنَّ رَحْمَةَ رَبِّنَا اللَّهِ يَلْتَمِثُ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِطَ الْقَلْبُ لَا تَفْتَأِرُوا مِنْ حَوْلَكُمْ﴾**، **﴿أَدْعُ إِلَيَّ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾**، **﴿وَمَنْ أَحْسَنَ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَ إِلَى اللَّهِ﴾** .. الواحد الأحد .. فالناس والله يدعون إلى كيانهم وإلى أساليبهم وإلى قوانينهم .. أفلأ تدعوا أنت إلى الله؟

وفي بعض الآثار أن الملائكة بكى لبكاء يعقوب عليه السلام، وكان أبو بكر رضي الله عنه وأرضياه يقرأ سورة يوسف في صلاة الفجر فإذا بلغ قوله تعالى: **﴿فَصَبَرَ جَيْلٌ﴾** بكى ويكتوي الناس معه.

فتفارق يوسف ويعقوب عليهما السلام أربعين سنة.

بنتم وبئنا فما ابتلت جوارحنا
شوقاً إليكم ولا جفت ماقينا
نکاد حين تناديكم ضمائرنا
يقضى علينا الأسى لولا تأسينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء
ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا
ثم انتقل سبحانه إلى يوسف عليه السلام وهو في الجب فقال:
﴿وَجَاءَهُتْ سِيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَذْلَلَ دَلْوَهُ﴾ لقد كان هو في صحراء
ليست بمؤنسته ليس معه إلا الذئب، ولكن الله أتى بهذه القافلة وبهذا
الموكب العظيم لينقذ يوسف عليه السلام من الجب، فقد ضللت القافلة
طريقها وكانت قد أتت تريد فلسطين، فضللت لحكمة أرادها الله.

فعنابة الله تكون لمن يريد الله.

ورعاية الله تلازم عباد الله.

يقول ابن الجوزي في صفة الصفوة وهو يتحدث عن رعاية الله وعنابة الله: يقول أحد الصالحين: رأيت عصافوراً يأتي بلحم ويدهب إلى نخلة بالصحراء، فتتبعته فوجده كل يوم يأخذ من المزبلة لحمًا

وخبزاً ويدهب به ويضنه في تلكم النخلة، فصعدت لأرى ماذا في النخلة.. وعهدي بالعصفور أنه لا يعشش في النخل، فرأيت حية عميماء كلما أتى هذا العصفور بهذا اللحم فتحت فاها وأكلت منه.

فالذى سخر العصفور لها هو الذى سخر تلكم القافلة ليوسف.

عجبًا من قلبك الفذ الكبير

وأخرج الله من صلب الوليد بن المغيرة خالد بن الوليد... الذى قاد مائة معركة... خالد الذى أبلى بلاءً حسناً في الإسلام... خالد الذى قدم دموعه ووقته في خدمة لا إله إلا الله. وأخرج من صلب أبي جهل عكرمة بن أبي جهل... الذى أتى في اليرموك رضي الله عنه وأرضاه... فلما التقى الجماعان: الإسلام والكفر... الضلال والحق... خرج فاغتسل ولبس أكفانه وقال لأصحابه: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائمه، هل لكم وصية إلى رسول الله ﷺ؟

قال الجيش: بلّغه عنا السلام.

فأخذ السيف وخاص المعركة وقتل، وبينما هو في الرمق الأخير أعطاه خالد الماء ليشرب فقال: أعطه غيري.

فيعطونه جريحاً آخر فيرفض أن يشرب، فيأتون الآخر فيرفض إلا أن يشرب عكرمة... فيعاد بالماء إلى عكرمة فإذا هو قد فارق الحياة.

عفاء على دنيا رحلت لغيرها فليس بها للصالحين معراج كدأب على في المواطن كلها أبي حسن والغصن من حيث يخرج قال: فحوله خالد إلى الآخر فوجده قد مات، وحوله إلى الآخر فوجده قد مات، فبكى خالد حتى سمع صوت بكائه، ورمى الكوب من يده وقال: اللهم اسقهم من جنتك فإنهم قد خرجوا في سبيلك، اللهم اجمعنا بهم في الجنة.

والشاهد: أن محمداً ﷺ تحمل وصبر حتى قدم إسلاماً بدليعاً للناس.

يقول الله له: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ مُلْكٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾» فهو عظيم خلقه عظيم صبره، قاتله أقاربه وجرحوا مشاعره... وضربوا بناته وأذوه وسبوه وشتموه وأخرجوه من دياره... وفي الأخير لما انتصر عليهم وفتح مكة... وطوق الحرث بالجيش قال لكتافر مكة: ما ترون أني فاعل بكم؟

فتباكونا وقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء غفر الله لكم^(١)... بل رفع الله منزلتك وأناك الله الوسيلة حتى يقف أبو سفيان أمامه يبكي ويقول: لا إله إلا الله ما أرحمك، ولا إله إلا الله ما أبرك، ولا إله إلا الله ما أوصلك.

وأناه أبو سفيان بن الحارث ابن عمه بعد أن فرّ بأطفاله لأنه آذى الرسول ﷺ، فقال له علي بن أبي طالب: إلى أين تسير يا أبو سفيان؟

قال: أخرج إلى الصحراء فأموت أنا وأطفالي جوعاً وغرياً وعطشاً.

قال له: ولماذا؟

قال: إن أدركني محمد قطعني بالسيف إرباً إرباً.

قال: عذر إليك وسلم عليه بالنبوة وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف: «تَأَلَّهُ لَقَدْ مَأْثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِعِينَ».

فعاد إليه ووقف على رأسه وسلم عليه وقال: يا رسول الله... «تَأَلَّهُ لَقَدْ مَأْثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِعِينَ».

(١) سيرة ابن هشام (٤١١/٢).

فرفع بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طرفه وقد هملت الدموع على محياه الجميل وقطرت
لحيته بالدموع.

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكي
فقال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «لَا تَرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرَحَمُ الرَّحْمَنِينَ».

نعم نجح نجاحاً ما شهد التاريخ مثله، العدو يأتيه فينقلب صديقاً
بدعوته.

أتاه رجل فقال: يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأنك
رسول الله، وأنه من كل معصية إلا الزنا.
فقام الصحابة يريدون أن يؤذبوا هذا الرجل... لأنه يتكلّم
بالفاحشة أمام الرسول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قال: دعوه... اتركوه... فتركوه.. فقال له: تعال... فأجلسه
بجانبه ووضع يده الشريفة على كتفه وقال: أترضى الزنا لأمك؟
قال: لا والله.

قال: أترضاه لأختك؟

قال: لا والله.

قال: أترضاه لابنته؟

قال: لا والله.

قال: أترضاه لزوجتك؟

قال: لا والله.

قال: فهل يرضاه المسلمون لأخواتهم وبناتهم... أو كما
قال بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ^(١).

(١) رواه أحمد.

قال: أتوب يا رسول الله من الزنا... فوضع بِيَدِهِ يده على قلب
الرجل وقال: اللهم طهر سمعه وبصره واحصن فرجه.

وأصبح الرجل في ميزان الإسلام... وأصبح من الدعاة... لأن
اللبيب عرف كيف يقود هذا إلى الهدية.

إننا تنقصنا الحكمة... وإننا تنقصنا الرحمة... وإننا تنقصنا
الشفقة... وإنه ينقصنا الأسلوب... إننا رَكَزْنا اهتماماتنا بالمساجد
وتركنا هذه الأماكن!! أهل المساجد جاهزون أتوا يصلون فهم
مستقيمون عابدون صادقون ساجدون راكعون، لكن إخواننا...
أقاربنا... أبناءنا... أعراضنا... أخواتنا في أماكن اللهو فمن يهدىهم
إلى صراط الله المستقيم؟

يقول بِيَدِهِ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر
النعم»^(١)، وقال بِيَدِهِ: «نصر الله أمراءاً سمع مني مقالة فوعاها فأذأها كما
سمعها، فربّ مبلغ أوعى من سامع»^(٢).

وصحّ عنه بِيَدِهِ أنه قال: «بلغوا عنِي ولو آية»^(٣).

والله ذم من كتم العلم. ومن جحد معروفة الله له في الدعوة،
فقال سبحانه وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَى مِنْ
بَعْدِ مَا بَيَّنَكُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَأْلَمُهُمُ اللَّهُ وَيَأْلَمُهُمُ اللَّهُعُونُ ١٦٩ إِلَّا
الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا أَتُوَّبُ الرَّحِيمُ ١٧٠».

وتقصيernا في الدعوة أتى من أمور:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذى وصححه الألبانى في المشكاة (٢٣٠).

(٣) رواه البخارى.

منها: أنه يوجد من يُشَهِر بالعصاة، فيُشَهِر بأسمائهم أو يُبَكِّتهم بالعتاب أمام الناس، أو يتحدَّث لهم أمام الناس في معصيتهم وهذا خطأ.

يقول الشافعي:

تعمَّدْنِي بِنَصْحِكَ فِي انْفَرَادٍ
وَجَنَّبْنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فِيَانَ النَّصِيحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
مِنَ التَّوْبِيَخِ لَا أَرْضِي اسْتِمَاعَهُ
فِيَانَ خَالِفَتِنِي وَعَصَيْتِ أَمْرِي
فَلَا تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطِ طَاعَةَ
وَمِنْهَا: أَنَا لَا نَصِيرُ فِي إِيصالِ الْحَقِّ إِلَى أَصْحَابِهِ.

وَمِنْهَا: أَنْ بَعْضَ الْقَوَالِبِ الَّتِي يُؤْدِي بِهَا الْمَعْرُوفُ تَكُونُ فَظَةً
غَلِيظَةً لَا يَقْبِلُهَا النَّاسُ «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًّا لَقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ».

يقول جرير بن عبد الله: والله ما زال بِكَلَّتِهِ... كلما رأي يتسنم في
وجهي.

ويقول عمرو بن العاص: ما زال بِكَلَّتِهِ ينظر إِلَيَّ حتى ظنَّتُ أَنِّي
أَفْضَلُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ.

فَالَّذِينَ إِيصالِ الْحَقِّ فِي قَالْبِ الرَّحْمَةِ وَدُمُّ الشَّهِيرَ بِالْعَصَةِ مِنْ
أَسْبَابِ الْهُدَى لِأَنَّ النَّاسَ بِهِمْ خَيْرٌ.

وَأَنَا أَذْكُرُ قَصَّةً لِرَجُلٍ سَمِعْتُهَا مِنْهُ مُبَاشِرَةً... وَهُوَ دَاعِيَةٌ مُوْفَقٌ
نُورُ الله قلبُهُ وَبَصِيرَتُهُ وَأَتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتَ
خَيْرًا كَثِيرًا».

يقول: كان في بلدنا رجل مجرم بمعنى الكلمة... هذا المجرم
مرهُج للمخدرات وسبق أن رجال الأمن طاردوه وطاردهم وضايقوا
وضايقوه... وكان يحمل السلاح... قطع والديه وقطع أرحامه
ونسي الله... وتردى في المعاصي حتى أعجز الناس.

قال: فأتنى فكرة لأن يهديه الله على يدي. فكنت أقوم في آخر الليل في السحر وأتضرع إلى الله أن يجعل هدايته على يدي، وضمنت قبل أن أصل إلى بيته يوماً لعل الله أن يجعله من العمل الصالح الذي يُتقرّب به إلى الله، ثم أخذت هدية... وما أحسن الهدية! هدية تأخذ القلوب وتجلب الأرواح يفعلها محمد ﷺ وأتباعه.

قال: وذهبت بها إلى بيته، فلما رأيته سلمت عليه وقلت له: أحببتك في الله... ورأيت عليك آثار الخير!! من أين آثار الخير فوجهه كففاه! فهو أسود من الليل!.. لكن انظر إلى الأساليب.. انظر إلى السحر الحلال.

ففي السحر: سحر حلال، وسحر حرام... السحر الحلال تبسمك في وجوه الرجال... وأن تعانق العصاة لتقودهم إلى الجنة ليكونوا في ميزان حسناتك.

فالكلمة الفظة سهلة... وتعقيد الجبين سهل... والهراوة سهلة... والكرياج سهل... لكنها تهدم ولا تبني، وتشرد ولا تقرّب، وتقسي ولا تلين... ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله.

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه»⁽¹⁾، ويقول ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»⁽²⁾.

قال: فنظر في وقال: أتعرفني؟

قلت: لا وإنما رأيتك في مناسبات فخذ هذه الهدية، فأخذها.

(1) رواه مسلم.

(2) متفق عليه.

قال: وما كلامته بكلمة واحدة وعدت إلى بيتي.. وقلت: الحمد لله نجحت في أول خطوة.

وبعد أيام ذهبت إليه وقلت: أسألك بالله أن تأتي إلى بيتي في زيارة فإنني أحبيتك.

قال: آتاك.

فحددت له موعداً ليس إلا أنا، وهو فدخل بيتي.
فدخل البيت وتغدى.

قال: والله ما كلامته بالدعوة بكلمة، فخرج فقلت: هذا نجاح ثانٍ.

قال: ومرة ثالثة قلت له لدّي سفر إلى قرية قرية وأريد أن تركب معك... فركب معك.

قال: فلما ركب معك ابتهلت إلى الله ودمعت عيناي، فدعوت الله أن يرزقني الصدق وأن يجري الحق على لساني.

قال: فلما ركب انطلقت في الكلام وأتت فتوحات من الواحد الأحد... ما أدرى من أين انهال هذا الكلام فأخذت دموعه تتتساقط. فقد أحيا الله الفطرة... وأخرج الله الفطرة من مكانها... واشتعلت الفطرة في قلبه... وتحركت لا إله إلا الله في روحه.

قلت له: أريد أن أجنبك النار... أريد أن أقودك إلى الجنة في كلام طويل.

قال: مد يدك... فمدت يدي.

قال: أشهد الله وملائكته وحملة عرشه، ثم أشهدك أنني تبت إلى الله، وأسألك بالله الذي لا إله إلا هو قبل الفجر أن تمر علي لتأخذني إلى المسجد.

وعدت إلى القرية، وبعد أيام كان يصلني معي في المسجد، ودخل على والده ووالدته وكانتا كباراً في السن.. وقد هجرهم سنوات.

فدخل عليهم وأثار الخير والثور يشعان من وجده فقالوا: أنت فلان؟

قال: أنا فلان.. ثم قبل يد أبيه ورأسه ويد أمه ورأسها، فانطلقوا ي يكون فرحاً في البيت.

طبع السرور على حتى أنسى من عظم ما قد سرني أبكاني فيما مسلمون، بمثل هذا فليعمل العاملون، وهو أسلوب محمد صلوات الله عليه الفذ العجيب الذي وصل به إلى قلوب الناس والذي أخذ أعدى الناس حتى أصبحوا في صفة صلوات الله عليه.

العنصر الثالث: الفتنة ونعود بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن.

كان صلوات الله عليه يقول لعمار: استعد بالله يا عمار من الفتنة، فيقول عمار: أعوذ بالله من الفتنة.

ويقول صلوات الله عليه في الصحيح: «يوشك أن يكون خير ما للمرء المسلم غنم يتتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتنة»^(١). وحدث هذا، فيتمنى الإنسان يوم يرى بعض المناظر أنه ما عرف الحياة أو أنه بجبل يتصل بالله في شعب من الشعاب، لكن ماذا يفعل؟ أينسحب؟ أينهزم؟. والله عز وجل يقول: «وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ».

(١) رواه البخاري.

فلا بد من كلمة الحق... ولا بد من الدعوة إلى منهج الله
سبحانه وتعالى.

ومن علامات الفتنة التي أخبر بها ﷺ ما ثبت في الصحيحين أنه قال: «صنفان من أمتي لم أرهما اليوم... أناس معهم سياط كاذناب البقر يضربون الناس... ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنة البخت لا يجدن رائحة الجنة».

أما النساء، فقد رأينا نساء مائلات مميلات، يملن القلوب ويميلن الأرواح... مميلات للأفتدة... وقيل يملن بأجسادهن وحدث هذا.. فأصبحت فتاة الإسلام تخرج من بيت أبيها متجملة متغطّرة.. متطيبة نابذة لا إله إلا الله وراء ظهرها لتقول للمجرمين: انظروا.

ثم تعود..

بماذا تعود؟ بلعنة والعياذ بالله، صح عنه ﷺ أنه قال: «إذا تعطّرت المرأة وتزئّت، وخرجت من بيت زوجها (يعني بدون إذنه)، لا زالت الملائكة تلعنها حتى تعود إلى بيتها»، وفي لفظ السنن: «فهي زانية»، لأن العيون نظرت إليها... فخذاري حذاري من هذه الفتنة.

ويقول ﷺ: «ما تركت على أمتي فتنة أشد من النساء»^(١)، فإبليس ما استطاع أن يغوي كثيراً من المهتدين إلا بطريق النساء.

فأقول للنساء، لعل سامعة أن تسمع، ولعل مبصرة أن تبصر... ولعل مؤمنة أن ترى وأن تتدبر وتنتفّك... يا أختي... يا أمي... يا أيتها المسلمة: اتقى الله في إيمانك وعِرْضك، اتقى الله في المجتمع... اتقى الله في العباد والبلاد... أنت المسؤولة عن الفتنة... وتعريض غيرك للمخاطر.

(١) متفق عليه.

يا أمة الله: بيتك... بيتك... يا أمة الله: أين الإيمان؟ أين تربية محمد ﷺ؟ أين قول الله عز وجل: «وَقَرَنَ فِي بُؤْتَكَنْ وَلَا تَبَرَّجْ تَبَرَّجَ الْجَهِيلَةَ الْأَوَّلَ».

وقفت عائشة بعد وفاة الرسول سنوات في بيتها وكانت تتهجد وتردد: «وَقُوْهُرْ لَهُمْ مَسْعُولُونَ».

وصح عنها أنها قرأت في ضحى إلى الظهر قوله تعالى: «فَرَبَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِ نَدْعَوْهُ إِنَّمَا هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ» وتبكي... أين هذه التربية الخالدة؟ أين تربية الإسلام؟

وإني أوصي المسلم بثلاث وصايا:

أولها: أن تكون مربية في البيت «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُلَّا أَفْسَكُو وَأَفْلِيْكُو نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيْكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُمُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَقْعُدُونَ مَا يُؤْمِرُونَ».

الخمساء تقدمت في القادسية كما قال بعض أهل التاريخ بأربعة أبناء، فألبسهم الأكفان وطيّبهم وقالت: أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائمه، لا تعودوا إلا قتلى ليشرّفني الله بشهادتكم... فقتلوا في سبيل الله، فلما أخبرت تبسمت وقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله.

أيّ امرأة هذه؟ المرأة المسلمة... أيّ تربية هذه؟ التربية الحرة. أراد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه أن يخطب فاطمة فدخل على الرسول ﷺ.

قال: فاستحييت من رسول الله ﷺ.

قال ﷺ: كأنك تريد فاطمة.

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: عندك شيء من مال؟

قلت: والله ما عندي شيء!! علي بن أبي طالب لا يملك شيئاً!
لكنه يملك الإيمان.. ويملك التوحيد.. ويملك لا إله إلا الله..
ويملك قصوراً في الجنة.. وسعة في الجنة.. وبساتين في الجنة.

قال عليه السلام: أين درعك الحُطمية؟

قال: فأتيت بها مكسرة لا تساوي درهماً.. فزوجه عليه السلام.

يقول محمد إقبال عن فاطمة:

هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟

من ذا يساوي في الأنام علاماً
أما أبوها فهو أشرف مرسلاً

جبريل بالتوحيد قد رئاها

وعلي زوج لا تسل عنه سوى

سيفاً غدى بيمينه تئاها

زارهم عليه السلام في الليل.. فاستناروا بنوره في الظلام.. وصلهم
وهم نائمين. فقالت فاطمة: يا رسول الله طحت الرحا حتى كلت
يدي، وكنست حتى تدنت ثيابي، فهل من خادم؟ تعني جارية
تخدمها، تريد خادمة.

فانتظر عليه السلام ثم أتتها بعد ليالي وقال: ألا أخبركم بخير لكم من
خادم.. بإمكانه أن يعطيها ذهباً عليه السلام وفضة.. وخدماً.. ولكنه
يريد لها الجنة. تأتي يوم القيمة على ناقة من نور، خطامها نور يشق
لها الناس الطريق وهي بنت محمد محجبة .. عليه السلام.

قال: ألا أدلّكم على خير لكم من خادم؟

قال: بلى يا رسول الله.

قال: «إذا أويتما إلى مضمونكم، فسبّحا الله ثلاثة وثلاثين،
واحمدوا الله ثلاثة وثلاثين، وكبّرا الله أربعاً وثلاثين، فهي خير لكم من
خادم».

أته سكرات الموت عليه السلام، فاقتربت منه رضي الله عنها وأرضها
فأخذت تبكي. يقول لها عليه السلام: «أنت أول الناس لحاقاً بي»، وعلمت أنه
سوف يموت في ذاك المرض فأخذت تبكي فقال: ادني يا بنية..
فدت رضي الله عنها وأرضها من المصطفى عليه السلام، فلما دنت من
المصطفى عليه السلام قال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين»^(١)،
فتبسمت.

إن النموذج الخالد نسأوه عليه السلام وبناته والمؤمنات الصادقات
الصالحات.

لماذا هذا التكشف؟ لماذا هذا الغُرُّ؟ لماذا مخالفة الحجاب؟
لماذا الخروج على أمر الله؟ «أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْلَمُونَ وَمَنْ أَحَسَنَ مِنَ اللَّهِ
حَكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ».

تكشف على الشاطئ... تكشف مع الخياط... تكشف مع
بائع الذهب، أين الإيمان؟ أين التقوى؟ أين الخوف من الواحد الأحد؟
يقول أهل العلم: كان من الصالحين رجل صديق فأتى بعض
الفجرة وقالوا: والله لنغوينه، فأتوا إلى موسمة والعياذ بالله فأعطوها مالاً
وقالوا لها: تعرضي لذاك العابد في ظلام الليل.

فتعرضت له، ولما رأها وهي متكتشفة رأى الجمال فقال لها
العبد وقد نكس بصره: يا ذات الجمال اتقى ناراً تلظى، لا تلفح
 وجهك النار.

(١) متفق عليه.

فأخذت تبكي وتابت إلى الله!

يا ذات الجمال... يا ذات الخدر... يا ذات العرض... يا بنت الإسلام، يا فتاة الدين... احذري نار جهنم أن تلفحك بحرارتها. فالله عز وجل أرصد للعصاة ناراً... ووعدهم نكالاً... وأكلهم زقُوم وشرابهم الصديد، فاحذري أن يكون مصيرك بعد هذا اللهو وهذا الفتون، وهذا اللعب وهذا التمرد على منهج الله أن يكون ناراً تلظى... ويكون ضياعاً وخساناً... نعوذ بالله من الخذلان.

تزوَّد لِلَّذِي لَا بَدْ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ
أَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زَادَ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ
وَلَكُنْ كَيْفَ تُرْبِيُ الْمُسْلِمَةَ؟ كَيْفَ تُرْبِيُ الْمُسْلِمَةَ الَّتِي تَخَافُ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ وَتَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟

نُرِبِّيَهَا بِالصَّلَاةِ... بِالْحِجَابِ... بِذِكْرِ اللَّهِ... بِالْكِتَابِ
الْإِسْلَامِيِّ... بِالشَّرِيْطِ الْإِسْلَامِيِّ، بِالاتِّصَالِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ.

العنصر الرابع: حياة اللهو واللعب.. فكثيرٌ من الناس ميتاً!!
يأكل ويشرب ويرقص ويغنى ويستمع للأغنية ويطالع المجلة ويلعب
البلوت... والباصرة... والورقة... فهو عبد لشهوته، وعبد
لبطنه... وعبد لفرجه... ولكنَّه ميت تماماً «أَمْ تَخَسَّبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلَا» 

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمْ سَفَكُوا مِنَ النَّظَرَاتِ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمْ اعْتَدُوا
عَلَى الْحَرَمَاتِ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَمْ أَغْضَبُوا رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟
«وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْتَهُنَّ بِهَا وَلَمْ يُ
أَعْيُنْ لَا يَتَصَرَّرُونَ بِهَا وَلَمْ يَمْأَذُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّافِلُونَ» 

١٢١

عاشوا على العود وهجروا المصحف... عاشوا على الدندة وهجروا التلاوة... عاشوا على المقهى الأثيم الأحمر وتركوا المساجد. هجروا القرآن من أجل المجلة الخليعة.

ولكن مع ذلك هم على الفطرة، ولكن مع ذلك هم مستعدون أن يعودوا إلى الله.. ومع ذلك ما زالت حرارة لا إله إلا الله تتقد في قلوبهم.

والحمد لله.. لقد عاد كثير منهم إلى الهدایة بعد أن جربوا كل شيء فما وجدوا السكينة.

نعم، إنها صحوة وعودة إلى الواحد الأحد، لأن الناس جربوا الضياع بما وجدوا العيش إلا في كثيف الله... أي شيء وجد من فقد الله؟.. وأي شيء فقد من وجد الله؟

ولو إنا إذا متنا ثرثنا لكان الموت غاية كل حي ولكننا إذا متنا بعثنا ويسأل ربنا عن كل شيء **﴿ثُرُرُ عَلَى ثُرُرٍ يَهْدِي اللَّهُ لِثُرُرِهِ مَن يَشَاءُ﴾**.

لقد اهتدوا وعادوا وسجدوا للواحد الأحد، وبكوا وتغسلوا بالدموع، وتوضأوا بماء الحسرة، والله يقول: **«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** .

ولكن لا زالت بقية من الشباب - هداهم الله - مُغرضين عن الحق، فيصدق عليهم قوله تعالى: **«وَذَرِ الَّذِينَ أَنْجَدْنَا لَهُمْ لَعْنًا وَلَهُمَا وَعْرَةٌ الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا﴾**.

فكثير من الناس يعيش لجسمه فقط، فهو يريد أن ينزع جسمه... في الصيف في أبها أو في الطائف... وفي الربيع في جدة

على الشواطئ في فيلا... وفي مكيف... وفي نعيم... وفي رغد... وفي فسحة... وفي نظر... أما جسمه فغداه ولكن أهلك قلبه هلاكاً ما بعده هلاك.

أتعبت جسمك فيما فيه خرسان
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
فهل لخراب الدار مجتهداً
يا عامراً لخراب الدار

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته
أقبل على الروح واستكمل فضائلها
يا عامراً لخراب الدار مجتهداً
يا متعب الجسم كم تسعى لراحته

ثبتت البناي - محدث كبير - بكى حتى ذهبت عينه من خشية الله وبقي على عين واحدة، فقالوا: نخرج بك إلى حدائق خراسان لعلك ترى الخضراء والماء.. ولعلك إذا رأيت الخضراء أن يعود لك بصرك.

فخرجوا به فرأى الحدائق الغناء في خراسان... ورأى البساتين... ورأى الماء يجري، ولكن كلما رأى بستانًا بكى وتذكر الجنة... وكلما رأى حديقة بكى وتذكر الجنة.

وداع دعا إذ نحن بالخيف من مني
فهيج أشواق الفؤاد وما يدرى
أطار بليلي طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلي غيرها فكانما

ولما عاد إلى البصرة قالوا: كيف وجدت الرحلة؟

قال: والله ما أتعجبني في نزهتي كلها إلا عجوزاً رأيتها تصلي ركعتي الضحي.. الله درك!!

والله إن هناك من ينظر إلى هذه القصور وهذا العمار وهذه الدور وكأنها الأحذية أو التراب أو الرماد، يوم يتذكر في جنة عرضها السموات والأرض، لأننا وإن طال تمتعنا فحتماً سنرث إلى مولانا ﴿إِنَّمَا
رُدُوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِينَ ﴿٢٢﴾ ﴿إِنَّمَا
كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا أَتَى رَبَّهُنَّ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَخْصَنَاهُمْ وَعَدَهُمْ
عَدًا﴾.

دخل ﷺ المسجد فارتقى المنبر فقال للصحابة: أنقاتل كفار
قريش في أحد أو في المدينة؟

قالوا: نقاتلهم داخل المدينة.

فقام شاب من الأنصار من آخر الصفوف وقال: يا رسول الله...
لا تحرمني دخول الجنة، والله الذي لا إله إلا هو لأدخلنّ الجنة.

قال ﷺ: بم تدخل الجنة؟

قال: بخصلتين: بأنني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم
الزحف... فدمعت عيناه ﷺ وقال: «إن تصدق الله يصدقك» وخرجوا
يوم أحد فكان أول مقتول!

أتى عبدالله بن عمرو الأنصاري فنام قبل المعركة (معركة أحد)
ليلة، فرأى في المنام أنه أول مقتول أو من أول من يُقتل، فأيقظ بناته
في الليل فوَدَعُهم آخر ليلة، والليلة الثانية كان مع الله في ضيافة الواحد
الأحد ﴿يَأَيُّهَا النَّفَّاثَاتُ إِنَّ رَبِّكَ رَاضِيَّهُ تَرْهِيَّهُ فَأَذْنِلِي فِي عِبَدِي وَأَذْنِلِي جَنَّي﴾ .

فلما أيقظ بناته قال: أستودعك الله الذي لا تضيع وداعه...
رأيت أنني أول من يُقتل غداً، ويا جابر عليك بأخواتك خيراً.

وأتى الصباح الباكر... الصباح البهيج... صباح أهل الجنة...
والتقى مع الكفار فُقتل... وُضرب ضرباً في جسمه مُبرحاً. فأتى ابنه
يبكي فيقول ﷺ: أباك أو لا تبك، والذي نفسي بيده ما زالت الملائكة
تظلمه بأجنحتها حتى رفعته... والذي نفسي بيده يا جابر لقد كُلِّم الله
أباك كفاحاً بلا ترجمان، فقال له: تمنّ.

قال: أتمنى أن تعيذني إلى الدنيا فأُقتل فيك ثانية.

قال: إني كتبت على نفسي أنهم إليها لا يرجعون، فتمّ.

قال: أتمنى أن ترضى عنِي فإني قد رضيت عنك.

فقال الله: فإني قد أحللت عليك رضوانِي لا أُسخط عليك
أبداً^(١).

حياة هي حياة الجنة... وحياة القرب من الله الواحد الأحد...
حياة هي حياة التوفيق والسعادة ومن حُرمها فقد حرم الأمان **﴿فَلَمْ يَنْفَعِ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فِيمَلِكَ فَلَيَقْرَبُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** 

وابن تيمية قال له الملك: تريد ملكاً؟

قال: والله ما أريد ملوك ولا ملوك أبيك ولا ملوك أجدادك، لكن
أريد جنة عرضها السموات والأرض.

فيما مسلمون: لا يغرنكم بالله الغرور: نعيم... بساتين...
نَزَهَاتٍ... ماء... ظل... فكلها تتلاشى ولا يبقى إلا ما عند الواحد
الأحد.

دنياك تزهو ولا تدرِي بما فيها
إياك إياك لا تأمن عواديها
ويدرك الموت أجيالاً فيفنيها
تحلو الحياة لأجيال فتنعشهم
الجار أحمد والرحمن بانيها
فاعمل لدار غداً رضوان خازنها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها
اللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ.

العنصر الخامس: عقوبات المعاشي:

من أعظم عقوبات المعاشي أن يضرب الله قلوبنا ضرباً ما بعده
ضرب... وهو ضرب القسوة - نعوذ بالله من قسوة القلوب - يقول
تعالى: **﴿إِنَّمَا قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَيَهُوَ كَالْجَحَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾**.

(١) سيرة ابن هشام (٢/٨٣)، وأصله في الصحيحين.

وقال سبحانه: **﴿فِيمَا نَقْضَيْهِمْ مِّنْكُمْ لَعَنْهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً يُحَرَّقُونَ أَلْحَلَمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾**.

ولكن كيف لا يقوس قلب اللاعب.. الاهي.. قلب المعني.. قلب الذي لا يعرف الصلوات الخمس في المسجد.. قلب الذي يعيش حياة كأنها حياة الخواجات.. فلا يعرف من الإسلام إلا رسمه أو اسمه، فهو مسلم بالحقيقة، ولكنه لا يحمل من الإسلام شيئاً.

عَدُّنَا كثِيرٌ، فالمسلمون ملِيار لكن:

عدد الحصى والرمل في تعدادهم فإذا حسبت وجدتهم أصفاراً من كل مفتون على قيشاره كلاً رأيت بفنه بَيْنَ طاراً ومن آثار الذنوب: البغضاء التي تحدث بين القلوب، ولذلك تشتّت الأسر.. وقطعت الأرحام.. وعق الوالدين.. ونشكوا حالنا إلى الواحد الأحد.

ومن عقوبات المعاصي: قلة البركة.. قلة البركة في الأموال والأولاد، جيل في البيوت من الأبناء والأولاد والبركة فيهم قليلة.. وأموال كالجبال وبنوك ولكن لا بركة.

ومن عقوبات المعاصي: فساد طعم الحياة، وهذا يُسمى انطفاء النور..

قال الإمام مالك للشافعي: إني أرى عليك آثار النور والنباهة فإياك أن تفسد نورك ونباهتك بالمعصية.

وقال آخر: نظرت إلى منظر لا يحل لي فنسّيت القرآن بعد أربعين سنة، فنعود بالله من الخذلان والمعاصي والحرمان.

وأختتم هذه الرسالة بعنصِر: هل من توبَة؟

هل من توبَة يا مسلمون؟ وهل من عودة إلى الله الواحد الأحد؟

﴿قُلْ يَعْبَادُوا الَّذِينَ أَشْرَقُوا عَلَيْنَ أَنفُسُهُمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ
الَّذِنُوبَ جَيِّعًا إِنَّمَا هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣).

أتى رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله: أذنبت.

قال: تُبْ إِلَى اللَّهِ.

قال: ثم أذنب. فقال: تُبْ إِلَى اللَّهِ.

قال: ثم أذنب. فقال: تُبْ إِلَى اللَّهِ.

قال: إِلَى متى؟

قال: حتى يكون الشيطان هو المدحور^(١).

كلما أذنبت فتب إلى الله الواحد الأحد، واغسل خطئتك بماء التوبة واستغفر... وراجع حسابك مع الله... واعلم أن التوبة واجبة.

وبادر بالّتوبَةِ النَّصْوحِ قبل احتضار وانتزاع الروح
لا تحقر شيئاً من المأثم وإنما الأعمال بالخواتيم
ومن لقاء الله قد أحبّا كان له الله أشد حبّا
حضرروا أبا بكر وهو في سكرات الموت رضي الله عنه وأرضاه
قالوا: يا خليفة رسول الله... ماذا تشتكى؟

قال: أشتكى ذنبياً ذنبياً ذنبيك يا أبا بكر! ذنبيك وأنت المجاهد
الأول... والمصدق الأول... والزاهد الأول.

قالوا: ماذا تريدين؟

قال: أريد المغفرة.

(١) رواه ابن حبان.

قالوا: هل ندعوك طيباً؟

قال: الطيب قد رأني.

قالوا: ماذا قال لك؟

قال: قال: إني فعال لما أريد!

كيف أشكو إلى طببى ما بي والذى قد أصابنى من طببى
يقول بعض أهل التفسير: كان إبراهيم عليه السلام يقول في
السحر: أواه من ذنوبى.. أواه من خطايى.. أواه من سيئاتى...
فسماه الله أواها منيأ.

وقال الإمام أحمد في كتاب الزهد: كان بلال يقول مع السحر:
اللهم هذا إقبال نهارك وإدبار ليلك... وهذا سحر فاغفر لي عللي.

وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح: يا ليتني كنت رماداً تذرني
الرياح.

وقال عمر: يا ليتني كنت شجرة أغضد.

وقال ابن مسعود: والله لو علمتم ذنوبى لحثوتكم على رأسي
التراب. رضي الله عنهم وأرضاهم... كانوا أطهاراً... كانوا
عبداداً... ليتهم سهر مع الواحد الأحد.. قيام ودموع وخشوع وخصوص
وركوع، ونهارهم جهاد ودعوة وبذل وعطاء.

فما بال ليتنا اليوم تحول إلى موسيقى... وإلى غناء... وإلى
لهم... وإلى فحش... وإلى معصية إلا من رحم رب؟

وتحول النهار إلى غيبة ونميمة وشهادة زور... وإلى نظر
محرم.

فنشكو حالنا إلى الله.

وارحم أيا رب ذنباً قد جنينا
فإن تولت بلايانا نسينا
فإن رجعنا إلى الشاطئ عصينا
فما سقطنا لأن الحافظ الله
والعجب أن الله عصي في البر والبحر وعلى الشاطئ وفي
يا رب عفوك لا تأخذ بذلتنا
كم نطلب الله في ضر يحل بنا
ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا
ونركب الجو في أمن وفي دعة
الطائرات.

فسبحان من يعفو.

نسأله تعالى أن يتوب علينا... وأن يرد ضال المسلمين... وأن
يهدينا إليه هداية عامة مطلقة.

اللهم إنا قد أسلمنا وأمنا وصدقنا.. اللهم فاتح لنا باب القبول.
اللهم أغثنا بفضلك ومنتك وكرمك... اللهم رُدّ ضال المسلمين،
اللهم اهدنا سواء صراطك المستقيم... ثبتنا على الحق إلى يوم أن
نلقاك.

وصلَى الله على محمد وعلى آله وصحبه، وسلَّمَ تسلیماً كثيراً.

أمير وفقيه

الحمدُ لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلقةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريكاً في الملك، وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرأ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله،
بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً،
أُسْكَنَ الله به الجاهلية، فلم تتكلّم، وهدم به الوثنية فلم تُبَنْ، وأزال به
أوضاع الشرك فلم يُعُدْ، وعلى الله وصحبه وسلم تسلیماً كثیراً.

أما بعد :

يقول - تعالى : «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا تُوقَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسِنُونَ ١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَثْمَارٌ وَحَبْطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَيَنْطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٦».

وقال : «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لَمَنْ تُرِيدَ ثُرَّ جَعَلَنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَلُهَا مَذْمُومًا مَذْهُورًا ١٧ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعَيْهُمْ مَشْكُورًا ١٨ كُلَّا ثُمَّ هَتَّلَاءٌ

وَهَتَّلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَمْطُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرْجَتٍ وَأَكْبَرُ تَقْضِيَّاً ﴿٢٢﴾ .

ما هي الحياة؟

ما هو ذهبها؟

ما هي فضتها؟

ما هي قصورها؟ ومناصبها ووظائفها؟

كلها لا شيء.. وإنما لعب، ولهم، وتفاخر، وتكاثر، وزهو،
ورياء، وإعجاب، وظهور، ولموع.

ولكن الحقائق الباقيات هي: الإيمان، والعمل الصالح.

خرج علي ابن المأمون الخليفة العباسي فأشرف من شرفة القصر ذات يوم ينظر إلى سوق بغداد.

ينظر من البروج العاجية.. فطعامه شهي.. ومركبه وطيء..
وعيشه هنيء.

يلبس ما جمل ويأكل ما طاب، وما جاع يوماً في حياته، وما ظمئ أبداً، وما مسّت الشمس جبهته.

فأخذ ينظر من القصر إلى الناس في السوق، هذا يذهب، وهذا يأتي في حركة دؤوبة.

فلفت نظر الأمير رجل من الناس يعمل حمّالاً يحمل للناس بالأجرة، وكان يظهر عليه الصلاح والنسك.

فكانت حاله على كتفيه، والحمل على ظهره، ينقل الحمولة من دُكَان إلى دُكَان، ومن مَكَان إلى مَكَان، فأخذ يتبع حركاته في السوق، فكان هذا الحمّال إذا انتصف الضحى، ترك السوق، وخرج إلى ضفاف دجلة فتوضاً، وصل إلى ركعتين، ورفع يديه إلى الحي القيوم.

سبحان من اتصل به الفقراء والمساكين!
سبحان من التجأ إليه المظلومون والمغضبون!
سبحان من عرفه البسطاء وحجب كثيراً من الأغنياء والوجهاء!
فكان هذا الحمّال إذا صلّى الضحى، عاد فعمل إلى قبيل الظهر،
ثم اشتري خبزة بدرهم، فأخذها إلى نهر دجلة فييلها في الماء،
ويشرب من الماء ويأكل.
فإذا انتهى توضأ للظهر، وصلّى ثم دعا وابتهل و بكى، ونادى
الحيّ القيوم.
ثم نام ساعة وبعد النوم يستيقظ، فينزل إلى السوق، فيعمل،
ويجتهد ثم يشتري خبزاً ويدهب إلى بيته.
وفي اليوم الثاني: يعود إلى هذا البرنامج والجدول الذي لا
يتغير، وهكذا اليوم الثالث والرابع إلى أيام كثيرة.
فأرسل الأمير جندياً من جنوده إلى ذاك الحمّال ليستدعيه ليكلمه
في القصر.
فذهب الجندي واستدعاي الحمّال، فقال في نفسه: مالي ومال
جنودبني العباس.. مالي ومال الخلفاء.
قالوا: أمر الأمير أن تحضر عنده اليوم.
فظنّ المسكين أن الأمير سوف يحاسبه أو يحاكمه.
قال: حسينا الله ونعم الوكيل.
وهذه الكلمة سلاح الفقراء، وسلاح المغضوبين، وسلاح
المظلومين، وسلاح المساكين، لكنّها تكسر رؤوس الطغاة.. لكنّها
تحطم الحواجز الحديدية.. لكنّها تسحق القلاع.

فإبراهيم عليه السلام عندما أتوا به، والنار محرقة، فرموه في النار أخرج سلاحه وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء.

فدخلَ هذا الفقير على ابن المأمون الأمير فسلمَ عليه.

فقال له الأمير: ألا تعرفني؟

قال: ما رأيت حتى أعرفك.

قال: أنا ابن الخليفة.

قال: يقولون ذلك.

قال: ماذا تعمل أنت؟

قال: أعمل مع عباد الله في بلاد الله.

قال: قد رأيتك أياماً ورأيت المشقة التي أصابتك، فأريد أن أخفّ عنك المشقة.

قال: بماذا؟

قال: اسكن معي القصر بأهلك، آكلأ، شارباً، مستريحاً، لا هم ولا غم، ولا حزن.

فقال: يا ابن الخليفة لا هم على من لم يذنب، ولا غم على من لم يعص، ولا حزن على من لم يسىء.

أما من أمسى في غضب الله، وأصبح في معاصي الله، فهو مصاحب للغم، والحزن، والهم. فسأله عن أهله.

فقال: أمي عجوز كبيرة، وأختي عمياء حسيرة، آتني بإفطارهما قبل الغروب، وهم تصومان كل يوم فنفتر جمياً ثم ننام.

قال : فمتى تستيقظ ؟

قال : إذا نزل الحي القيوم إلى السماء الدنيا .

قال : هل عليك من دين ؟

قال : ذنوب سلفت بيني وبين الحي القيوم .

قال : ألا ت يريد معيشتنا ؟

قال : لا والله .

قال : ولم ؟

قال : أخاف أن يقسو قلبي وأن يضيع ديني .

قال : أتفضل أن تكون حملاً في السوق ، جائعاً في الشمس ،
والعرى ، والهم ، والغم ، والكلفة ، ولا تكون معي في قصر الإمارة ؟

قال : إيه والله .

فنزل وتركه .

فأخذ الأمير يتأمله وينظر وهو مشدوه بعد أن ألقى عليه
محاضرات من الإيمان ، وطرق قلبه بدروس من التوحيد .

وفي ليلة من الليالي استفاق الأمير من غيبوبته وصحا من نومه ،
وعلم أنه كان في سبات عميق ، وفي نوم طويل ، وأن داعي الله يدعوه
ليتبئه .

تَنْبَهْ وَا يَا رَقْدُ
إِلَى مَتَى ذَا الْجَمْدُ
فِهَذِهِ الدَّارِ تَبْلِي
وَمَا عَلَيْهَا يَبْيِدُ
الْخَيْرُ فِيهَا قَلِيلٌ
وَالشَّرُّ فِيهَا عَدِيدٌ
وَالْعُمَرُ يَنْقُصُ فِيهَا
فَاسْتَكْثِرْ الزَّادَ فِيهَا
إِنَّ الطَّرِيقَ بِعِيدٍ

فاستيقظ الأمير وسط الليل، وقال لحاشيته: أنا أذهب إلى مكان، فإذا أتى بعد ثلاثة أيام أخبروا أبي الخليفة المأمون أني ذهبت وسوف ألتقي أنا وإيّاه يوم العرض الأكبر.

قالوا: ولم؟

قال: نظرت إلى نفسي فإذا أنا في غيبة وفي سبات وفي ضياع وضلال، فأنا أريد أن أهاجر بروحى إلى الله.

فخرج وسط الليل، وقد خلع لباسه ولبس لباس الفقير، ومشى في الطرقات، واختفى عن العيون.

ولم يعلم الخليفة ولا أهل بغداد أين ذهب الأمير.

وعهد الخدم به يوم ترك القصر أنه ركب إلى واسط كما يقول أهل التاريخ، وقد غير هيئته وأصبح كهيئة المساكين، وعمل مع تاجر التجّار في صنع الأجر.

فكان له أوراد. في الصباح يحفظ القرآن، ويصوم الاثنين، والخميس، ويقوم الليل، ويحصل بالحي القيوم، وما عنده من المال ما يكفيه يوماً واحداً.

فذهب غمّه وهمّه، وذهب حزنه، وذهب العجب، والكبر، والخيلاء من قلبه.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحَيَنَّاهُ وَجَعَلَنَا لَهُ ثُورًا يَمْشِي بِهِ فِي الْأَرْضِ
كَمَّ مَثَلْمَثَ فِي الْفَلَمَكَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

ولما أتته الوفاة أعطى هذا التاجر خاتمه وقال: أنا ابن الخليفة المأمون فإذا مُت فغسلني وكفني واقبرني ثم سُلّم هذا الخاتم لأبي.

فغسله، وكفنه، وصلّى عليه، ودفنه وأتى بالخاتم إلى المأمون.

وكان قد ظنَّ أن ابنه قُتل في مكان أو فُقد أو ذهب على وجهه

في مكان لا يدرى عنه. فلما رأى الخاتم شهق وبكى حتى ارتفع صوته، فسأل التاجر عنه.

قال له الخبر.

فارتفع صوت الأمير الخليفة والوزراء بالبكاء، وعرفوا أنه عرف الطريق لكنهم ما مشوا معه في الطريق «فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَمْ يَسْرَحُ مَكْذُرَهُ لِلْإِسْلَمِ».

هذه قصة من قصص التاريخ، أثبتت وحفظت ونُقلت لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

فهل من عاقل؟

وهل متذرّع كتاب الله؟

وهل من فطن يعلم أن السعادة في السجود لله؟ وفي تلاوة كتاب الله؟ وفي ذكر الله؟

فوالله ليست السعادة في الدور ولا في القصور، ولا في الحدائق.

ألا رب ذي طمرين في جنة غدت حدائقه ملتفة ونمارقه

قد اضطررت أنواره حول قصره
يُنعم والتفت عليه حدائقه

فكم من نعيم للمساكين عند الله؟

وكم من سعادة للعارفين بالله؟

وكم من شكوى لمن جعل حياته هذه الحياة الدنيا؟ فقدم المعاصي والشهوات فما كف بصره ولا رد سمعه، ولا حفظ لسانه، ولا فرجه، ولا بطنه، فعندما يندم يوم لا ينفع الندم «ولَقَدْ جَنَّمُوا

فَرَدَىٰ كَمَا خَلَقْتُمُ أَوْلَىٰ مَرَقَ وَرَكْمَ مَا حَوَلْتُمْ وَرَأَهُ ظُهُورَكُمْ وَمَا تَرَىٰ مَعْنَكُمْ
شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَوْا لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا
كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ ﴿٩٤﴾ .

وَأَمَا جُلَيْبِيبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْفَقَرَاءِ الْمَسَاكِينِ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَيْسَ لَهُ
أُسْرَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمَا عَنْهُ جَسْمٌ بَهِيٌّ جَمِيلٌ، وَلَيْسَ عَنْهُ مَالٌ، وَلَا يَمْتَلِكُ
مَنْصَبًا يَدِيرُهُ، أَتَى إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي ثِيَابٍ مَمْزَقَةٍ وَفِي هِيَةٍ اللَّهُ أَعْلَمُ
بِهَا، بَطْنُهُ جَائِعٌ، وَكَبْدُهُ ظَمَائِيٌّ، وَأَعْضَاوُهُ هَزِيلَةٌ، وَوَجْهُهُ شَاحِبٌ.

فَقَالَ لَهُ ﷺ: «يَا جُلَيْبِيبٌ: أَلَا تَتَزَوَّجُ؟»

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَمَنْ يَزُوْجُنِي؟

لَا جَمَالٌ، وَلَا مَالٌ.

لَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَزُوْجُ إِلَّا عَلَى الدِّرَاهِمِ وَالدِّنَارِيِّ، فَهُوَ
يَزُوْجُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَىٰ عَنْهُ مَمْتَلَكَاتٍ وَسِيَارَاتٍ، وَشَاحِنَاتٍ، وَنَاقَلاتٍ،
وَقَصُورٍ، فَيَبْيَعُ ابْنَتَهُ لِذَلِكَ الرَّجُلِ بِعِيَّا، كَمَا تُبَاعُ النَّاقَةُ وَالسِّيَارَةُ فِي
الْسُوقِ، وَلَا يَنْظَرُ إِلَى دِينِ ذَاكَ الرَّجُلِ وَلَا إِلَى صَلَاتِهِ وَلَا إِلَى فَكْرِهِ.

فَقَالَ ﷺ لِجُلَيْبِيبٍ: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِ فَلَانَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقُلْ
لَهُمْ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْلُغُكُمُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: زُوْجُونِي بِنَتَكُمْ».

فَذَهَبَ فَطَرَقَ الْبَابَ.

قَالَ أَهْلُ الْبَيْتِ: مَنْ؟

قَالَ: جُلَيْبِيبٌ.

قَالُوا: مَا لَنَا وَلَكَ يَا جُلَيْبِيبٌ؟

فَخَرَجَ الْأَبُ وَقَالَ: مَاذَا تَرِيدُ؟

قَالَ: الرَّسُولُ ﷺ يَبْلُغُكُمُ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: زُوْجُونِي بِنَتَكُمْ.

فقال الوالد: الله المستعان.. لأنه يعرف أن جليبياً فقير.

فأخبرَ امرأته فقالت: الله المستعان! لو كان غير جليبيب.

فاجتمعا على أن يرداه ويرفضاه.

فسمعتُ البنت العابدة الصالحة الناصحة ما يدور، فقالت: أتردآن
أمرَ الرسول ﷺ عليه؟ لا والله.

فوافقوا وتم الزواج.

فنشأ البيت بيتاً أساسه على الخير «أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُّكْرَةً عَلَى
تَقْوَىٰ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانَ حَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُّكْرَةً عَلَى شَفَّا جُحْرِيْ هَارِ
فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهُدِي الْقَوْمَ الظَّلَمِينَ ﴿٦٣﴾».

أفمن أدخل ابنته بيتاً مسلماً تالياً لكتاب الله مستقيماً ذاكراً الله خير
أم من أدخل ابنته بيتاً مغنياً، متبرجاً، فاحشاً ضالاً، ظالماً؟

وعاشت هذه المرأة في سعادة وأنجبت أطفالاً كانوا مشاعل في
التاريخ وعلماء ودعاة.

فخاض الرسول ﷺ غزوة من الغزوات وبعد القتال سأله
الصحابة: «من تفقدون من الناس»؟

قالوا: فقد فلاناً وفلاناً.

قال: «ومن»؟

قالوا: ما فقد أحداً؟

قال: «لكني فقد جليبياً»؟

فأخذوا يبحثون عنه فوجدوه مقتولاً بجانب سيفه رضي الله عنه.
فمسح رَبِّ الْأَرْضَ التراب عن وجهه، وقبل وجهه، ويكتي وقال: «أنت
مني وأنا منك»^(١).

نسب كأنه عليه من شمس الضحى
نوراً ومن فلك الصباح عموداً
فهنيئاً لجليبيب، وهنيئاً للصادقين، وهنيئاً للمخلصين، وهنيئاً
للسائرين إلى الله.

وقد حذر المتخلفين عن ركب النجاة وحسرة على الضائعين
الضالين، الخارجين عن الله، الذين غلبوا هذه الدنيا التي لا تساوي
جناح بعوضة ونسوا حظهم من الآخرة.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآلها وصحبه وسلم.



(١) رواه مسلم.

لقد خلقنا الإنسان في كبد

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد..

قضية الإنسان في القرآن قضية كبرى.

والله عز وجل يلتحق حياة الإنسان قبل أن تتحمل به أمه، وقبل أن يكون نطفة، وقبل أن تضعه أمه على الأرض طفلاً، ثم شاباً قوياً، ثم رجلاً، ثم كهلاً، ثم أشيباً، ثم ينتقل إلى الله.

يقول تعالى: ﴿وَلَمْ أَخْذْ رَبِّكَ مِنْ بَيْنِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ وَلَمْ يَرَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْشِيَمْ أَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَاتُلُوا بَلَّ﴾.

هذا هو الميثاق الغليظ الذي أخذه الله على الناس وهم في صلب أبيهم آدم فدلّهم على التوحيد وقال لهم: من هو ربكم؟ من هو إلهكم؟ من هو القادر الذي يخلقكم؟ من هو الذي يستحق العبادة؟

ثم تحمل أمه الإنسان بالإنسان، فإذا الله يتحدث عنه وهو في بطن أمه ضاحكاً أو ساكتاً.. نائماً أو مستيقظاً.

فيقول سبحانه: «هُوَ الَّذِي يَصْوِرُكُمْ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَشَاءُ»، ويقول سبحانه: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتِي ثَلَاثٌ».

ثم تلده أمه باكيًا.. وكل الناس يولدون ي يكون من طعنة الشيطان التي يطعن بها ابن آدم عند خروجه من بطن أمه إلا عيسى ابن مريم فما بكى لأن الله حفظه بدعاء أم مريم عندما قالت: «وَلَيَهُ أَعْيُدُهَا إِلَكَ وَذَرِّيَّهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

أما نحن فبكينا عندما أتت بنا أمهاتنا. قال بعض الفلاسفة: يبكي الإنسان لأنه خرج من السعة إلى الضيق أي المعنو.

وقال آخر: بكى الإنسان من هول الابلاء ومن عظم المشقة التي سوف يجدها من الضيق والهم والغم والحزن.

وقال آخر: بكى الإنسان لأنه سوف يرى التكاليف أمام عينه، «وَاللَّهُ أَخْرِجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا» أبكم أصم أعمى لا يأكل ولا يشرب ولا ينطق، فتولاه الله «وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ شَكُورُونَ».

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا والناس حولك يضحكون سروراً فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً يقول عليه السلام في صحيح مسلم: «كل مولود يولد على الفطرة»، أي فطرة الله فلا يولد مغنياً مطلبًا ماجناً لاهياً.

لا.. بل يولد على لا إله إلا الله. ويرفع رأسه على لا إله إلا الله محمد رسول الله.

يقول سبحانه: «فِطَرَ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَنِيلَ لِيَخْلُقُ اللَّهُ لَكُنْ مَنْ بَدَّلَ خَلْقَ اللَّهِ؟

إنهم العملاء.

إنهم الخونة.

إنهم أعداء الإسلام الذين بدّلوا حال الإنسان.

بدّلوا من مؤمن متقي إلى ضال شقي.

ومن عبد صالح إلى عبد طالع **﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا ﴾**، **﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنَ لَمْ فُلُّوْبٌ﴾**، لكن! **﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾**، كقلوب الحيوانات تماماً، يحفظون ويقرأون ويدرسون لكن يفهون كل شيء إلا الدين، ويفهمون كل شيء إلا الإسلام، ويعرفون كل شيء إلا القرآن والسنة، **﴿وَمَنْ أَعْنَى لَا يَعْصِرُونَ بِهَا وَمَنْ أَذَانَ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْفُلُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الظَّافِلُونَ﴾**.

ويقع الإنسان فيتناوله الإسلام بتعاليمه وسننه ويطلب من والديه أن يؤذنا في أذنه لينشأ على عبادة الله وعلى ذكر الله.

وقد أذن **ﷺ** في أذن ابن ابنته الحسن رضي الله عنه، رواه أبو داود.

فقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، حتى أكمل الأذان.

لكن لما أتت التربية المعكوسة، وولد الابن على الموسيقى الإيطالية، ونشأ على المجالات والسهرات والمعا�ي.. خرج ابنًا لاهياً عاصيًا عاقًا لوالديه.

يقول تعالى للإنسان: **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴾** من الذي خدلك؟ إنهم أولئك الطغمة الفاجرة والجلساء السيئون الذين صرفوك عن منهج الله.

﴿مَا غَرَّكَ رِبُّكَ الْكَبِيرُ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ
مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ 

أتى العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله ﷺ بعظم قديم وفتحته
في يده وقال: يا محمد أتزعزع أن ربك يعيد هذا العظم؟

لأن الرسول ﷺ أتى للناس ليقول لهم: إن هناك حساباً، وإن
هناك عقاباً، وإن هناك يوماً آخر، وإن هناك مصيراً محظوماً نقف كلنا
 أمام الله فيه.

قال: أتزعزع أن ربك يعيد هذا؟

قال الرسول ﷺ: «نعم يعيده ويدخلك النار!»

وفي الجواب زيادة (ويدخلك النار) لأنه تافه حقير.

فبعض الناس حقير ولو كان عظيماً في عيون الناس، لكن كل
من انحرف عن منهج الله فهو حقير ذليل صغير.

فقال تعالى: «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ فَالَّذِي يُنْحِي الْعِظَمَ وَهُنَّ
رَمِيمٌ» ، قال الله: «قُلْ يُنْحِيْهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةً».

إنك أيها المجرم لو نظرت إلى خلوك وأنت نطفة، ثم تنقلت من
حال الضعف إلى حال القوة، ومن حال القوة إلى الضعف، ثم مت،
لعلمت أن الله قادر على تلك الأحوال مرة ثانية.

ثم يطلب منا ﷺ أن نحسن من أسماء أولادنا بعد أن يقدموا إلى
هذه الدنيا فيقول: «إنكم تدعون يوم القيمة بأسمائكم وأسماء آبائكم
فحسّنوا أسماءكم»^(١) أو كما قال.

فواجب علينا أن نختار لأبنائنا الاسم الجميل اللامع القوي

(١) رواه أحمد (١٩٤٥)، وأبو داود (٤٩٤٨).

الإسلامي، كعبدالله وعبدالرحمن وأحمد ومحمد، ونجدتني الأسماء الدخيلة التي ميّعت الجيل والشّاء الجديد وشابهت بينه وبين أعدائه.

ويصل الطفل إلى السابعة فيقول ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاه لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(١).

ويصل إلى الأربعين فإذا الله يقول: «حَقٌّ إِذَا بَلَغَ أَشْدُهُ وَلَيْلَةَ أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبِّي أَرْزَقْتَنِي أَنْ أَفْكُرَ بِعَمَّا نَعْمَلَتْ أُنْقَمَتْ عَلَيْهِ» فال الأربعون تمام العقل وتمام القوة وتمام الإرادة والعزمية.

يقول بعض العلماء: إذا بلغ ابنك الأربعين ولم يهتد فاغسل يديك منه لأن الله يقول: «حَقٌّ إِذَا بَلَغَ أَشْدُهُ وَلَيْلَةَ أَرْبَعينَ سَنَةً قَالَ رَبِّي أَرْزَقْتَنِي ...» الآية.

ويستمر القرآن مع الإنسان فإذا شبيه قد أنذر.

قال ابن عباس وهو يقرأ قوله سبحانه وتعالى: «أَوْلَئِكَ نَعْمَلُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَلَا مَنْ أَنْذَرْ» قال: النذير هو الشّيب.

من شاب رأسه أو شابت لحيته ثم لم يكن له رادع ولم يكن له منذر وواعظ فاعلم أنه رجل مخدول.

يقول الإمام أحمد إمام أهل السنة لما رأى الشّيب في لحيته في المرأة: والله ما وصفت الشباب إلا كشيء كان في يدي ثم سقط.

يقول أبو العتاهية:

بكى الشّباب بدموع عيني فلم يغن البكاء ولا النحيب
ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بم فعل المشيب
أتدرؤن ماذا فعل المشيب؟

(١) رواه أحمد (١٨٠/٢)، وأبو داود، وحسنه الألباني في المشكاة (٥٧٢).

سيخبركم الذين في السبعين والثمانين من الذين كلّت أبصارهم، وضفت أسماعهم، واحدودبت ظهورهم، وملوا الحياة.. لا نوم ولا هدوء ولا لذة للطعام **﴿وَمَنْ نَعْمَرْتُ نُتَكَبِّسُهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾**. ومن نعمره في الحياة نعيده فيصبح عقله كالطفل، وإدراكه كإدراك الطفل، وفهمه كفهم الطفل **﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾**.

يقول أحد الشعراء:

إن الرجال ولدت أولادها وأخذت أسمامها تعتمدها
وكثرت من مرض عوادها فهي زروع قد دنا حصادها
أي: إذا أتى لأولادك أولاد وأصبحت جداً فانتظر الموت، وانتظر
لقاء الله.

قال سفيان الثوري: من بلغ الستين فليشتِّر كفناً.

كان قيس بن عاصم المنقري سيدبني تميم عنده عشرة أبناء،
فبلغ في الكبر عتياً، فنام مرة عند أولاده عندما بلغ الثمانين من عمره
فكان طوال الليل يسعل ويئن ويتألم.

فقال له أبناءه: لقد أزعجتنا فلم ننم.

فنظم قصيدة قال فيها:

قالوا أنينك طول الليل يزعجنا
فما الذي تشتكى قلت الثمانيننا
ثم يأتي الختام فإذا هو العمل الصالح دون غيره مما يبقى في
هذه الدنيا ولا يرحل معنا.

**﴿وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَبْتُمْ مَا حَوَلَنَاكُمْ وَرَأَيْتُمْ
ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَاعَكُمْ الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَهْمَمَهُمْ فِي كُمْ شُرَكَكُمْ لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ﴾**.

ويأتي الإسلام ليقول للإنسان: إذا أتتك سكرات الموت فاحرص على أن تموت على لا إله إلا الله.

يقول ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١).

لكن لا يثبت على لا إله إلا الله إلا المؤمن.

ولا يقولها في سكرات الموت إلا المؤمن «يُثِّبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الْثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُبَلِّغُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقُولُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» ٣٧.

ذكر الذهبي المحدث الكبير أن أبا زرعة المحدث رحمة الله حضرته سكرات الموت فأغمي عليه، فأراد تلاميذه أن يذكروه بلا إله إلا الله وهو مغمى عليه ولكن استحيوا أن يقولوا له: قل لا إله إلا الله لأنه إمام المسلمين.

فقالوا: نذكر سند حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله.. فإذا ذكرناه بالسند سوف يتذكر المتن هو لأنه محدث.

فقال أحد التلاميذ: حدثنا فلان بن فلان.

فاستيقظ فسمع السند، ولكنهم كانوا من هول المصيبة وهو الكارثة قد نسوا السند فأخذطوا فيه.

فقال: حدثنا الريبع بن سليمان، قال: حدثنا فلان، قال: حدثنا فلان عن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة» ثم مات! هذه كرامة الأولياء.

(١) رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد.

وأما غيرهم فإنهم يموتون على ما عاشوا عليه من الخنا
والفجور.

قيل لسفيه معريد وهو في سكرات الموت: قل لا إله إلا الله.

فقال: أين الطريق إلى حمام منجابي

فمات عليها لأنها عاش عليها.. ومن شب على شيء شاب عليه
ومات عليه ﴿وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِينَا لَنَهَيْنَاهُمْ سُبُّلًا وَلَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُتَّسِعِينَ﴾ ٧٩.

يقول أحد العلماء وذكره ابن تيمية في (درء تعارض العقل
والنقل) يخاطب الله:

وحقك لو أدخلتني النار لقلت
للذين بها قد كنت ممن أحبه
وأفنيت جسمي في علوم كثيرة
وما منيتي إلا رضاه وقربه
أما قلتموا من كان فينا مجاهداً سيمحمد مثواه ويحسن شريه
ثم يكون البعث بعد الموت ليحاسب الله هذا العبد والإنسان
الذي خلقه في كبد وابتلاه بسائر المصائب والمحن والنعيم.

ولكن أهل الماديات لا يفهمون هذا ولا يؤمنون به، فمن
أصولهم التي يدرّسونها لطلابهم ولتلמידهم وقد كادت أن تصل إلينا
قولهم بأن المادة قديمة لا تفنى ولا تبيد ولا تعود، وهذه نظرية كافرة
أتى بها الكفرة.

بل الله يفني ما يشاء من المواد ويبيقي ما يشاء، فله الحكم وحده.

ولكن مقصودهم من هذا أن الإنسان إذا مات أنه لا يعود كما
كان وإنما يتحول لمادة أخرى وهكذا غيره.

فجاء الإسلام ليقرّ حقيقة البعث ويركز عليها لكي لا تزل العقول
إلى تلكم النظريات الفلسفية الكاذبة.

فقال تعالى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّمْ يَعْتَدُوا قُلْ يَأْكُلُ وَرَبِّهِ لَتَبْعَثُنَّ إِمَّا لِتُنَبَّهُنَّ إِمَّا عِلْمَتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» 

فيما عباد الله.. استعدوا للموت وللبعث بعد الموت، فأنتم لا زلتם في تنقلات هذه الحياة ولا زلتم في أطوارها السابقة، فبادروا بالتوبة قبل أن تفوتكم ويسقطكم الوقت.

أيها المسلمون من هذه الموعظة السابقة نأخذ دروساً مفيدة لنا:
أولاً: أن الإسلام معك منذ وجودك في بطن أمك إلى أن تدخل الجنة أو النار، نعوذ بالله من النار.

فهو يسير معك في جميع أطوارك وتنقلاتك، ويعصرك بحاجاتك وبمهما ت.

ثانياً: أنك لم تخلق هملاً بل خلقت لغاية عظمى وهي عبادته سبحانه وتعالى: «أَنْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْرَةً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» 

فواجب عليك وقد هيأك الله لأسباب تلك العبادة أن تقوم بها دون توانى أو كسل.

قد هيأك لأمر لو فطنت له فارياً بنفسك أن ترعنى مع الهمم
ثالثاً: أن الذي لا يسير مع الوحي الرباني فقد سفه نفسه، لأنه اختار المناجي الأرضية وترك منهج رب الأرض والسماء.

«قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَشَكِّي وَمَحْيَايَ وَمَعَافِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَيَدِكَ أَمْرَتَ وَلَنَا أَوْلُ الْمُشْلِمَيْنَ» 

رابعاً: أننا لسنا في حاجة لأي مبدأ وقانون غير الإسلام وغير رسالة محمد 

فلنعد إلى القرآن والسنّة لنهتدي بنورهما في هذه الدنيا وأمام هذه الابتلاءات والكبد الذي خلقنا الله فيه.

فمن اعتقد أنه سيهتدي بغير هدى الله فهو ضال مضل قد صرفه الله عن الهدى وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.
والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



وفي أنفسكم أفلا تبصرون

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً وبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أيها المسلمون آيات الله في كتاب الكون كثيرة.. فالله يحدثنا عن نفسه بآياته.. بالليل والنهار.. بالسماء والأرض.. وبالماء والضياء..
بالأشعار والأنهار..

فهل قرأنا كتاب الكون؟

وهل تدبرنا آيات الله؟

وكتاب الفضاء أقرأ فيه سورة ما قرأتها في كتابي
أتى رجل من الصالحين قبل زمن قصير بورقة نخلة إلى عالم من
العلماء لا يزال حياً مكتوب على هذه الورقة لفظ (الله) بالخط العربي
الكوفي الجميل.

سُخْرَهَا اللَّهُ لَتَكْتُبْ اسْمَهُ لَتَقُولُ بِلِسَانِهِ حَالَهَا ﴿صُنْعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

ذات الغصون النضرة
حتى استقامت شجرة
في بستانها منقعة
مصنّ رحيق الثمرة
من هزّه وأظهره
من زانه وسُطّر
يحييهم من مقبره
الذى أنعمه مُثْقِّمة

انظر لتلك الشجرة
من شادها من بذرة
انظر إلى النحلة
من الذي علمها
انظر إلى الليل غفى
انظر إلى لوح الكون
انظر إلى الأسموات من
ذاك هـ و الله

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ أَيَّلِ وَأَنْهَارِ
لَذِيْنَ لَيَأْتِيَنَّ أَلَّا يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمَّا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوِّيْمَهُ
وَيَنْتَكِرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّا مَا حَلَقَتْ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقَنَا
عَذَابَ النَّارِ﴾.

من الذي يتدبّر؟

من الذي يقرأ كتاب الكون؟ هل هو المعنيّ، أم المطرب، أم
المزمر، أم الصائع.. صاحب المخدرات.. عبد الأغنيات.

لا..

الذى يذكر الله قائماً وقاعدًا وعلى جنبه هو الذي يقرأ كتاب
الكون ويتأمل في أسرار الحياة.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
فيما عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
فرعون علم أن لا صانع إلا الله.. ولا مدبر إلا الله.. ولا رازق

إِلَّا اللَّهُ.. وَلَكُنْهُ كُفَّرُ بِلْسَانِهِ فَقَالَ مُوسَى لَهُ: ﴿لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَلَابَرَ وَلِنَ لَأَطْنَكَ يَنْفِرْعُونَ مَشْبُورًا﴾.

يقول الكاتب الأمريكي صاحب كتاب (الإنسان لا يقوم وحده): تأملت النحله كيف تذهب آلاف الأميال من خليتها ثم تعود من وراء البحار والقفار فلا تخطئ وتأوي إلى خلية غير خليتها.. من الذي دلها وقادها؟ من الذي علمها؟ كان عندها جهاز أريل يطلق ذبذبات.

فقال له علماء الإسلام: إن الله يقول: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَيَّ أَنَّ أَنْجَلِي مِنَ الْجَبَالِ يُؤْتَنَا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِنَ يَعْرِشَنَ ﴾ ﴿وَأَوْحَى أَيُّهُمْ﴾.

فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فيما مسلمون! أقبل الكفار اليوم المختروعن يؤمنون ويدخلون في هذا الدين.. وأخذ بعض شبابنا ينسحب من هذا الدين، فسبحان الله! مؤلفو كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) ثمانية أمريكان.. كل منهم قد أتى بحقيقة ثبت وجود الله، وعظمته، وكبريات الله.

نزل أحدهم في سفينة أبحرت في المحيط الأطلسي فأصبحوا في ظلام الليل.. وفي ظلام اليم، وفجأة انقطع جهاز الإرسال عن السفينة فانقطعوا عن البر والبحر والجو والجبال والوهاد ولم يبق إلا الاتصال بالله.

يقول الأمريكي الذي يروي القصة: فلما أبحرنا أظلمت بنا الدنيا، فحاولنا الاتصال فما وفقنا وفشلنا، فانقطع اتصال الإرسال وفي الأخير اتصلت قلوبنا بالله!

يقول الله عن كفار قريش وعن كل مشرك: ﴿فَإِنَّمَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: إذا هاجت الريح وإذا تلاعبت بالسفينة الأمواج انقطعت اتصالاتهم الناس واتصلوا بالله.. مثلما فعل يونس بن متى عليه السلام انقطع اتصاله الناس وأصبح في ظلمات ثلاث: ظلمة

اليم، وظلمة الحوت، وظلمة الليل. فقال في الظلمات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فأنجاه الله.

قال الأمريكي: فأخذنا ناجي الله.

فنجاهم الله إلى البر.. وأخيراً أعلنا إسلامهم وشهدوا أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله.

آخر النظريات التي اكتشفها أحد الروس أن للنبات ذبذبات يطلقها
على النبات الآخر.. وللحوشرات، وأن هذا دليل على قوة عظمى
ليست في قوة البشر!

قلنا له: يا ملحد إنها قوة رب البشر.. لا إله إلا الله ﴿وَرَبِّ
أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يَتَبَرَّرُونَ﴾.

يقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلَلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧
رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى الْجَبَالِ كَيْفَ تُصْبَتْ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾.

سبحان الله! من أعطى حيوانات ودواب القطبين فراء.. وأعطى
حيوانات الصحراء أربع أرجل.. وأعطى الطير في السماء أجنحة..
وأعطى السمك في الماء مجاديف؟
فما أحكمه.. وما أعظمه.. وما أقدرها.

فيما إخواني.. هذا الشعور ينبغي أن يتحول إلى إيمان وعمل..
لا إلى مجرد علم.. قال الله عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنِيَّوْنَ ٧﴾.

فهذه النصوص والأحداث التي سمعتم إذا لم يستفد منها العمل
فلافائدة منها.

وتخزين العلم في الذهن دون خشية الله والإيمان به والعمل
بمرضاته، إنما يكتب عليك حجة تلقى بها الله.

والذي نستفيده من هذه الأصول والأسس والآيات البينات في الكون والاكتشافات العلمية ثلاثة فوائد:

أولها: مطالعة أسماء الله وصفاته في الكون ليتضح أن الله حكيم مدبر خالق رازق، أحسن كل شيء خلقه، لا تجد في خلقه تفاوت **﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.**

فكل شيء يدلّك على الله.. انظر إلى جسمك.. انظر إلى حركاتك وإلى كلماتك.. انظر إلى اندفاعاتك ومشاعرك وحواظرك، فأنت عالم من العوالم وأنت كون وفيك اختفي الكون الأكبر، فلماذا لا تتفكر في نفسك فتكون عبداً لله **﴿وَقَوْنَ أَنْفُسَكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ﴾**.

ثانيها: فأول فائدة لنا هي: مطالعة أسماء الله في الكون وصفاته.. فإذا رأينا الزهرة الحمراء تفكّرنا في من صبّعها ولوّنها وحملها.

الفائدة الثانية: أن يتحول هذا الشعور وهذا الإدراك.. وهذا الفهم إلى إيمان.

فلا يكفي أن تعرف أن من خلق الزهرة هو الله.. ولكن لا تصلي ولا تزكي ولا تسبّح ولا تذكر الله لأن المختروع الكافر يعرف أن هذا صنع الله لكنه ما آمن بالله.

الفائدة الثالثة: أن تذكر الله بآياته، فتتّنذر إلى كتاب الكون الذي عرضه الله لك وتذكّره سبحانه وتعالى.

تتّنذر إلى الشجرة فتقول: سبحان الله!

وإلى الجبل فتقول: سبحان الله!

وإلى الماء، وإلى الضياء، وإلى الأرض، وإلى السماء، وإلى الجبال، وإلى الوهاد، فتقول: سبحان الله!

نزل القرآن على محمد ﷺ فكان أول سورة نزلت هي (اقرأ)،

وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب «وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُلُ مِنْ يَعْمَلِنَّكَ إِذَا لَأْرَقَابَ الْمُبْطَلُونَ ٤٨»، لكنه كَانَ يخرج إلى غار حراء ويخرج رأسه من الغار ليقرأ في صحيفة الكون، فيقرأ في النجوم الساطعة، وفي الشمس الطالعة، وفي الوهاد، وفي الماء النمير، وفي الجدول والغدير، وفي الأنهار والأشجار، فيقرأ كل هذه الأشياء. ولذلك قال أهل العلم في الآية (اقرأ) أي: اقرأ الكون بما يوجد فيه لتعرف الله تعالى.

فلا يكن أحدهنا غافلاً عن هذه الآيات العظيمة إذا خرج إلى نزهة أو إلى بريئة ينظر إلى أعمال البشر الحقيرة ويدع عمل وصنع رب البشر.

قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْرِيفِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَآتَيْنَا لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَذَكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَقَعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ رَيْتَنَّكُرُورَهُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ١٩١». *

فنسأل الله أن يقيينا من النار وأن يجعلنا ممن يتفكر في أنفسنا وفي آيات الله العظام.

وصلى الله على نبينا محمد وآلـه وصحبه وسلم.



أنفاسك الغالية

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد.

دقات قلب المرء قائلة له
أن الحياة دقائق وثوانٍ
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها
فالذكر للإنسان عمر ثانٍ
أيها الناس ودعنا عاماً قد انصرم واستقبلنا عاماً قد قدم.
ودعنا عاماً ذهب بحسناه وسيئاته، نسينا ما فعلنا فيه، ولكن والله
علمها عند ربها في كتاب لا يضل ربها ولا ينسى.

غفلنا عما فعلنا، ولكن ما غفل الله عنا: **﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِنَّا مَالِ هَذَا**
الْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَيْرَةً إِلَّا أَخْصَنَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾، فما فات كتاب الله حسنة ولا سيئة.

نعم! ودعنا عاماً منصراً.. عاماً ذهب كأنه لم يلمع البصر، ولكن
هيئات، ما ذهب من علم الله، وما ذهب من حساب الله، وما ذهب
من اطلاع الله.

﴿قَلَّ كَمْ لَيَشْتَمَ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِينَةَ ﴾ كم تهئات؟ كم أكلتم؟ كم شربتم؟ .

﴿قَالُوا لَيَشْتَمَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمَيْرِ فَسَهَلَ الْعَادِيَنَ ﴾ ١١٣ قَلَّ إِنْ لَيَشْتَمَ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْشًا وَأَنْكُمْ إِبْنَانَا لَا تَرْجِعُونَ ١١٥ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ ١١٦ .

ولقد ذكر الله عز وجل مته بالوقت وال عمر على الناس، فقال عز من قائل: «أَوْلَئِنْ نُعَمِّرُكُمْ مَا يَنْذَكِرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ الْتَّذَكِيرُ» أي: أولم نهلكم؟ أولم نترككم؟

وذكر الله عز وجل قوماً فأنكر عليهم؛ لأنهم اتخذوا حياتهم لهوا ولعباً وعبشاً وسدى وتفلتان على شرع الله وتعذّ على حدوده، فقالوا في ساعة الندم: «يَحْسَرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا» .

وذكر الله عز وجل أن الشمس والقمر بحسبان، فهي لا تسير إلا بوقت وبقدر مقدر، وبلحظات محسوبة عند الله، وبآجال مضروبة.

فيا من أنهى عame: أما بحثت عن عامك ماذا فعلت فيه؟

أما تذكرت حسناتك وسيئاتك؟

والله لتوقفن غداً عند من لا تخفي عليه خافية.

﴿وَلَقَدْ چَشْتَمُوا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَكُمْ أَوَّلَ مَرَقَ وَرَكَمْ مَا خَوَلْنَكُمْ وَرَأَهُوَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاهُكُمُ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِي كُمْ شُرَكُوا لَقَدْ نَقْعَدْ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ ١١٦ .﴾

وقال تعالى: «يَوْمَئِذٍ تُعَرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» ١١٧ . فالحسنات ظاهرة، والسيئات شاهرة، لا يخفى على الله شيء؛ لأنّه يعلم السر وأخفى. فهو يقول للعبد وهو يحاسبه: فعلت يوم كذا وكذا.. كذا وكذا.

يا عباد الله، عام انصرم عبث فيه العابثون وأجاد فيه المخلصون.

أما الصالحون فاتخذوا أجل الحسنات، وأما المبطلون فكتروا
أقبح السيئات، فسوف يرى كلُّ بضاعته (يوم يبعثون ما في القبور
ويحصل ما في الصدور)، **﴿يَوْمَ تَبَيَّنُ مُجْوَهٌ وَسَوْدٌ وَجُوَهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ
أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ فَذَوُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ
وَأَمَّا الَّذِينَ أَيَّضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ﴾**

كان أحفظ الناس لوقته هو رسول الله ﷺ؛ فقد كان يحفظ دقائقه
وثوانيه مع الله، فكل لحظة تمر به لا تخلو من عمل صالح يُرفع إلى
الواحد الأحد.

يقول ابن القيم في كلام ما معناه: كان كلامه ﷺ ذكرًا لربه
وفعله ذكرًا، وحركاته وسكناته، وليله ونهاره، وحله وترحاله، وكل
لحظة في حياته ذكرًا لله الواحد الأحد، بل كان يقول كما عند
البخاري: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»؛
لأنهم يضيّعنها في المعاصي وفي الشهوات، وفي المخالفات، وفي
سماع الأغانيات التي تغضب رب الأرض والسموات.

وكان ﷺ يقول: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك،
وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك،
وغناك قبل فدرك» رواه الترمذى بسند حسن.

فيما من أذهب لياليه وأيامه في الهذيان، وفي مخالفة الواحد
الديان، وفي إغضاب الرحمن، وفي الطغيان والعصيان والعدوان،
أمامك عام جديد أتى يقول لك: يا ابن آدم اغتنمني في الحسنات،
فوالذي نفسي بيده لئن ذهبت عنك لا أعود أبداً.

ولذلك تواصى الصالحون بحفظ العمر وبحفظ الأوقات.

كان الربيع بن خيثم يكتب كلامه من الجمعة إلى الجمعة
ويحاسب نفسه مساء كل سبت.

لا إله إلا الله! ليته يدرى أن من الناس من يرتكب في اليوم الواحد خطايا كالجبال وهو يضحك ولا يكتبها ولا يتذكرها ولا يدرى بها، ولكن علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى.

قال أحد الصالحين لنفسه: يا نفس كم تناهين، والله لتناهين في القبر نومة طويلة.

أتيت القبور فناديتها أين معظم والمحترر
تفانوا جميعاً بما مخبر ومات الخبر
فيما سألي عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر
قيل لسفيان الثوري: اجلس معنا نتحدث.

قال: كيف نتحدث والنهار يعمل عمله.. ما طلعت الشمس إلا
كانت شاهدة على العباد بما فعلوا.

ولذلك قيل لكرز بن ويرة: ألا تجلس معنا؟

فقال: احبسو الشمس!

ومن يحبس الشمس؟ ألا ترى الليل والنهار كيف يمران في صرم
الأعمار؟

ألا ترى أن الدقائق والثوانى لا تعود؟

ألا ترى أن الشمس إذا ذهبت فغربت لا يمكن أن تأتي هذا
اليوم؟

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقى

ولذلك شكى وبكى الصالحون والطالحون ضياع العمر، وبكى
الأخيار والفجّار انصرام الأوقات.

فاما الآخيار فبكوا وندموا على أنهم ما تزودوا أكثر.

واما الفجّار فتأسفوا على ما فعلوا في الأيام الخالية.

قال أهل السير: حضرت الوفاة نوح عليه السلام، فقيل له: يا
نوح كم عشت؟

قال: ألف سنة.

قالوا: كيف وجدت الحياة؟

قال: والذي نفسي بيده ما وجدت الحياة إلا كبيت له بابان،
دخلت من هذا الباب وخرجت من هذا الباب.

فيما ابن الستين والسبعين، أنت ما عشت ألف سنة فكيف تصرف
الستين والسبعين في معاصي الله؟ وفي انتهاء حدود الله؟ وفي التجربة
على حرمات الله؟

وذكروا عن الجنيد بن محمد أن الوفاة حضرته فأخذ يقرأ القرآن
وهو في سكرات الموت وبكي.

قالوا له: تقرأ القرآن وأنت في سكرات الموت؟

قال: سبحانه الله من أحوج مني بقراءة القرآن؟ وقد أصبحت
لحظاتي تُعد على. أو كما قال.

وندم كثير من المفترطين يوم أتهם سكرات الموت.

قال الذهبي: أنت سكرات الموت عبدالملك بن مروان الخليفة
الأموي فأخذ يتجرّع كأس الموت ويدوّقه، فسمع غسّالاً بجانب قصره
في الودي يغسل ملابسه وينشد أناشيده وما علم الغسّال بممات
عبدالملك.

فأخذ عبدالملك يقول وهو يبكي: يا ليتني كنت غسلاً، يا ليتني
ما عرفت الخلافة، يا ليتني ما توليت الملك.

قال سعيد بن المسيب لما بلغته هذه الكلمات: الحمد لله الذي
جعلهم يفرون إلينا وقت الموت ولا نفر إليهم.

وأما ابنه الوليد بن عبدالملك ولي العهد فإنه لما حضرته الوفاة
نزل من على كرسي الملك ومَرَغ وجهه بالتراب وندم وتلبيط بالحصى
وأخذ يبكي ويقول: ﴿مَا أَفَقَ عَنِ مَالِهِ مَلَكٌ عَنِ سُطْنَيْهِ﴾.

وأما هارون الرشيد الذي ملك الدنيا من إسبانيا إلى السند،
وطشقند إلى جنوب أفريقيا فإنه بنى قصره قبل أن يموت بليالٍ، فقال
للشعراء: امدحوا القصر وصاحب القصر.

فدخل عليه أبو العتاهية الوعاظ الزاهد فقال: يا هارون نظمت
فيك وفي قصرك أبياتاً.

قال: ماذا قلت؟

قال: قلت:

عش ما بدارك سالماً في ظل شاهقة القصور
قال: هيه (يعني زد).

قال:

يُجرى عليك بما أردت مع الغدو مع البكور
قال: هيه.

قال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشريحة الصدور

فهناك تعلم موقناً ما كنت إلا في غرور
فبكى ونزل من على كرسيه، وما لبث أياماً إلا وقد فاجأه
الموت، فأخذ يتلألأ في كتاب الجيش وفي الحرس وفي الأمراء وفي
الوزراء وأخذ يرفع طرفه إلى السماء ويقول: يا من لا يزول ملكه أرحم
من زال ملكه.

عباد الله.. قد نبتت نابتة في الأمة الإسلامية شباباً وشبيباً عاشوا
العصر المنصرم في الضياع، وصرفوه في المعصية، ودفعوه ثمناً باهظاً
وتکاليفاً ضخمة بغضب من الله عز وجل.

أما ليهم - إلا من رحم ربك - ففي سهر لا ينفع، فسهره
موصول بالفجر وفي ليالي حمراء، وفي لعب بلوت، أو في غيبة
ونمية، أو في شهادة زور أو في مقاهي.

إانا ندعوهم في أول هذا العام أن يجددوا توبتهم وأن يعودوا
إلى مسيرة ربهم وأن ينهجوا سنة نبيهم ﷺ، ونقول لأنفسنا ولهم: لقد
أقبل العام ودخل العام الهجري، فاستبدلوا بتوبة نصوحة الله عز وجل
السائل: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا
لِذَنْوِيهِمْ وَمَن يَعْفُرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصْرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ أَوْلَئِكَ جَرَأُوهُمْ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجَنِّي مِنْ تَحْتِهَا
الآَنْهَرُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَيَقْمَ أَجْرُ الْمُتَمَلِّينَ ﴿١٦﴾، «قُلْ يَكُبَادِي الَّذِينَ
أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَعْفُرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ
هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾».

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت الرجا ربي لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي صار عفوك أعظما

عباد الله.. لقد انقسم الناس في العام الماضي إلى قسمين في كل جنس منهم: فالعلماء انقسموا إلى طائفتين، فمنهم من خاف الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأنفق مما أعطاه الله من العلم فجزاؤه أن يلحقه الله بالنبيين والمرسلين وأن يتبوأ مقعد الصادقين يوم العرض الأكبر.

وعالم اشتري بآيات الله ثمناً قليلاً من الدنيا، فكتم ما آتاه الله وجحد نعمة الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُهَدَّىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَكُمْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَثُمُ اللَّهُ وَيَلْعَثُمُ الْلَّهُ عَوْنَاتٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أُتُوبُ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ الْتَّوَابُ أَرْجِيمٌ﴾ (١٥٩-١٦٠).

هذا العالم شرى بآيات الله ثمناً قليلاً من حب الدنيا ومن مفاتنها ومن التهتك في شهواتها ومن الارتشاء.

فآن له أن يتوب على مطلع العام الهجري الذي استهلَ أيامه قبل أيام.

وأنقسم المسؤولون إلى قسمين:

مسؤول خاف الله وأعدَ ليوم العرض الأكبر، وعلم أن أحكم الحاكمين هو الله الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، والذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فراقب الله في وظيفته وفي عمله، فإن حكم حكم بالعدل، وإن عمل عمل بالنصح فهو صادق.

وأجره على الله الواحد الأحد.

ومسؤول خان الله في رسالته، وغشَ الله في معاملته، واتخذ وظيفته ومنصبه حرباً لأولياء الله وحرباً ل الدين الله، فجزاؤه أن يحشر مع فرعون ومع أبي بن خلف وأمثالهم وأضرابهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْعَنُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٥٢).

وأنقسم الشباب إلى قسمين:

شاب عَكَفَ على القرآن فاستجلَى معانيه ونزل إلى ميادينه وهبط في أوديته، فتدبر معانيه واستعرض ثديه، واستحكم أحكامه، ورشف رحيقه، وتلبَّس بلباسه.

فقام به فتهَّجَدَ في الليل، وعمل به في النهار، ونشره في الناس، ووقف عند حدوده، وتعلَّم من علومه، ودرس دروسه.

فهذا شاب ناصح مفلح، جعل المسجد مُصَلَّاه وحديقته وبيتاته، فالتقى بأخوانه الشباب.

هذا الشاب تجلَّ بالسنة على ظاهره، فتشرف بسنة محمد ﷺ، فأسكن سنة الحبيب قلبه وعينه وسمعه ولحيته ولباسه، فكان أحب الناس إليه محمد ﷺ.

فكان لسان حاله يقول:

فأنت اليوم أغلى ما لدينا
لنا شرف نلام وما علينا
يذكرنا فكيف إذا التقينا
لعمرو الله بعده ما سلينا
نسينا في ودادك كل غالٍ
نلام على محبتكم ويكتفي
ولما نلقكم لكن شوقاً
تسلى الناس بالدنيا وإننا
هذا الشاب جعل من كتب السنة موصلًا ومنهجاً وسيرة وقدوة
ونبراساً.

هذا الشاب داعية في مجتمعه. أكثر الله من أمثاله.

وشاب آخر، صرف أوقاته في اللهو والعبث، فمسجده المقهى
وسواكه السيجارة، ومصحفه المجلة الخليعة، وتلاوته الأغنية الماجنة.
إذا سافر الأخيار لمكة للحج أو للعمرة سافر إلى بلاد الكفر
للمعصية والزنا والفاحشة.

إذا أتى الشباب إلى المساجد خرج إلى مساجد الشيطان المقاهي.

إذا قرأ الشباب القرآن وبكوا من آيات القرآن وتأثروا من عبر الواحد الديان، أخذ مجلة خلية.

إذا عكف الشباب على الدعوة وعلى تدارس العلم، عكف على ما يملئه الشيطان وأذناب الشيطان.

وأنقسم الشيوخ قسمين:

شيخ اقترب من القبر.. اقترب من الستين فلبس كفنه وعرف أنه أصبح من الموت قاب قوسين أو أدنى، فأكثر من الاستغفار وتصدق وحبس لسانه عن الفاحشة والغيبة والنميمة وشهادة الزور. وأقبل يجدد توبته ويستعد للموت، فكان الموت يلازمه صباح مساء.

وشيخ آخر، نسي الله في شيخوخته فأصبح أشيمط يرتكب المحرمات، همه شهادة الزور، لا يعرف الذكر، وهمه المشاكل وإحداث الفتنة بين الأسر والقبائل، وجلب الأموال من غير حلها، والخوض في الربا، وانعدام الحياة من الله، وقد أتاه النذير.

«أَوَلَمْ نُعِذِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ»، قال ابن عباس: النذير هو الشيب.

هذه الأجناس هي أقسام الناس في العام المنصرم والعام الذي قبله، فنسأله أن يُصلح الحال وأن يتوب على المسلمين ويردهم إليه رداً جميلاً.

وصلَّى الله على نبِيِّنَا مُحَمَّدَ وآلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

إن للشيطان مع الإنسان قصة بدأت منذ بداية الخليقة ولم تنته بعد، وستظل إلى قيام الساعة.

وهذه القصة هي قصة العداوة المتأصلة التي كانت بدايتها مع أبينا آدم عليه السلام واستمرت مع ذريته من بعده.

ولقد حذرنا الله ورسوله من الشيطان. وإنني من خلال هذه الأوراق سوف أقدم شيئاً موجزاً عن مكائد الشيطان، راجياً من الله تمام النفع بها وأن يجعلها في ميزاننا إنه على كل شيء قادر.

● تحذير الله رسوله من الشيطان:

لقد انذرنا الله عداوة الشيطان، وأخبرنا أنه عدو لنا، وخوفنا من مصائده ومكائده، فقال سبحانه وتعالى : ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْهُلُوا فِي الْتِسْلِيمِ كَافَّةً وَلَا تَتَبَعُوا حُطُّوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ فَإِنْ رَكِنْتُمْ إِنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمُ الْبِيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

وقال سبحانه: «كَمِّلَ الشَّيْطَنُ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بِرَبِّيْ مُنْكِرٌ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ».

فالشيطان قائد أوليائه إلى النار، والشيطان حقيقة مع كل إنسان إلا مع محمد ﷺ. ولقد اتضح من الأحاديث النبوية أنه يجري في الإنسان مجرى الدم. ولذلك وصفه ﷺ بهذا الوصف، وأخبر الرسول ﷺ أن كل إنسان معه قرين. قالوا: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: «حتى أنا، ولكن الله أعانتي عليه فأسلم»^(١).

قيل أسلم من الإسلام. وقيل أسلم فعل، أي أسلم منه. والأول هو الصحيح، فقد أسلم شيطانه ﷺ.

والشيطان يُعَذِّب الناس بالأمانى الكاذبة، وقد وقف للطوائف والأجناس بالمرصاد.

فأما العلماء فأملئ عليهم برنامجاً خاصاً خذل من خذل منهم وسلِّم من سلِّم منهم، فقال للعالم لا تخرج إلى الناس فإنك إن خرجمت شُغِلت بالشهرة والرياء والسمعة والتصدر للناس فحبسه في بيته، وسجنه في داره، فترك العالم للشيطان المجال مفتوحاً وترك الميدان للضالين الغاوين. فاشتغل دعاة الضلاله وعلماء الجاهلية من فرق اليهودية، وأذناب العلمانية، فأخذوا الميدان دون المسلمين وكانت أكبر جرائم هذا العالم أنه كتم العلم الذي في صدره. «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَتْ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَعْمَلُونَ لَهُمُ الْأَعْنُوْنَ ١٦٦ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوْبُ عَنْهُمْ وَأَنَا أَتَوَّبُ إِلَيْهِمْ ١٦٧».

وأتى الشيطان إلى السلاطين فوعدهم ملكاً عتيداً إذا سفكوا الدماء وأخذوا الأموال، وأخبرهم أن سلطانهم لا يقوم إلا على هذا، فغفلوا

(١) رواه مسلم.

عن السياسة الشرعية، وعطوا الأوامر الإلهية، وأنكروا الأحكام التي أنزلها الله عز وجل وهي الأحكام القرآنية.

وأتى إلى الشباب فوعدهم بالأمانى الكاذبة وقال اليوم خمر، وغداً أمراً! شبابك شبابك اغتنمه في اللذات، فإنك إذا ثبتت بثت وعدت إلى الله!

فأصبح الشاب إلا من رحم ربك عبداً لنزواته وشهواته وسجيناً في حب الأغنية الماجنة، والعشق المُهْلِك، فأصبح شاباً ممسوخاً في مسالخ الدابة، وفي مقام البهيمة، لا يعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً.

صح عن (عبدالقادر الجيلاني) السني الحنبلي أنه قال: إن الشيطان تصور له في المنام في صورة هائلة في السماء فقال له الشيطان: يا عبدالقادر أنا ربك قد أحللت لك الحرام.

فقال عبدالقادر: كذبت يا عدو الله.. فأنت الشيطان، وإن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يحل الحرام.

وتمثل الشيطان للإمام أحمد وهو في سكرات الموت فقال لأحمد وهو يعض على أصبعه: فُتّني يا أحمد.. فكم خدعت من رجل إلا أنت.

فقال أحمد: لا.. بعد، لا.. بعد.. أي ما أمنت مكرك للآن وما استأمنت لخداعك، وما استسلمت لقيادتك حتى نجى الله الإمام أحمد بالقول الثابت في الدنيا. فلقي ربه وهو على ذلك لم يتمكن الشيطان منه.

وأتى إلى «الصوفية» فأحدث لهم طرقاً بدعية حتى أخرج الكثير منهم عن الملة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وأتى إلى الفقير فسخطه على الله وعلى القضاء والقدر حتى كفر بسخطه في قضاء الله وقدره.

وأتى إلى الغني فأدخله النار، لأن الشيطان جعل همه الأول الدينار والدرهم، وجعله يتعدى ويظلم ويتجبر بماله وينسى الله عز وجل، وهذا من مكائده عليه لعنة الله.

● الآية الحافظة من الشيطان:

قال أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه: كلفني رسول الله ﷺ بحراسة تمر الصدقة في المدينة، فقمت على تمر الصدقة، وبينما أنا حارس.. وإذا برجل في صورة شيخ قد أقدم عليّ فأخذ يضم التمر ويحثو منه فامسكت به، فشكى إلى العيال وشكى إلى الحاجة والفقير، فرحمته وأطلقته.

وفي الليلة الثانية أتى فحثى التمر، فأخذت بمجامع ثيابه، وأردت أن أرفعه إلى الرسول ﷺ.. فشكى لي وتذمّر وذكر الحاجة والفقير والعيال فتركته.

وأتى في الليلة الثالثة فأخذته، فشكى، فما تركته وعزمت على أن أسلمه إلى رسول الله ﷺ.

فقال: أطلقني وأعلمك آية إذ قلتها في ليلتك كان عليك حافظاً يحفظك من الشيطان، وكان الصحابة حريصين على الخير، فقال أبو هريرة: ما هي؟

قال: آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَقُّ الْقَيُّومُ﴾، فتركه أبو هريرة.

ثم ذهب رضي الله عنه فأخبر الرسول ﷺ.. فتبسم ﷺ وقال: «أتدري من تخاطب يا أبا هريرة منذ ثلاث؟»، قال: قلت: لا يا رسول الله.

قال: «ذاك الشيطان! أما إنه صدّقك وهو كذوب»^(١). صدقك في آية الكرسي لا تقرأها إلا كان عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، ولكنه كذوب دائمًا.

وهنا درس عظيم يدل على أنه لا يتحرّز الإنسان من الشيطان إلا بإرادة الواحد الأحد، وبذكر الله عز وجل.

وعلى أن الحكمة تؤخذ ولو من الكافر الضال، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها.

والشيطان أخي المسلم له تلبيسات، ومن حكمة الله أن خلق الإنسان ليميز الخبيث من الطيب، والله جعل هناك جنة لأوليائه، وناراً لأعدائه.

قال عليه السلام: «أتى الشيطان للإنسان فقال له: لا تُسلم فإنك إن أسلمت تحملت التكاليف فعصاه الإنسان فأسلم، فأناه فقال: لا تهاجر فإنك إن هاجرت تركت أهلك وأطفالك، فعصاه فهاجر.

فأناه فقال: لا تجاهد فإنك إن جاهدت قُتلت، وسُفك دُمك، فعصاه فجاهد»^(٢)، فلا يزال الإنسان يعصي الشيطان حتى يدخل الجنان، ويفوز برضوان الواحد الديان.

والشيطان يا عبد الله قرآن الغناء، ورُقيته الشعر، وبيته الحمام، وموسمه الأسواق وأحبابه كل عدو لله.. ورأس ماله الأماني.. فمن اتبعه أخذه حتى يُكبّه على وجهه في النار، وما حدث الفواحش في العالم، وما صنعت الكبائر، ولا ضل الشباب والشيب، ولا سُفكت الدماء، ولا عُطلت الحدود إلا بمسؤولية الشيطان الريجيم عليه لعنة الله.

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الترمذ (٢٩٣٧).

فهو الذي جعل الشباب ينحرف عن المسجد إلى المقهى، وعن المصحف إلى المجلة الخليعة، وعن السنة إلى البدعة، وعن التلاوة إلى الأغنية، وعن رفقة الخير إلى رفقة الضلاله والغواية، وعن الطاعة إلى الفحشاء.. وهو الذي تلقف شباب الإسلام ألواناً مؤلفة فصرفهم عن طاعة الله، فانظروا إليهم كيف انحرفوا وكيف انصرفوا، لولا بقية باقية من الشباب الخير والمستقيم الذين عصмهم الله من الشيطان.

أما رأيت كيف صرفت الأموال في المعصية؟ أما رأيت كيف سافر المسافر ليعصي الله ويخرج من الجزيرة ويظن أن الله ليس إلا في الجزيرة فقط! ولا يدرى أن الله معه في كل بلد، في الجزيرة وخارج الجزيرة، فيرتكب من الفواحش كالجبال، ويدهش ماله، ودينه، وشرفه، وعرضه، لأنه أطاع الشيطان.

في يوم أطاع الإنسان الشيطان ترك المسجد ورقد على الفراش، وخلف الماء والبرد. فما حضر الجماعات، وارتکب السينات، وأغضب رب الأرض والسموات.

ويوم أطاع الإنسان الشيطان أطلق بصره للحرام، فتناول بصره المرأة الفاتنة، والصور الخليعة والمحرمة، فوقع في الزنا وكسب ماله من الربا ووضع ماله في بنك الربا، ليأخذ حصته من لعنة رسول الله ﷺ الذي قال: «لعن الله أكل الربا، وموكله وكاتبه وشاهديه»، قال ﷺ: «وهم سواء»، وفي لفظ: «وهم في الإثم سواء»⁽¹⁾.

● قصة برصيص (أو برصيصاً) مع الشيطان:

ولذلك فإنه يجب علينا أخي المسلم ألا نأمن مكائد الشيطان ولا

(1) رواه مسلم بلفظ (لعن رسول الله...).

مصادنه، وأن نُعد له العدة، وأن نستنفر قوانا مستعينين بالله الواحد الأحد، فلا عاصم لنا إلا الله.

فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَتَلَ الشَّيْطَانُ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكْثِرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١﴾.

قال ابن جرير وابن كثير: هذه الآية نزلت في عابد من عباد بني إسرائيل اسمه برصيص، وكان عابداً من العباد الكبار قد سكن في صومعة لعبادة الله، ولكن غلبت عبادته على علمه، والعالم أشد على الشيطان من ألف عابد.

فلما عبد الله وسجد له وأكثر من ذكر الله، أراد الله أن يبتلي إيمانه، وأن يمتحن يقينه ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنَّ يَتَرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُقْتَلُونَ﴾ فجلس في صومعته، فأتاه رجال مجاهدون من بني إسرائيل وقالوا: يا برصيص إنما نريد الجهاد في سبيل الله، وعندنا أخت هي في بيتنا بجانب صومعتك وليس لها بعد الله إلا أنت، فعليك أن ترعاها حتى نعود من الجهاد. قال: حبأ وكرامة.

فخرج هؤلاء إلى الجهاد في سبيل الله، ومكث برصيص في صومعته يتبعَّد الله.. فأتى الشيطان إليه.. وقال: يا برصيص إن هذه المرأة في ذمتك، وهذه الفتاة في عهديك، وأنت إذا تركتها فسوف تستوحش، فلو أخرجت رأسك في الصباح فسلمت عليها وهي متحجبة في بيتها ما ضررك ذلك شيئاً، فأخذ بوصية الشيطان.. فأطلَّ برأسه وسلم عليها.

فأتاه ثانية وقال: لو نزلت بجانب بيتها كي لا يأتيها أجنبي أو يخوتها مارداً فنزل بجانب البيت وما رأها.

وأتاه ثالثة وقال: إنها فتاة غريبة مستوحشة خرج أهلها للجهاد فمن يؤنسها ويحدثها، فنزل فأنسها وحدثها وهي متحجبة.

فأتأه رابعة وقال: أنت عالم ذكي ومحفوظ من الله وتخاف
الشيطان فاقترب منها فقبلها.. فوقع في الفاحشة فحملت!

فلما حملت قال له الشيطان: إذا أتى إخوتها ورأوا هذا المنكر
فإنها سوف تُخبرهم فاتهمك الناس فسقطت من أعينهم فقتلتها خيراً
لـك.

فذهبها وحفر لها قبراً في بيتها ودفنتها.

فأتى إخوتها من الجهاد فقالوا: أين أختنا؟

فبكى برصيص وتندم وأخرج دموع النفاق والسمعة، والرياء،
وقال: مرضت وكانت زاهدةً عابدةً فدفنتها بعد أن دعوت لها
فبكوا عليها وصدقوا، وناموا تلك الليلة.

فأتى الشيطان لأخيها الأكبر وأخبره أن برصيص فعل بها الفاحشة
وقتلها.

وأتى الثاني والثالث في المنام وأخبرهما كما أخبر الأول.

فأصبحوا فتحدثوا بما رأوا في نومهم، فاتفق رأيهم على أن
يقتصوا منه. فذهبوا وكشفوا المكان الذي دلهم الشيطان عليه فوجدوها
حاملةً ومقتولة.

فأتى الشيطان فقال: لا ينجيك يا برصيص إلا أن تسجد لي
سجدة لأحميك، فكفر بالله، وسجد للشيطان سجدة!
فقتلوه وصلبوه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿كَتَلَ أَشَيْطَنٍ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكْتُرْ فَلَّتَا
كُفَّرَ قَالَ إِنِّي بِرَبِّي أَنِّي لِأَخْافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَيْقَبَتَهَا
أَنَّهَا فِي النَّارِ خَلِيلَتِهِ وَذَلِكَ جَزَّرُوا الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

فيما أخى المسلم عليك بالاعتصام بالله واللجوء إلى الله،

فاحفظ الله يحفظك لأنه هو القوي المتين، واركن إلى الله، وتوكل على الله. فوالله إن لم يحفظك ريك فلا حافظ لك.

فالزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان يقول الله سبحانه وتعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْهُلُوا فِي الْسِّلْرِ كَافَّةً» قيل ادخلوا في الإسلام جملة وتفصيلاً «وَلَا تَئْلِمُوا حُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِلَئِنْ لَكُمْ عَذُونٌ مُّبِينٌ»، وخطوات الشيطان إملاءاته ووسوسته، ومنهاجه، وأباطيله، ومصائد، ومكائد.

• كيف تتحصن من الشيطان:

ولا ينجو العبد من الشيطان إلا بأربعة حصون:

أولها: ذكر الله عز وجل دائماً: قال تعالى: «أَلَا يَذْكُرِ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقُلُوبِ»، وقال: «فَإِذْكُرْنِي أَذْكُرْكُمْ». قال ابن عباس رضي الله عنه: الشيطان جاثم على قلب العبد، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

فلا ينجو العبد من الشيطان إلا بذكر الله الواحد الأحد.. فهو أعظم حرز في الحياة.. وهو سلاح الموحدين، وهو منشود الأولياء الصالحين، وهو حصن العابدين، وهو سيف العارفين.

فمن اهتدى إلى ذكر الله كفاه وحماه ووقاه، ومن غفل عن ذكر الله وقع في خطوات الشيطان وتلبيساته وفواحشه.

الثاني: الوضوء: فلا يأتي الشيطان إلا أهل النجاسات وأهل الحدث دائماً.. فمس肯ه دور النجاسات، والخرابات، والقلوب التي ما عرفت رب الأرض والسموات، فالشيطان يلتجأ إلى النجاسة، ويحبها، ويتبليس بأهلها.. فمن داوم على الوضوء والطهارة تحصن من الشيطان وابتعد عنه الشيطان، وأكثر الذين يصيّبهم المس والصرع هم أهل

النجاست والحدث، يأتمهم الشيطان فيتلبّس بهم، لأن الشيطان ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَنَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

الثالث: الصحبة الصالحة: أصحابك الأبرار الأخيار، أهل الصلوات الخمس، وأهل القرآن، وأهل المسجد، وأهل السنة.. فهؤلاء يحاربون الشيطان، ويعينونك على الشيطان، «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية». ويوم ترافق عصابات الإجرام، وشلل البغي الذين نصبوا الكمائن لأولياء الله، ووقفوا في طريق الأنبياء والرسل.. حينها سوف تنسلخ من منهجه وعبادتك وإرادتك وتبيع حظك من الله.. بغضب من الله وبمقت من الله وبلعنة من الله.. يقول الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أثال بهم شفاعة
وأكره من تجارتـه المعاصي ولو كنا سواه في البضاـعة
وقال ابن المبارك:

وإذا صاحبـت فاصـحـب مـاجـداً ذـا عـفـاف وـحـيـاء وـكـرـم
قولـه لـلـشـيء لـا إـنـ قـلـت لـا إـذـا قـلـت نـعـمـ قـالـ نـعـمـ
وـقـالـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـأـرـضـاهـ: (تـزـوـدـوا مـنـ
الـإـخـوـانـ الصـالـحـينـ ذـخـرـاً فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ).

قالوا: في الدنيا نعم، ولكن في الآخرة لماذا؟

قال: أما يقول الله عز وجل: «الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِمُ بَعْضُهُمْ لِيَعْصِمُ
عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ».

في أخي في الله، اتق الله في الرفقة الصالحة فإنهم جندك
وأعوانك في الطريق إلى الله.

الرابع: ترك المعاصي والفواحش، والإعراض عن الذنوب،
وكتلة الاستغفار والتوبـةـ والرجـوعـ إـلـىـ اللـهـ وـالـإـنـابـةـ إـلـيـهـ، يقول سبحانه

وتعالى : «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِحَّةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» .

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الظَّالِمِينَ إِذَا فَعَلْنَا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمْنَا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ .

أخي المسلم .. هذه هي مكائد الشيطان ، وتلك طرق الوقاية منه والتغلب عليه والتحصن منه .. أرجو الله العلي العظيم أن ينفع بها ، وأن ينفعنا بما علمنا ، ويعلمنا ما جهلنا ، وأن يزيدنا علماً به وخشية منه ، ورغبة ورهبة إليه .. هو ولي ذلك القادر عليه .

سُبْحَانَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصْفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .



الأمر بتقوى الله

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

الأمر بتقوى الله هي وصية الله للأولين والآخرين، ومن لم يعمل بهذه الوصية فإنه سوف يخسر ويهلك ويندم، ولذلك قال عز من قائل: «**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا اللَّهُ^{هُ}»، فتقى الله وصيته سبحانه وتعالى للأولين والآخرين.**

ومعنى الحياة هو تقوى الله عز وجل في القلوب.

كثير من الناس يظن أن معنى الحياة أن يأكل ويشرب ويتمتع ويركب ويسكن ويتكلم وينام ويقوم.

إن هذا جهل مفهوم الحياة، فما هذه إلا حياة بهيمية.. فالكافر وهو كافر يأكل ويشرب ويتمتع ويركب ويسكن ويقوم وينام، لكنه كافر، لأن معنى الحياة أن تخرج من الظلمات إلى النور، ومن الغواية إلى الهدى، وأن تندن نفسك بتقوى الله من غضب الله، لذلك يقول عز من قائل: «**أَوْ مَنْ كَانَ مَيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّلِمْ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**».

أو من كان ميتاً في شهوته وفي ضلالته وفي غوايته يتبع كل ناعق فأحياء الله بالإيمان وبلا إله إلا الله وشرح صدره لهذا الدين، كمن جعله الله سبحانه وتعالى غاوياً ضالاً مطروداً من رحمته ومن نوره.

فهذا كيف يعيش؟ ولماذا يعيش؟ وإلى أين يسير.

ولذلك يقول ابن تيمية رحمة الله عليه: من اعتقاد أنه سوف يهتدي بغير هدى الله الذي أنزل به كتابه وأرسل به رسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً.

لأن المؤمن يولد مرتين، والكافر يموت مرتين، فميلاد المؤمن يوم أتى به أمه يوم عرف الحياة.

يبكي من ظلم الحياة ومن غوايتها ومما سوف يواجهه من مصاعب ومشاكل ولذلك يقول الشاعر:

ولدتك أمك باكيأً مستصرخاً والناس حولك يضحكون سروراً
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً
فأنقذ نفسك ألا تأتيك سكرات الموت، ولا يأتيك وعد الله
واليوم الموعود، وتشتد عليك السكرات.
فأنقذ لبيتسن في تلك الساعة.

ولذلك يقول الله عز وجل في هذه الساعة: **﴿يَثْبَتُ اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا بِالْقَوْلِ الْأَثَابِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُنَصَّلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقُولُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** ٢٧.

ويقول عز من قائل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوا تَتَرَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْرِزُوا وَلَا يَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلَيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَتَّهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ﴾** ٢٨ **﴿نَحْنُ لَمَّا مَنَّا عَنْكُمْ رَحِيمٌ﴾** ٢٩.

فالحياة كل الحياة أن تحيا بالقرآن وأن تحيا بالإيمان وهذه هي الحياة الثانية أو المولد الثاني.

وأما الكافر فإنه يموت مرتين: «قَالُوا رَبُّنَا أَنْتَنَا أَنْتَنَا وَأَحَيْتَنَا أَنْتَنَا فَأَعْرَفُنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِنَّ خُرُوجَ مِنْ سَبِيلٍ ١١»، يموت الكافر يوم يكتب الله عليه الموت كموت البهائم.

ويموت قبلها يوم مات قلبه فما استنار بنور الله، وما عرف منهج الله، وما اهتدى بهدى الله.

ولذلك كانت وصية الله عز وجل للأولين والآخرين تقواه تبارك وتعالى.

يقول عز من قائل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ حَقُّ تَفَاعِلِهِ وَلَا يَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ ١٢»، قيل لابن مسعود رضي الله عنه أحد جيل محمد وشباب الصحابة، ذلك الجيل الذي ما عرفت البشرية على أطوارها جيلاً ومجتمعاً كذلك المجتمع الأول، مجتمع الصحابة الذين وزعوا لا إله إلا الله على البشرية فبلغوا بعد خمس وعشرين سنة السنن وطشقند والأندلس وجنوب أفريقيا، لأنهم عرفوا الله ومنهج الله ولا إله إلا الله.

قال ابن مسعود: ما هو حق تفقة الله.

قال: أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

فمن كفر نعمة الله فما اتقى الله، ومن عصى الله فما اتقاه سبحانه وتعالى، ومن نسيه سبحانه وتعالى أنساه الله نفسه ومستقبله وولده وبيته وأسرته ومكتبه ومنصبه في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ولذلك يقول عز من قائل: «وَأَنْقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٢٨».

وقف أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه وهو كما يقول ابن كثير في عهده بعد موت عثمان أزهد الناس وأخشع الناس وأعلم الناس، لأنه تربية رسول الله ﷺ.

وقف على منبر الكوفة فسئل عن التقوى.

قال: هي الخوف من الجليل سبحانه وتعالى، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

اسمع لكلمات النور وحرارة الإيمان التي بعثها جيل محمد ﷺ في قلوب الناس.

(هي الخوف من الجليل) والجليل هو الله، (والعمل بالتنزيل) فالذى يتقي الله ثم لا يعرف ماذا يتقي، ولا تكون تقواه على بصيرة من الكتاب والسنة ما اتقى الله، (والرضا بالقليل) أي ألا تكون الدنيا أكبر همك بل يكفيك منها ما يكفي المسافر، (والاستعداد ليوم الرحيل) هذه هي تعريفها عند علي رضي الله عنه وأرضاه.

وقال عمر لعبد الأبار: ما هي التقوى؟ صفت لي التقوى.

قال: يا أمير المؤمنين، أمرت بأرض أو بطريق ذي شوك؟

قال: نعم.

قال: فماذا فعلت؟

قال: تحفظت وشمرت.

قال: كذلك التقوى.

ما دام أن الطريق هذه ذات الشوك يتحفظ فيها المار فكذلك الحياة الدنيا، فمن أراد تقوى الله فليتحفظ ولি�تحرر، فإن الله عز وجل يحفظه.

ولذلك في الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي

رسول الله ﷺ: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأله، وإذا استعن فاستعن بالله. واعلم أن الأمة إذا اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك شيء إلا شيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا شيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

فتقوى الله معناها المحافظة على أمر الله والانتهاء عن ما نهى الله عز وجل.

● تقوى الله في اللسان:

وتقوى الله تكون في اللسان، وأعظم ما ابتليت به اللسان. ولذلك يقول بعض أهل العلم: تسعة ألعشر الذنوب من اللسان.

واللسان هو الذي يجر على المؤمن الذنوب والخطايا، ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْدِيٌّ﴾.

ووصف المتقين عز من قائل فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ يقول عقبة بن عامر أحد الصحابة: يا رسول الله ما النجاة؟ أي ما هو الأمر الذي ينجيني من غضب الله، ومن سخط الله، ومن عذاب الله.

قال: «كُفَّ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلِيُسْعِكَ بَيْتَكَ، وَابْكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ»^(١).

وقال معاذ: يا رسول الله ما هو العمل الذي يقربني من الجنة ويبعدني عن النار؟

(١) رواه أحمد (٢٩٩/٤) وراجع مجمع الزوائد (٣٠٢/٧).

قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه». ثم ذكر له بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الأمور التي تقربه من الجنة وتنجيه من النار، ثم قال في آخر الحديث: «ألا أدلّك على ملّاك ذلك كله».

قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «كُفٌّ عليك هذا، وأخذ بلسان نفسه».

قال معاذ: إلّا لمؤاخذون يا رسول الله بما نتكلّم به؟

قال: «نُكْلِّتُكَ أُمّكَ يا معاذ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ أَوْ قَالَ عَلَى رُؤُسِهِمْ إِلَّا حِصَابَدَ أَسْتَهْمَ».

فتعوذ بالله من أضرار اللسان. ولذلك عرف الصالحون ضرره وعلموا أنه لا يمكن أن تأتي تقوى الله إلا باجتناب ضرر هذا اللسان.

يقول أحد التابعين: رأيت أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه وقد أخذ بلسان نفسه وهو يحاسب نفسه ويبكي ويقول: هذا أوردني الموارد أي: موارد الهاك.

هذا وهو أبو بكر الصديق صاحب القدم الثابت في الإسلام، والأول في الاستجابة من الكبار، وصاحب الإنفاق في سبيل الله، وخليفة الإسلام بعد رسول الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الذي يُدعى يوم القيمة من أبواب الجنة الثمانية. لأن للجنة أبواباً ثمانية كما تعرفون.

يقول عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِلْجَنَّةِ أَبْوَابًا ثَمَانِيَّةً فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَّ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّيَامِ دُعِيَّ مِنْ بَابِ الصَّيَامِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدْقَةِ دُعِيَّ مِنْ بَابِ الصَّدْقَةِ»، إلى آخر تلك الأبواب.

فقال أبو بكر وهو بجانب الرسول عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله أيدعى أحد من تلك الأبواب الثمانية؟ انظر إلى الهمة

العالیة، انظر إلى طلب ما عند الله عز وجل، ولذلك فالهمة ليست بالأجسام وليس بالمناصب وليس بالأموال، ولكنها بالقلوب.. فهي همة تمر مرّ السحاب **«مُتَّسِعُ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ»**.

فيتبسم ﷺ إعجاباً من هذا الرجل العظيم الذي يريد أن يُدعى من الأبواب الثمانية ويريد أن يكون من المصليين ومن الذاكرين ومن المتصدقين ومن الزهاد ومن العباد ومن المجاهدين.

فقال له ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم»، متفق عليه.

يقول الإمام أحمد في كتاب الزهد في ترجمته: أثر عنه أنه دخل في مزرعة رجل من الأنصار وهو خليفة يتنزه مع الناس رضي الله عنه وأرضاه مع الصحابة. فلما رأى مزارع الأنصار رأى طائراً يطير من نخلة إلى نخلة، ومن شجرة إلى شجرة، فجلس يبكي رضي الله عنه وأرضاه، وكان رجلاً حزيناً رقيق القلب نادماً لما في قلبه من إيمان ومن مخافة.

فقال له الصحابة: يا خليفة رسول الله ما لك؟

قال أبكي لهذا الطائر، يطير من شجرة إلى شجرة ويرد الماء ويرعى الشجر ثم يموت لا حساب ولا عذاب، ليتنى كُنت طائراً.

فبكى الصحابة رضوان الله عليهم وأرضاهم.

هؤلاء هم الذين عرفوا تقوى الله عز وجل وخفوا الله، ولذلك أورد ابن القيم في روضة المحبين أن أبا بكر رضي الله عنه وأرضاه لما تولى الخلافة كان يخرج من مسجد الرسول ﷺ بعد صلاة الفجر كل يوم، يخرج إلى ضاحية من ضواحي المدينة فيمكث في خيمة هناك في زاوية في الضاحية ساعة ثم يخرج.

قال عمر: لأنبعن اليوم أبا بكر لأعرف أين يذهب.

فتبعه يوماً حتى وصل الخيمة، وهو لا يرى عمر ولا يظن أن عمر يراه، فمكث ساعة في الخيمة ثم خرج منها، فلما خرج دخل عمر رضي الله عنه وأرضاه إلى تلك الخيمة فوجد فيها امرأة عجوزاً كبيرة عمياء فقال لها عمر: يا أمة الله من أنت؟

قالت: أنا امرأة عجوز عمياء لي أولاد أو بنات ليس لنا كافل مات أبونا ولا كافل إلا الله.

قال: فمن هذا الشيخ الذي يدخل عليكم؟

قالت: هذا الرجل لا نعرفه. يأتينا كل يوم فيكتس بيتنا، ويصنع فطورنا، ويحلب شياهنا.

فجلس عمر يبكي ويقول: رحمك الله يا أبا بكر أتعبت الخلفاء بعدهك.

إن لم يكن هذا وفاء صادق فالناس في الدنيا بغير شعور رحمك ربى هل بغير وجوهنا عُرف السجود في بيتك المعمور أي جيل هذا الجيل؟

وأي طراز هذا الطراز الذي رباه محمد ﷺ؟

فمن أراد تقوى الله فليدرس حياة هؤلاء، فإن الذي لا يعرف حياتهم أو لا يدرس ما قالوه وما سطّروه وما تركوه سوف يبقى في جهل، وسوف يبقى في عمى لأنهم خلفاء رسول الله ﷺ وأعرف الناس بالإسلام.

ولذلك أثر عن ابن عباس رضي الله عنه في اللسان أنه وقف على الصفا وأخذ يبكي ويمسك بلسان نفسه ويقول: يا لسان قل خيراً تغنم أو اسكت عن شرّ تسلم.

فالذى أوصى نفسي ولماكم به هو تقوى الله في اللسان وهو أعظم ما يتّقى.

فلا نتكلّم إلا بخير.

قال أحد التابعين: جلسنا مع عطاء بن رياح ثلاثين سنة في الحرم فما كان يتكلّم إلا بذكر الله، أو بآيات الله، أو بأمر معروف، أو بنهي عن منكر، أو بحاجة لا بد منها.

فقلنا له في ذلك.

فقال: ما لكم؟ أتنسون أن عليكم من يحفظ أنفاسكم ومن يسجل كلماتكم ويحاسبكم به أمام الله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٦).

فallah الله في حفظ اللسان.

تحفظ اللسان من اللعن ومن البذاء ومن الفحش ومن الإسراف في المزاح الذي لا يرضي الله عز وجل، ومن كثرة اللغو بغير ذكر الله عز وجل، ومن الغيبة ومن النميمة ومن الاستهتار والاستهزاء خاصة بالأخيار وبالعلماء وبطلبة العلم وبالدعاة، فإن هذا هو النفاق الظاهر الذي لا نفاق بعده.

● تقوى الله في المطعم:

وتقوى الله كذلك في المطعم. قال سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة؟ قال: «يا سعد، أطب مطعمك تكون مستجاب الدعوة»^(١).

ولذلك ذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم الطويل: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء ومطعمه حرام،

(١) أخرجه البيهقي، وأخرجه الترمذى بنحوه في مناقب سعد (٣٧٥٢) بسنده صحيح.

وملبسه حرام، ومشربه حرام، وتغذى بالحرام، فأنى يستجاب له؟»؟
كيف يستجاب لمن مطعمه حرام؟ كيف تُقبل صلاته وصيامه،
ووجهه وعمرته، وذكره وتلاوته للقرآن، وقد أكل الربا، ولبس من الربا
وتغذى بالربا، واشترى سيارته وبنى بيته بالربا، وربى أطفاله بالربا؟
أي عبادة هذه؟ والرسول ﷺ يقول: «لعن الله أكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه، وقال هم في الإثم سواء».

ولذلك أجاب الله دعوته ﷺ، فاستجاب لدعوة سعد
رضي الله عنه.

ومن ذلك أن أهل الكوفة اشتكواه إلى عمر رضي الله عنه وكان
خليفةً فقالوا: لا يحسن أن يصلي بنا.

فيقول سعد متعجباً مندهشاً من هذا الأمر: يا عجباً لبني أسد
يعيرونني بالصلة وأنا أدخلتهم في الإسلام بسيفي هذا!
وصدق رضي الله عنه وأرضاه، فإنه هو وأمثاله من دعاة الحق
الذين أدخل الله بهم كثيراً من الأمم في الإسلام.

فلما وصلت الشكوى إلى عمر أرسل بعض الصحابة يستقصون
الحقائق في العراق، فمرروا بمساجد الكوفة مسجداً مسجداً كلما سألهم
عن سعد أثروا عليه خيراً ودعوا له بالخير إلا مسجداً واحداً قام رجل
منهم فقال: أما إن سألهم عن سعد فوالله إنه لا يعدل في القضية،
ولا يحكم بالسوية، ولا يسير مع السرية.

فقام سعد وقال: اللهم إن كان هذا الرجل قام كذباً ورياءً وسمعة
فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.
فاستجاب الله دعوة الصادق سعد رضي الله عنه لما علم صدقه
وإخلاصه وإنابته لله سبحانه وتعالى.

يقول أحد الرواة: والله لقد رأيت هذا الرجل بعيني وقد طال عمره حتى أصبح شيخاً كبيراً سقط حاجبه من الهرم على عينيه وأصبح يتعرّض للجواري في سكك الكوفة يغمزهن ويقول: شيخ مفتون أصابتني دعوة سعد.

فتقوى الله عز وجل تكون في المطعم الحلال بأن يتقي الله الإنسان في ما يُدخل بطنه، فلا يدخل بطنه إلا كل حلال طيب، ليقبل الله سبحانه وتعالى عنه أحسن ما يعمل ويتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

• تقوى الله في السمع والبصر:

وتقوى الله عز وجل تكون في السمع والبصر، ولذلك يقول الإمام الشافعي:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت إليك معايضاً لقوم فقل يا عين للناس أعين

• أمور تعين على التقوى:

والأمور التي تحصل بها التقوى قد تُجمع في خمسة:

الأمر الأول: مراقبة الله عز وجل في السر والعلن، فاجعل من الله رقيباً عليك في سرّك وعلانٰتك، فإنه سبحانه وتعالى لا تخفي عليه خافية.

هو معك أينما كنت، فهو مع الكافر والفاجر معاية إحاطة وإدراك ورصد.

وهو مع المؤمن معاية نصر وتأييد وحفظ.

ولذلك اتق الله الذي هو معك ﴿الَّذِي يَرَكَ حِينَ شَوَّمٌ وَتَقْبَلَكَ فِي السَّيِّدِينَ﴾. فاجعل منه رقيباً سبحانه وتعالى واعبده كأنك

تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، وهذا تعريف الإحسان الذي عرّفه به محمد ﷺ في حديث جبريل الطويل.

واعلم أن الرقابة من أعظم ما يمكن أن يتحقق التقوى في القلب. أن تراقب الله خاصة في السر، لأن كثيراً من الناس يراقبون الله في العلانية وإذا خلوا في السر هتكوا حرمات الله، ولعبوا بحدود الله، فويل لهم من الله. ولذلك في سنن ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لِيَأْتِيَنَّ أَقْوَامٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُسْنَاتِ كَجْبَالِ تَهَامَةِ يَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مُنْثُرَأً»**.

قالوا: يا رسول الله أليسوا بمسلمين هؤلاء؟

قال: «بلى مسلمون يصلون كما تصلون، ويصومون كما تصومون، ولهم حظ في الليل، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكواها».

فهؤلاء يجعل الله أعمالهم يوم القيمة هباءً منثوراً، ويوردهم موارد الضالين، نعوذ بالله من ذلك.

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: الله الله في السرائر.

ويقول الأندلسي يوصي ابنه:

وإذا خلوت برببة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان فاستحيي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يرانني الأمر الثاني: ذكر الله دائماً وأبداً **«أَلَا يَدْعُنَّ اللَّهُ تَقْلِمَيْنِ الْقُلُوبُ»**، **«فَإِذَا كُوْفَيْنِ أَذْكُرُكُمْ»**، **«وَالَّذِيْنَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالنَّكَرُّ»**، **«إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَّتُ لِأَوْلَى الْأَلْبَابِ**  **«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيمَكَمَا وَقُطُّعُوكَمَا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ»** الآية.

وقال سبحانه: **«إِنَّ الْمُكَلَّةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ». فذكر الله أكبر من كل شيء وهو أعظم ما يحصله العبد.
فالله الله في ذكر الله.

سئل ابن تيمية شيخ الإسلام رحمة الله عليه عن أعظم وصية وأعظم عمل بعد الفرائض.

قال: أما أعظم وصية فلا أعظم من وصية الله للأولين والآخرين وهي تقوى الله، وهي التي أوصى بها رسول الله ﷺ جيوشه ورسله عندما كان يرسلهم، كمعاذ حينما قال له الرسول ﷺ كما في الترمذى: «اتقى الله حيثما كنت، وأنبع السيدة الحسنة تمحها، وخلق الناس بخلق حسن».

وأما أعظم عمل فلا أعلم بعد الفرائض من ذكر الله عز وجل.
فليكن ذكر الله ورثك أخي المسلم دائماً وأبداً.

اذكر الله جالساً وقائماً وعلى جنبك، وفي سفرك وفي حلك، وفي ترحالك، وفي ليتك وفي نهارك، ليتولاك الله ولisbury صدرك للإسلام، ويحبب لك الطاعة، ويكرّ عنك سيئاتك، وليجتبيك سبحانه وتعالى، وليلهمك رشك، وليسرك بحقائق هذا الدين، ول يجعلك من الأخيار الأبرار.

فعليك بذكر الله دائماً وأبداً.

الأمر الثالث: تدبر كتاب الله عز وجل.

فأوصيكم وأوصي كل مسلم وأوصي نفسي أولاً بتدبر كتاب الله عز وجل، هذا الكتاب الخالد الذي أنزله الله شفاء وهداية ونوراً.
أن تتدبره وأن نجعل لنا ورداً يومياً نقرأه وحزباً لا يمكن أن نغادره.

قال عز من قائل: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَفْفَالُهَا» 
ما لهم لا يتذمرون القرآن؟ ما لهم لا يفهمون حقائق القرآن؟ ليعرفوا الحق من الباطل والرشد من الغي والضلال من الهدية.

وقال عز من قائل: «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَنِّ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ أَخْيَالَهَا كَثِيرًا» 
، وقال تبارك وتعالى: «كَتَبْ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ مُّبِّرَكُ لِتَدَبَّرُوا مَا يَتَّبِعُهُ وَلَيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَيْ» .

فأوصي نفسي وإياكم بتذمّر كتاب الله ثم قراءة السنة المطهرة والسيرة الخالدة، سيرة محمد ، وكتب السنة كلها سيرة.

ومن أحسن ما كتب في السيرة كتاب (زاد المعاد) لابن القيم رحمة الله فليذمّر.

الأمر الرابع: كثرة الدعاء.

فعلينا أن نضرع الله بالدعاء، يقول عز من قائل: «وَإِذَا سَأَلَكُ عِبَادِي عَنِّي قَيْفَنِي قَرِيبِي أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ لَيَسْتَجِبُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَكُمْ» 
فالدعاء دائمًا وأبدًا.

«أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ» .

قيل لعمر رضي الله عنه وأرضاه: ما هي النجاة؟

قال: ما أعلم بعد رحمة الله كالدعاء.

فالدعاء هو النجاة بإذن الله، خاصة إذا صاحب الأوقات الفاضلة كأدبار الصلوات، وفي السجود، وبين الأذان والإقامة، وفي آخر الليل، وأخر ساعة من الجمعة، ويوم عرفة، والأيام الفاضلة المشهودة.

الأمر الخامس: صحبة الصالحين وزيارتهم ومحبتهم والاستئناس برأيهم.

كيف يتقي الله من يُجالس الفَجْرَة؟ .

كيف يتقي الله من يحب المفسدين في الأرض؟

كيف يتقي الله من وقته ضائع مع كل مُغْرِض عن الله؟

ولذلك يقول علي رضي الله عنه وأرضاه: يا أيها الناس، تزَوَّدوا من الإِخْوَان الصالحين، فإنهم عون في الدنيا والآخرة.

قالوا: يا أبا الحسن أما في الدنيا فنعم، ولكن كيف يكونون عوناً في الآخرة؟

قال: أما سمعتم الله عز وجل يقول: «الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِنُ بِعَصْمَهُرْ
لِيَعْصِي عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ» .

يقول الشافعي في رسالته للإمام أحمد:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة وأكره من تجارتـه المعاـصـي ولو كـنا سـوـاء فـي الـبـضـاعـة فاللهـ اللـهـ فـي مـحـبـة الصـالـحـينـ، وـفـي الـاسـفـادـةـ مـنـهـمـ، وـالـجـلـوسـ مـعـهـمـ، وـفـي طـلـبـ دـعـائـهـمـ، فـإـنـهـ مـنـ أـعـظـمـ عـوـنـ فـي الـدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ عـلـىـ التـقـوـىـ .

أسأـلـ اللهـ تـعـالـىـ لـيـ وـلـكـمـ أـنـ يـوـفـقـنـاـ لـلـتـقـوـىـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ، وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـآلـهـ وـصـحـبـهـ وـسـلـمـ .



الأعمال بالخواتيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.

أما بعد...

موضوع هذا الدرس (الأعمال بالخواتيم).

والأصل في ذلك قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْبَلُوا تَبَرُّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلِئَكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا يَشْرُكُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢١﴾ لَهُنَّ أُولَئِكُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا شَتَهَتْ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ غَنَوْرٍ تَرْجِيمٌ ﴿٢٣﴾».

وقال جل اسمه: «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْنَا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبَعَّدُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيْبَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَلِيلُونَ لَا يَخْزَنُهُمْ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقُهُمُ الْمَلِئَكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾».

قال أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه كما روى البخاري ذلك عنه في كتاب الرقاق: ارتحلت الدنيا مُدِّيرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، فككونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء

الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: فضح الموت الدنيا، فلم يدع لذى لب فرحاً.

وقال الناظم:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
أين الملوك التي كانت مسلطة
إلا التي كان قبل الموت يبنيها
 وإن بناها بشر خاب بانيها
ودورنا لخراب الموت نبنيها
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا
فَإِنَّ وَيَقْنَ وَجْهَ رَيْكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

بيننا وبين الناس، وبين المظلوم والظالم، وبين المؤمن والفاجر، وبين القوي والضعيف، وبين الغني والفقير، ساعة الموت.

قال أحد العلماء: ساعة الموت يُسلم فيها الكافر، ويدعن فيها الفاجر، ويعود فيها المتمرد، ويضعف فيها القوي، ويستسلم فيها الجبار.

و ساعة الموت ينطرح فيها الإنسان فيبحث عن عمل فلا يجد إلا ما قدم، قال ﷺ في الصحيحين: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

وهذا الحديث فيه سؤال: كيف يعمل العامل بعمل أهل الجنة يصل إلى المصلي، ويزكي المزكي، ويصوم الصائم، ويحج الحاج.

فكيف يعمل العامل ويتقى المتقى، ويجهد المجتهد، فإذا بلغت
الروح الحلقوم سبق عليه الكتاب وخسر عمله؟

وكيف يفجّر الفاجر، ويظلم الظالم وينتهك الأعراض، ويلعب
بالدماء، ويضيّع الصلوات، ويلعب بالمحرمات، فإذا وصل إلى السكرة
أدخل الجنة؟

أليس هذا بإشكال؟

لكن الله يقول: «وَمَا رَبِّكَ يَظْلَمُ لِلْعَيْدِ»، «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ».

والجواب أن يقال: معنى الحديث أنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما
يظهر للناس، وإنما ففي باطن حيّات وعقارب وظلم أسود.

ويعمل بعمل أهل النار فيما يظهر للناس، وإنما ففي قلبه خير
كثير وله خفية من عمل صالح الله يكشفها في سكرة الموت.

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار
وهذا يُرى إذا بلغت الحلقوم، يقول سبحانه وتعالى: «فَلَوْلَا إِذَا
بَلَغَتِ الْحَلْقَمَ وَأَنْتَمْ حِينَئِذٍ لَنْثُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحْنَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا
تُبَصِّرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجُمُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَدِيقِينَ ﴿٨٧﴾».

فالمعنى أن بعض الناس أظهر للناس جميلاً والله أظهر الخبيث،
فلما خضَّحَ الحق وأتت ساعة الصفر ظهر القبح.

وكان بعضهم يُقدم لهم المصحف في سكرات الموت ويقال: قل
لا إله إلا الله.. هذا المصحف.

قال: هو يكفر بلا إله إلا الله!! ويُكفر بالقرآن!! لأنّه عاش منافقاً
مرأياً ما عرف الله.

وآخر صالح ولكن ظن الناس أنه سيء لكنه تاب وعمل خيراً فالله

لم يخذه والله يقول: «وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِيَنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ شَيْئًا وَلَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» (٦٩).

يقول سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا رَبِّنَا اللَّهَ ثُمَّ أَسْتَقْنَمُوا تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» قال أهل العلم كما روى ذلك الحافظ ابن كثير وغيره: أي وقت سكرات الموت.

وقد تنزلت الملائكة على كثير من هذه الأمة وأولهم وخيرهم وسيدهم رسول الله ﷺ، فإن ملك الموت قبض روحه وكان يقول: «بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى»^(١)، وذهب إلى الله سعيداً، وكان أحسن أيامه يوم لقاء الله سبحانه وتعالى.

وحضرت الوفاة عمر بن عبدالعزيز الخليفة الراشد، فحضرت الملائكة قبل أن تقطف روحه فقال لأمرأته فاطمة بنت الخليفة وأخت الخليفة: اخرجي فإني أرى نفراً ليسوا بإنس ولا جن.

فخرجت وأغلقت عليه الباب وتوفي.

وكان ابن المبارك في سكرات الموت يبتسم ويقول: «لِمِثْلِ هَذَا فَلَيَعْمَلِ الْعَنِيلُونَ» (١).

فالملائكة قبل الموت تبشر المؤمن وتقول له: لا تخف ولا تحزن، لا تخف منمن قبلك، ولا تحزن على ما قدمت، فالله معك.

وأما المنافق والفاجر فتزلزله الملائكة زلزلة، وتقول له: هذا يومك يا عدو الله، وهذا أسوأ يوم لك يوم لقاء الله، أو كما ورد.

يقول ﷺ في الصحيحين: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».

(١) رواه البخاري.

قال أحدهم: يا رسول الله: إننا نكره الموت.. من الذي يحب الموت، بل إذا غضب الإنسان على الإنسان دعا عليه بالموت.

قال: «ليس هذا، ولكن إذا حشرجت النفس واحمررت العينان فمن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»⁽¹⁾

قال الشيخ حافظ بن أحمد:

ومن لقاء الله قد أحبنا كان له الله أشد حبا
وعكسه الكاره فالله سل رحمته وفضله ولا تتكل
وفي سوء الخاتمة وردت أحاديث، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه وأرضاه: أن الصحابة لما حضروا غزوة من الغزوات جاء رجل من أهل المدينة اسمه (قزمان) وهو من الموالى، شجاع بشار، فقاتل الكفار قتالاً مريضاً وكان يدافع مع المؤمنين.

فلما رأه ﷺ قال: «هو من أهل النار»، فتعجب الصحابة.. وأثناء المعركة أصابه جرح ألمه فاتكأ على سيفه حتى خرج سيفه من ظهره.

فقالوا: يا رسول الله هنيئاً له الشهادة (وهم لا يعلمون بصنعه).

قال ﷺ: «لا والذى نفسي بيده إنه من أهل النار».

فقالوا: ما له؟

قالوا: جزع من الموت وجزع من الجراح وما صبر فوقع على سيفه حتى خرج من ظهره⁽²⁾.

وحضر آخر غزوة لرسول الله ﷺ فلما استشهد فيما يظهر للناس قالوا: هنيئاً له الجنة.

(1)(2) متفق عليه.

قال ﷺ: «لا والذى نفسي بيده إن البردة التي غلّها تتلظى عليه ناراً في جهنم».

فوجدوه قد غلّ بردة لا تساوي ثلاثة دراهم^(١).

هذه بعض أحاديث الخاتمة لبعض الناس.

قال ابن بطال المالكي شارح البخاري: في تغريب الخاتمة عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف، بأنه لو علم أنه كان ناجياً أعجب وكسل عن العمل، وإن كان هالكاً ازداد عتواً، فغُرِّبَ عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء.

معنى الكلام أنَّ من ستر الله، ومن عفو الله، ومن رحمة الله، أنه حجب خواتيم الأعمال عن الناس، فلو أخبرك الله عز وجل بحسن الخاتمة أصابك العجب وكسلت عن العبادة واتكلت على الخاتمة، ولو أخبرك بسوء الخاتمة لحملك ذلك على العتو والتمرد.

لأنَّ بعض الناس إذا قنط من رحمة الله وأبعد عن الله ازداد عتواً وتمرداً.

إذاً الخواتيم بيد الله سبحانه وتعالى ولا ندري بما يؤول إليه العبد.

قال رجل لابن المبارك: رأيت رجلاً قتل رجلاً ظلماً فقلت في نفسي: أنا أفضل من هذا.

فقال: أمنك على نفسك أشد من ذنبه.

قال الطبرى: لأنه لا يدري ما يؤول إليه الأمر، فلعله هو يكون من الخاسرين.

(١) متفق عليه.

ولذلك تجد بعض الطائعين فيما يظهر للناس.. هم أحقر ر بما عند الله من بعض العصاة وليس هذا تشجيعاً على المعصية حاشا وكلاً، لكن بعضهم إذا أعجبته نفسه وطاعته تجبر على الله حتى بعضهم يصبح إلهاً مع الله، فتجد نفسه كنفوس نمرود وهو يصوم النهار ويقوم الليل..
فإذا ذكرت له المعاishi، قال: أعوذ بالله سلمنا الله من فعلهم..
أعوذ بالله من هذه الأفعال الوخيمة.

ثم يقول أحدهم: والله إني منذ أن ولدتني أمي ما عصيت الله طرفة عين!

ويقول الثاني: ما أظن إني كذبت منذ أن احتلمت!
ويقول الثالث: منذ أن عقلت رشدي ما سقطت فيما سقط فيه هؤلاء!
وهكذا من كلمات التزكية والإعجاب واحتقار الآخرين.
إذن الأعمال بالخواتيم بل قال بعضهم: ر بما أصر العبد على ذنب فمات عليه.

قال عبد العزيز بن أبي رواد: حضرت رجلاً عند الموت يلقن لا إله إلا الله، فقيل له: قل لا إله إلا الله.

قال: هو يكفر بلا إله إلا الله!
وإذا أشير له بالقرآن.

قال: هو يكفر بالقرآن!
فمات فسألنا أهله.

قالوا: كان مُذمِّن خمر، مات منه.

وي بعض الناس يصر على المعصية فتهدم مستقبله وعمره كله، والله المستعان.

يقول سفيان لبعض تلاميذه: لماذا تضحك؟ هل علمت علم الله فيك؟ هل تدری ما هي خاتمتک؟

والضحك عموماً وارد في محله، فالله يقول: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَنَّكَ﴾ (٤٣) وضحك رسولنا ﷺ ولكن الخوف من سوء الخاتمة.

في كتاب فتح الباري لابن حجر: أنى ملك الموت إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه فجلس أمامه.

قال: ماذا تريده؟

قال: أقبض روحك.

قال: وهل خليل يقبض روح خليله، يعني الله خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله.. وهل الخليل يقبض روح خليله؟

فقال الملك: وهل رأيت خليلاً يكره لقاء خليله!

فسكت إبراهيم عليه السلام قبضت روحه.

وروى الغزالى وغيره وصاحب الحلية وصفة الصفوة أن معاذ رضي الله عنه وأرضاه أتته سكرات الموت وهو في فلسطين في عسقلان أو هو قريب منها وكان عمره آنذاك ثلاثة وثلاثين سنة.

هذا عمر معاذ بن جبل.. كل هذا التاريخ والعلم والزهد والجهاد في ثلاثين سنة. فليست المسألة بالأعمار، فإن بعض الناس يطول عمره ويسوء عمله، وبعضهم يطول عمره ويحسن عمله، «وخيركم من طال عمره وحسن عمله»^(١).

قال معاذ لغلامه: انظر هل طلع الفجر؟

قال: لا.

(١) متفق عليه.

فمكث قليلاً وقال: انظر هل طلع الفجر؟

قال: نعم.

قال: مرحباً بالموت حبيباً جاء على فاقه، لا أفلح من ندم.
اللهم إنك تعلم أني لم أحب الحياة لغرس الأشجار ولا لجري الأنهر
ولا لعمارة الدور ولا لرفع القصور، ولكن كنت أحب الحياة لثلاث:
لمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر، ولصيام الهواجر، ولتعفير
الوجه لك في التراب.

هذه الثلاث التي جعلت معاذًا رضي الله عنه يمكث في الحياة
ويحب الحياة.

وندم كثير من الناس في سكرات الموت ولو أنهم من الموحدين
في الجملة، ولا نحكم على أحد من أهل القبلة بالجنة أو النار، فإن
العلم عند الله عز وجل.

الوليد بن عبدالملك أتته السكرات وكان له أعمال الله أعلم بها،
 فهو الذي وسع المسجد النبوي، ووسع بيت المقدس، وبنى مسجد
بني أمية في دمشق، ولكن ليس المقصود التوسيع وليس المقصود عمارة
المساجد، ولكن المقصود وجه الله وإرادته سبحانه وتعالى بالعمل
والإخلاص له.

فلما حضرته سكرات الموت تلبط وقال: **﴿مَا أَفَقَ عَنِ مَالِهِ
هَلَّكَ عَنِ سُلْطَنِهِ ﴾** يقول: أين المال؟ أين السلطان؟

وأما سليمان بن عبدالملك أخوه الذي تولى الخلافة بعده لما
حضرته الوفاة ندم لأن أبناءه صغار فلا يستطيعون الخلافة بعده!!

فأخذ ينشد في سكرات الموت ويقول:

إن بنني فتية صغار أفلح من كان له كبار

قال عمر بن عبدالعزيز: لا، إنما **﴿فَدَأْلَحَ مَنْ تَرَكَ ١٤﴾** وَذَكَرَ أَسْدَ رَبِيعَ
﴿فَصَلَّى ١٥﴾.

قال الشيخ الحكمي:

لا تحتقر شيئاً من المأتم وإنما الأعمال بالخواتم
قال حاتم الأهتم أحد الصالحين: من خلا قلبه من ذكر أربعة
 فهو مغتر بالله العظيم.

الأول: الميثاق.. فإن يوم أخذ الله الميثاق أخذ قبضة من الناس
قال: هذه للجنة ولا أبالي، وهذه للنار ولا أبالي.

فتصور في أي القبضتين أنت؟

الثاني: الظلمات الثلاث.. فإن الله يكتب على العبد رزقه،
وأجله، وشقى هو أم سعيد وهو في بطن أمه.
والثالث: هول المطلع.. عندما نخرج من القبور.
والرابع: يوم يصدر الناس أشتاناً.

هذه الأربعة أذهلت الصالحين وجعلتهم يتحررون لقاء الله
عز وجل، ويبيكون على أعمارهم، ويندمون على ما فرطوا.
وإذا رأيت العبد يسرف في الخطايا وهو يضحك فاعلم أن عاقبته
وخيمة إن لم يتداركه الله برحمته.

فمن علامات العصاة أنهم يسيئون ويضحكون حتى تجد بعضهم
يظلم ويفتك ويخون ويعتدي وتتجده سعيداً ضاحكاً فارحاً بعمله **﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، فَرَاهُ حَسَنَاً﴾**.

تجد بعضهم: ما يظن أنه أخطأ ولا يظن أنه أساء، بل هو في
بحبوحة من العيش يضحك من العافية وقد قدم من الصفحات السود
أمامه ما يندم عليها بعد حين عندما يقابل الديان.

إلى ديان يوم الحشر نمضي وعنده تجتمع الخصوم
أما والله إن الظلم شئ وما زال المسيء هو الظلم
أحد الوزراء العباسيين، أتاه فقير فلطمته على وجهه لطمة ثم ندم
فقال: خذ ما شئت.

قال: والله لا آخذ، ولكنني أحاكمك إلى من يأخذ منك ما شئت
وما لا شئت.. أو كما قال.

فالحكم الله إذا برب الله للناس ليحاكمهم قال: لمن الملك اليوم؟
فلا يجيئه ملك مقرب ولا نبي مُرسل.

فيُجب نفسه بنفسه ويقول: ﴿اللهُ الْوَحِيدُ الْفَهَّارُ﴾.

● علامات حسن الخاتمة وسوئها:

ما هي علامات حسن الخاتمة؟ نسأل الله لنا ولكم حسن
الخاتمة.

هي خمس علامات:

الأولى: الصدق مع الله.

الثانية: تجديد التوبه.

الثالثة: المسارعة إلى الصالحات.

الرابعة: اتباع السنة.

الخامسة: تذكر الآخرة والاستعداد لها.

وعلامات سوء الخاتمة خمس:

الأولى: النفاق والمراءة والسمعة.

الثانية: الاغترار بالدنيا والانغماس فيها.

الثالثة: الأمان من مكر الله عز وجل.
 الرابعة: الغفلة عن ذكر الله سبحانه وتعالى.
 الخامسة: التسويف بالتوبة.

● علامات حسن الخاتمة:

أما علامات حسن الخاتمة.

فأولها: الصدق مع الله عز وجل، دلّ على ذلك الكتاب والسنة، قال سبحانه: «فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ»، «وَالَّذِينَ جَهَدُوا فِيَنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ شَيْئًا»، «يَنَاهَا الَّذِينَ مَأْمُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَكُوْنُوا مَعَ الْمُكَلِّفِينَ» (١١٩).

وقوله عليه السلام في الصحيح: «من سأّل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء، ولو مات على فراشه»^(١)، إلى غير ذلك من الأدلة. وبصدقها من كذب مع الله، لا يبلغه الله ما تمنى «وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَذَّابَيَّنَ»، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ»، ولا يهدي سبحانه وتعالى من خان عهده، ولا يهدي سبحانه وتعالى من لا يريد الهدى.

الصدق مع الله له ثلاثة أركان:

١ - عزم النية وعقدها: بحب وطاعة الله، وأن يكون قصده بالعمل وجه الله، وأن يحب الله ورسوله حتّى من دخله، وأن يصدق مع الله ومع الرسول عليه السلام.

٢ - أن يصدق جوارحه في طاعة الله.

٣ - أن يكون وقته معموراً بطاعة الله، فمن فعل ذلك فقد صدق مع الله.

(١) رواه مسلم.

وبعضهم جعل الصدق مع الله علامات يقول: أن لا تجعل بينك وبين الله الناس، فإن بعض الناس يجعل بينه وبين الله الناس، فيقول: رضي الناس أحب من رضي الله، وسخط الناس أهم عندهم من سخط الله.

ولذلك تجده يراعي شعور الناس ويراعي رضي الناس ويتلطف مع الناس.

يقول الأول لبشر مثله:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضي والألام غضاب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
وقد صح عنه ﷺ عند ابن حبان وبعضهم يرفعه وبعضهم يجعله
من كلام عائشة: «من أرضي الناس سخط الله سخط الله عليه وأسخط
عليه الناس، ومن أسخط الناس برضي الله رضي الله عليه وأرضي عليه
الناس».

وقال بعضهم: الصدق مع الله أن يستوي عندك المدح والقدح.
فإذا رضي الله فلا يهمك أحد.

وقال بعضهم: ألا تزيد أمام الناس ولا تنقص مع نفسك.

فإن بعض الناس يتشجّع في الأعمال إذا رأى الناس، وإذا سافر معهم قام الليل وصلّى بالضحيوات وقرأ في القرآن، وإذا أصبح في بيته لم يفعل معشار ذلك.

الثانية: تجديد التوبة، فكل صباح يجدد التوبة، لأن الذنوب كثيرة لكن العبد يجدد التوبة دائمًا ويكثر من الاستغفار والندم.

أما الفريق الآخر فتجد أحدهم لا يلتفت إلى التوبة وهو مُصرٌ على الذنوب والخطايا، وتجد بعضهم لا يحب أن تذكّره بالتوبة والعمل

الصالح ويقول: دعنا نتمنى، اتركتنا نأخذ راحتنا، لكن إذا فاجأه الموت أصبح مثل فرعون فقال: ﴿إِنِّي تُبْتُ أَلْقَنَ﴾ فما نفعه ذلك.

أعلى الله يكذب؟ أعلى الله يخادع؟

الثالثة: المسارعة إلى الصالحات، فتغنم عمرك، وتنظر هل قدمت صالحاً في الحياة؟ وما هو اليوم الذي صرفته في طاعة الله؟

وتكثر من نافلة الصلاة، وقراءة القرآن والذكر، وحضور مجالس العلم، وحب الصالحين، والمدافعة عن أولياء الله عز وجل، والانتقام إذا رأيت حدود الله وأوامره تنتهك، والغيرة من أجل مبادئ الله عز وجل.

الرابعة: اتباع السنة، سنته محمد ﷺ، ومن لم يتبع محمداً ﷺ في كثير من السنن ففي قلبه شك، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَقَّ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بِيَنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْا فِي أَنْشِئِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥).

بعضهم يترك السنن وهو يدعي حب الله وحب رسوله ﷺ، إذا لماذا تركتها؟ أليس في حبك قدح؟ سل نفسك فأنت بصير عليها ﴿لِلْإِنْسَنَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرٌ﴾ (٤١) وَلَوْ أَلْقَ مَعَادِيرَهُ (١٥).

وبعضهم يجعل ذكر الرسول ثانوياً فهو فرد من الناس، ولا يفرح بذكره بل تجد سقطة الخواجات عندهم من أشرف وأعظم الناس! ولو أحبوه ﷺ لظهر حبهم له في أعمالهم.

من الذي جعل الإمام أحمد في مرض الموت يجلس فيخلل لحيته بأصابعه؟ إنه حب السنة.

قيل لأحد التابعين: من هم أهل السنة؟

قال: من ليس لهم اسم إلا أهل السنة.

ولذلك كان الإمام أحمد من تقديره للسنة وحبه لها لا يقوم لأبناء الخلفاء في مجلسه ولا يأبه بهم، ولكنه يثبت عندما يرى واحداً من أهل السنة.

دخل عليه مرة من المرات إبراهيم بن سعد أحد أحفاد عبد الرحمن بن عوف فوثب من مجلسه حتى عانقه، فلما سُئل قال: ألا أقوم لابن أحد المبشرين بالجنة؟

ودخل عليه رجل كبير وهو في مجلس الحديث وكان هذا الشيخ قد صبغ لحيته وغيرها بالجنة فقام الإمام وعانقه وقال: ما قمت إلا حباً للسنة.

وليس العبرة بأن يعمل بالسنة النبوية وهو مفرط بالفرائض.

فهذا جهل.

تجد بعض الناس أموالهم في البنوك الربوية ويأتيك يقول: هل يقص الشارب أو يحلقه!!

سبحان الله!

تسأل عن الشارب يحلق أم يقص، وأموالك تشرب من ماء الربا في البنوك.

وقس على ذلك.

فتسأل الله أن يثبتنا على سنته.

الخامسة: تذكر الآخرة والاستعداد لها، فدائماً الصالح يذكر الآخرة.

وكم من الصالحين يقول: لو فات ذكر الموت من قلبي ساعة فسد قلبي.

وكان بعضهم أخذ له كفناً ووضعه أمامه ينظر إليه دائمًا. وميمون بن مهران حفر له قبراً في (الحوش)، فكان إذا أراد أن ينام نزل وقرأ شيئاً من القرآن ثم خرج وقال: هاه يا ميمون قد خرجت فاعمل صالحاً.

ونحن نقول: لا تحفروا قبوراً في بيوتكم، ولكن نطالب أنفسنا وإياكم بالمحافظة على الصلوات الخمس، وتقوى الله، ومواصلة الخير، والاهتمام بشرعه سبحانه وتعالى، وتذكر الآخرة، وذكر الله سبحانه.

أما أهل الغفلة فإنهم يعمهون ولا يتذكرون إلا وقت السكريات.

إذا قرأ القارئ: **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِبْ بِمَا يَهْبِطُ إِلَيْهِ وَلَلرَّسُولُ إِذَا دَعَكُمْ لِمَا يَهْبِطُ إِلَيْكُمْ﴾** لم يرفعوا رأساً لما يقول وإنما يهزون رؤوسهم إعجاباً بصوته! وليس المقصود من القرآن الصوت فقط وإنما العمل والامتثال.

ولذلك كان الصحابة لا يجاوزون بضع آيات منه حتى يعملاها.

● علامات سوء الخاتمة:

الأولى: النفاق والرياء والعياذ بالله، وأنتم تعلمون أن المنافق مخدول في الدنيا والآخرة وهو في الدرك الأسفل من النار.

وهناك نفاقان: النفاق الاعتقادي والعملي.

فالاعتقادي صاحبه مخلد في النار لا يخرج منها.

والعملي ذنوب وخطايا من الكبائر يحاسب عليها.

«من رأى رأى الله به، ومن سمع سمع الله به»⁽¹⁾. يعني من

(1) متفق عليه.

أحب الرياء والسمعة والرضى والشهرة والظهور فضحه الله وأظهر مخبوء نفسه، وننعواذ بالله من ذلك، ونسأله العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

الثانية: الاغترار بالدنيا والانغماس فيها.

لقد أصبحت علاقة الناس اليوم للدنيا، وحبهم للدنيا، وبغضهم للدنيا، وزيارتهم للدنيا، إلا من رحم ربك.

ومن يوم يصبح العبد إلى أن يمسي وهو يتحدث عن الخبر وعن الشلاجة وعن السيارة وعن البراد وعن الأولاد وعن الوظيفة وعن المزرعة وعن البستان وعن العمار.

لكن لو سألنا وقلنا: ماذا قدمت للإسلام في هذا اليوم؟
لما وجد جواباً.

أين أنت يا هذا والإسلام يُصاب في كل مكان؟
أين أنت عن الدعوة وعن البذل وعن النصرة؟

ذهب أحد الهندو من رجال جماعة الدعوة والتبلیغ إلى أمريكا ليتكلّم في الشباب العربي المسلم وهو لا يجيد العربية جيداً.

فقال: أنا جئت من الهند لما سمعت أن حدائق محمد ﷺ تحرق.

(أنا جئت في مياه أنا يطفئ) يعني: جئت لأطفئ حدائقكم التي احترقت والتي أحرقتموها أنتم العرب.

فنسأله أنفسنا: هل جرحتنا في سبيل الله؟
هل بكينا من خشية الله؟

هل دفعنا أموالنا في سبيل الله؟ أم أننا ألهتنا هذه الدنيا الدنيا عن

أمور الآخرة واهتماماتها؟ أسؤال الله لي ولكلم اليقظة من هذه الغفلة والاستعداد للآخرة بأمور الخير واستغلال منافذه.

فمنافذ الخير كثيرة: منها أن تتصدق بمالك فتدعم الدعوة والعلم، ومنها أن تهدي الشريط الإسلامي، ومنها نفع المسلمين ومنها ومنها.

الثالثة: الأمان من مكر الله عز وجل حتى كأن بعضهم آتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذبهم.

وبعضهم إذا نصحته قال: رحمة الله واسعة، والله ما علمنا في أنفسنا إلا خيراً!

ويأتون بأحاديث موضوعة تشهد لحالهم.. يقولون أن الرسول ﷺ ضمن الله له أن يدخل أمنته كلها الجنة فأنا منهم.

ومن قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فاشهدني يا جبال، ويا حجر، ويا مدر، ويا شجر، أنه لا إله إلا الله!

ولم يعلم هذا أن مثل هذه الأحاديث مضبوطة بضوابط ولها شروط لا بد أن يأتي بها، وإنما الكلام وحده لا يكفي.

الرابعة: الغفلة عن ذكر الله عز وجل، فائقلا ما يمر بالغافلين ذكره سبحانه وتعالى، فلا يكون له حساب عندهم بل هو في آخر القائمة.

وإذا أتى أحدهم يقرأ القرآن أخذ القرآن يوم الجمعة بيده البسيري وتصفحه تصفحاً ثم هجره إلى الجمعة الأخرى.

الخامسة: التسويف بالتأخير وتأخيرها، وتأجيلها وعدم الإسراع بها، وتصغير الذنوب في العين، والإسراف في الرجاء إلى أن يصبح عقيدة للعبد ويصبح منهجاً في الحياة.

فدائماً يشني على نفسه بما لا تستحق، وإذا طولب بالتنويه قال:
سوف أتوب.

وهذا علامه الخذلان والعياذ بالله والحرمان.

ولذلك قال بعض الفضلاء: من زرع كلمة (سوف) أبنت له نبت (ليت)، فأثمرت له (العل)، وثمرها (الخيه والنداه).

والله قال في أعدائه: «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَسْتَعْوِدُوْنَ وَيَلْهِمُهُمُ الْأَمَلَ فَسَوْقَ يَعْلَمُونَ ۝» يلهيهم الأمل: أي يطول بهم الأجل ويؤخرون التنويم ويسيوفون بها حتى يقصهم الله.

ويادر بالتنويه النصوح قبل اضطراب وانتزاع الروح لا تحتقر شيئاً من المأتم وإنما الأعمال بالخواتيم وببعضهم لا يتوب حتى يحضر أجله، فيندم كما روی عن بعض الخلفاء أنه لما حضرت الوفاة بكى وقال: ما كنت أعلم أنني أموت شاباً، ولو كنت أظن أنني أموت شاباً لثبت إلى الله.

وهل له عهد أن لا يموت إلا شيخاً؟

فأسأل الله الذي بيده مقادير الأمور، ومقاتيح القلوب، أن يتوب علينا وعليكم، وأن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا، وأن يسلّدنا وإياكم، وأن يتغمّدنا وإياكم برحمته.

والله أعلم، وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



مجالس المؤمنين

المجلس الأول: واصبر نفسك

يقول تبارك وتعالى: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهِمْ
إِلَيْهِمْ وَالْمُشْتَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَلَا تُطِعْ مَنْ أَعْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَبَعَ هَوَّتْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (٢٨)».

غذاء القلوب ذكر علام الغيوب، وقد نادى منادي حي على
الفلاح فأجابته الأرواح الصالحة.

جلس أهل الشهوات يدنسون ألسنتهم بانتهاك الأعراض والوثوب
على الحرمات واقتحام أستار المؤمنين، شادوا دورهم وخرّبوا قبورهم،
زخرفوا برودهم، وهدموا لحودهم.

عندما هبّ أهل الإيمان على بريد التوفيق مجيئين بلا ل العزم في
سحر الأيام، فأما قلوبهم فمطمئنة بذكر ربهم، وأما ألسنتهم ففي زجل
بمدح ربهم، وأما عيونهم فجارية بماء الحبّ، باعوا دماءهم من الله فهم
ينتظرون الذبح في سبيله، وأرخصوا أنفسهم في خدمته، فكلّ تعب في
مرضاته راحة، وكل سهر في عبادته أنس، وكل جوع لأجله غنية.

إذا رأيت خدام الدنيا يلوّحون بالدنانير الملس، ويتهاقون كالذئاب
العلس، فاصبر نفسك.

إِذَا دعاك الناكثون في السهرات، الغافلون في الخلوات،
المتشارلون عن الطاعة، المتفلّتون عن صلاة الجماعة، فاصلبْر نفسك.

إِذَا سمعت نغمة الوتر، وصولة أهل البطر، وجموح المترفين،
واستفزاز المرجفين فاصلبْر نفسك.

عندنا خير مما عندهم، حياتنا جُدُّ وحياتهم هزل، ولا يتهم في
اضطراب وولايتنا لا تقبل العزل، كلما كدنا نرضخ صاح النذير واصبر
نفسك.

أيها المؤمنون، هل شممت مسكاً أزكى من أنفاس التائبين؟ هل
سمعتم بماء أذب من دموع النادمين؟ هل رأيتم لباساً أجمل من لباس
المحرومين؟ هل رأيتم زحفاً أقدس من زحف الطائفين؟

يا ساري البرق خذ بالله من خلدي دمع المحبة مجتازاً إلى أضم
فالعين ساكبة والطرف مكتمل من الشهاد ذو الأشواق لم ينمِ
يا مسلماً هل من ركعتين ودمعتين؟ فالحياة بلا ركوع دمار،
والعمر بلا دموع خسار.

خلا رسولنا ﷺ في الغار فهبطت عليه الأنوار، فألت من الغيب
بشرى النبوة تتنفس في السحر كالشذى، وشقت صمت العالم وأنسام
ال توفيق تحملها السكينة من دار إلى دار، فاستقامت مكّة على هذّهدة
أنامل الرسالة، فإذا بشمس الوحي يتهادى من خلف تلال التاريخ، وفي
عينيها أسرار عشاق المبادىء وسمّار المجد، وفي كف اليتيم شعل من
طور سيناء، وفي دمه عقيدة حارة تتحدى الطواغيت والجبابرة، وفي
لامحه وعد يقرؤه أتباعه من القراء والآباء.

شبّ اليتيم ونجم سعوده يهوي في باديةبني سعد، والملحمة
تنادي «وَالنَّجَمُ إِذَا هَوَى (لَمَّا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا عَوَى)»، فأشرقت

شمسه فكل أرض لم تسعده بها فهي شقية، وكل عين لم تشاهدها فهي عمباء. ذلك بأن الله يهدي برسوله من يشاء ويضل من يشاء.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَنْرَىٰ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا
الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَا نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صَرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٥).



المجلس الثاني: وأتممت عليكم نعمتي

نزلت هذه الكلمة في عرفة، وظن بعضهم أن النعمة في الأسكنة والدور والدرارم والقصور والموائد الشهية والمراكب العرطية، فأين هذه النعمة؟

فهل هو المقصود بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بقوله: **﴿وَأَتَتْنَاكُمْ نِعْمَتِي﴾** وبطنه يربط بالحجر من وهج الجوع، والحصير يؤثر في جنبه، وبيته في قامة الإنسان بُنِيَّ من لبن الطين، فأين النعمة؟

ألا إنها تلك المبادئ الخالدة التي جاء بها هو وعاشها في روحه وضميره ودمه.

ألا إنها أخلاقه العامرة الزكية، التي سرت في قلوب أتباعه إلى يوم الدين.

ألا إن النعمة ذلك النور الذي حمله إلى المتخبطين في الظلام يخرجهم من الظلمات إلى النور، والوحي الذي تشرف بتبلیغه للعالم. **﴿وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾**.

لقد بعث بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بهذه الرسالة الربانية التي لم يطرق العالم رسالة مثلها، ولم يصدع الكون صوتاً أبل منه.

بُعثَتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والجزيرة العربية شحيحة الموارد شاحبة الكنوز مثقلة الخطأ بالثِّيَعَاتِ متعثرة في دروب التاريخ.

بُعثَتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ والجزيرة تحتاج إلى دور للرعاية، وملاجئ للعناء، ومستشفيات لمحاربة أمراض الإنسان، وقلاع عسكرية لحماية الأمة.

بُعثَتِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في أمة تأكل الميتة، وتقدس الحجر، وتومن بالكهانة، فكانت مهمتها أعظم من عمارة دار أو بناء مدرسة أو تعمير مستشفى أو إقامة قلعة: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**.

فصاح العقول بمعدن الفطرة السليمة، وغذى الأرواح بقوت الوحي، وأيقظ الأنفس من سبات الغافلين، وأخبر العالم أن هناك عالماً ثالثاً وحياة أخرى ويعاداً يقوم فيه الناس لرب العالمين، فيما لخسارة الغافل كم يُقتل بسجين الهوى وما علم المسكين، وكم يُشنق في حبال الدنيا وهو مستكين، يضحك الموت ينادي: ويحك!، ويلعب والفناء أطمع في بقائه من أشعب:

ليتنا يوم وصلنا المنحني ومررنا بالفضى زرنا ثمد فعسى الله أن يُركبنا سفينه محمد بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فقد نادانا حادي السير: اركب معنا ولا تكن من الغافلين، وأذن فينا بلال الأنذار: لا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

فالبدار البدار، قبل موت الأهل وخراب الدار:

هذا وأيامك الأولى غدت أسفأً وعمرك الفذ أضحت في الهوى ندماً



المجلس الثالث: ذبح لمرضات الله عز وجل

العظماء يذبحون في سبيل العظيم سبحانه لأنهم بايعوا منه أنفسهم نقداً وقبضوا ثمن الأرواح في مجلس العقد على معايدة ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾.

والمفليسون تخرج أنفسهم غصباً لأن الثمن نسيئة وعقد البيع بلا شهود مكتوب فيه ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيَهِمُ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾.

أما عمر بن الخطاب، أما أبو حفص، شيخ الشيوخ وقرة عيون الشباب فأناه الموت في صلاة الفجر ليغظم الأجر ولبيداً يومه في الجنة مع نسيم الصباح ولتهياً للنزول بعد الرواح. أنتهت منيته على رأس الخنجر فضجت دماؤه بلا إله إلا الله تتفجر، سال دمه في محراب المسجد، يفوح الدم كالمسك ويقطر كما العسجد:

الله درك كل قطرة مسلم حيث دماءك ليلة المحراب
لم تبق عين بعد عينك في الضحي إلا استهلت ثم بالأسباب
حجَّ الفاروق فدعا في الأبطح: اللهم إني أسألك شهادة في
سبيلك وميته في بلد رسولك. فأجاب الله دعوته وذبح في مرضاته
مهجته.

· فما أحسن المنسع بين المنبر والروضة .. كان يقرأ في الصلاة
فسكت الصوت وحضر الموت، ومُزق أديمه وبكى حريمها، وكفنت
سعادة الإسلام في أكفانه، وحنطة عدالة الملة في أرданه.

يا صاحب الـدـرـةـ التي أطـرـتـ بهاـ النـوـمـ منـ عـيـنـ الـخـوـنـةـ النـاكـشـينـ.

يا صاحب الثوب المرقع الذي حقرت به الدنيا في عيون
الناسكين .

يا صاحب الصوت الجهوري الذي أخفت به المارقين .

تالله لقد صرت إكليلـاـ علىـ هـامـةـ العـدـالـةـ، وـشـهـيدـاـ تـرـوـيـهـ مـجـالـسـ
الـسـمـارـ لـرـوـادـ الشـجـاعـةـ وـالـبـسـالـةـ .

من لعين شفها طول النوى ولقلب شفه طول السهد
جسد لفف في أكفانه رحمة الله على ذاك الجسد
﴿وَجَرَّهُمْ بِنَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ١٢ ١٢ ١٢
شمسنا ولا زهرتنا . ١٢ ١٢ ١٢

* * *

المجلس الرابع: لا تحزن إن الله معنا

هذه العبارة صاغها رسولنا ﷺ في لحظة من لحظات معاناته، وتنفس بها في زمن أحاطت به الدنيا وهو في الغار يستتر من أعدائه فيلاحقونه من كل جانب ويرصدون عليه الطرق ويُغلقون عليه المنافذ ويُوصدون في وجهه الأبواب. لكنهم ما استطاعوا أن يُغلقوا باباً واحداً أو يُرصدوا طريقاً واحداً ويقطعون حيلاً واحداً.

هناك باب الله المفتوح لمن أراد القرب ممن ناداه.

وهناك حبل الله الممدود لأوليائه المتصل بأحبابه.

هتف ﷺ للصديق وهما في الغار: «لا تحزن إن الله معنا» - معنا يرانا ويرعنانا، معنا يحوطنا ويحفظنا، معنا يدافع عنا ويقبل منا، معنا بحفظه ورعايته، معنا بحماته وكفايته، معنا فلا تخاف ولا تُهزم، معنا فلا تخزي ولا تندم، معنا ولو كانت الدنيا معهم.

أنت القوي فقد حملت عقيدة أما سواك فحاملو أوزار
يتفاخرون بهذه الدنيا وقد طُبعت على الإيراد والإصدار
دنيا وياعوا دينهم في حبها يا ذلة المشرى وقبع الشاري
سبحان من حمى رسوله من الحساد والأضداد والأوغاد.

سبحان من جعل العاقبة له، وجعل الدائرة على أعدائه.
سبحان من شرح صدره، ورفع ذكره، وأعلى قدره، وعظم
أجره.

سبحان من أراه ألوية الكفر تتمزق، وقلاع الباطل تحرق،
وكتائب الإيمان تتدفق.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيُغَفِّرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَفَعَّلَ مِنْ ذَنْبٍ وَمَا تَأْخَرَ
وَيُبَشِّرَ نَفْعَمَّ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَرِيزًا ﴿٣﴾﴾.



المجلس الخامس: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم

هذه كلمة المعصوم عليه السلام يوح بها والحمدى ملء جسده تصارعه على فراشه كما صارعه الأحداث والمصائب من كل جانب.

أبنت الدهر عندي كل بنتٍ فكيف نجوت أنت من الزحام
بذلت لها المطارف والحسايا فعافتها وباتت في عظامي
هذا الجسم البريء، هذا الكيان الظاهر، هذا الجناب الشريف
يرتعد من الحمى ويرتجف من الألم ليحصل على أعظم منزلة حصل
عليها محموم وأرفع درجة تباؤها مريض.

البلاء على قدر المحبة، والأجر على مقدار الصبر، وأعظم حبيب للمولى جلت قدرته هو رسولنا عليه السلام، والله إذا أحب عبداً ابتلاه ليبرى صبره وشكره وتسليمه وإذعنه، فكان رسولنا عليه السلام إمام الصابرين لا يسبقه في مضمار الصبر أحد، وكان قدوة الشاكرين لا يتقدم عليه في باب الشكر مخلوق. فجمع الله له المنزتين والدرجتين: الصبر في منتهاه والشكرا من أعلىه.

«لا يصيّب المؤمن من هم ولا وَصَبْ ولا نَصَبْ ولا مَرْضٌ حتى
الشُوكَة إِلا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

إِذَا هُنَاكَ رَبٌ يُكَفِّرُ، وَإِيمَانٌ يَعْصُمُ، وَحَسَنَاتٌ تُغْطِيُ، وَأَجْرٌ
يَنْتَظِرُ، فَهَنِئْنَا لِمَنْ أَتَبَعَ هَذَا الرَّسُولَ ﷺ.

المجلس السادس: تغيير القدم ساعة

لما تهياً أسامة بن زيد خارجاً بجيشه في سبيل الله بعد وفاة الرسول ﷺ ودعه الخليفة الأول والصديق الكريم أبو بكر رضي الله عنه.

أسامة راكب وأبو بكر ماشي، فهم أسامة بالنزلول ليركب الخليفة فقال الصديق: لا تنزل ووالله لا أركب، وما عليّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله.

وأنا أقف وإياك أمام هذه الكلمة متسائلين:

يا ترى هل هذه أول ساعة يغبر فيها الصديق قدمه؟

أما سبق له أن غبرها كثيراً؟

أما غبرت قدمه في مكة يوم قل الناصر، وتوتر القريب، وتنكر المعرفة، وكثير الشامت؟

أما غبر قدمه يوم بدر والموت يزحف، والكفر يغلي، وأرواح المؤمنين تتطاير إلى جنة عرضها السموات والأرض؟

أما غَبَرْ قدمه في أحد يوم تدانت الصفوف، وتكسرت على
رؤوس الأبطال السيف، واشتد الخطب وبيان الهول؟

أما غَبَرْ قدمه وهو يذرع صحراء الجزيرة إلى تبوك، والجوع ملء
أحشائه، والظلم يعصر كبده، والحزن يصل إلى كل ذرة في جسمه،
والغبار يداعب خياله؟

أما غَبَرْ قدمه في الغدوات والروحات والظلمات إلى الجمع
والجماعات؟

هذا هو ما فعله أبو بكر الصديق فماذا فعلنا نحن!
متى نعبر أقدامنا، متى جاهدنا، أين غزوتنا، أين تضحياتنا؟
دع المدح للصديق يُشرق في الدجى ودع كل ذكر في معاليه يكتب

المجلس السابع: فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

إذا فرح الناس بالمال والجاه، فافرح بلا إله إلا الله.

إذا سعدوا بالدرهم والدينار، فاسعد بحب الواحد القهار.

إذا أنسوا بالأهل والخلان، فانس بذكر الملك الديان.

مساكين هذا الحي ما ذر شارق من بين إلا أمطروا بالمحاجر
يقول رسولنا ﷺ: «لَئِنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، خَيْرٌ مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

فكيف يفرح الملا من بعد هذا الخطاب بأهل أو أحباب أو مال
أو أصحاب.

«وَمَا أَنْوَلْكُنَا وَلَا أَوْلَدْكُمْ يَا أَنِّي تَقْرِيرُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَنَ».

من غرته نصاراة جسمه ووسامة رسمه فليذكر الدود إذا تحدّر في
الحدود، والتراب إذا أهيل على الأهداب.

ومن خدمته منزلته وأعجبه سلطانه، فليتذكر يوم تهدم في القبر
أركانه، وتسقط في اللحد أسنانه، ويقطع في الطين لسانه:
وسلطانهم سل الطين عنهم والرؤوس العظام صارت عظاماً
عجبأً للموت ذهب بعقول الألباء ومزق ألسنة الخطباء وكسر أقلام
الأدباء.

كل شيء يذوب في التراب إلا العمل الصالح، وكل شيء يذهب
إلا الذكر الجميل.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

المجلس الثامن: يا ضعيف العزم

لا تعيش المبادىء إلا مع التضحيات.

هل علمت أن رسولنا ﷺ وضع السّلّى على رأسه، وأدّميت عقباه، وكسرت ثنيّته، وشّج رأسه، وقتل أحبابه، وربط الحجر من الجوع على بطنه، وغلب في بعض المواقف، ونيل من جنابه الطاهر، وحبس في شعب أبي طالب، وسمع السبّ بأذنيه، ورأى المكائد بعينيه، وطرد من دياره ورمي بالجنون والسحر والكهانة!

أما علمت أن أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ رُمِيَ في الْحَبْسِ وُضُربَ ضرباً مبرحاً وُمْنَعَ من التدريس وَخُوْفَ بالقتل!

وهذا ابن تيمية يُرمى في السجن، ويُهدر دمه، ويُسبّ عرضه، ويُتّهم دينه!

وعمر ثحر في المحراب وُمْزَقَ جسمه بالحراب.

وعثمان سالت مهجهته بسيف الثوار على المصحف وهو في الثمانين.

وعليٌّ ضُرب جبينه بسيف الخوارج حتى سال دم رأسه من رأس لحيته.

كيف تنبت أشجار المبادئ والأفكار بلا موافق؟
كيف تعشق القلوب جباناً يعيش لبنته؟
كيف تحب الأمة حقيراً ليس له في التضحية تاريخ، وفي البطولة
قدم، ولا في الإقدام منبر؟



المجلس التاسع: ورفعنا لك ذكرك

أين من حارب الرسل عليهم الصلاة والسلام، أين ذكرهم؟ ما هي عاقبتهم؟ أين من نصب العداء للمعصوم؟ لقد ذهبت ريحهم، وسفلت كلمتهم وفُطِّع دابرهم.

وأما هو فعاشت مبادئه، وانتشرت رسالته، وانتصرت كتائبه، نسخ تاريخهم من القلوب، وكتب تاريخه يُمجد علام الغيوب. اسمه يدوي فوق المنابر، وتعاليمه تجلجل على المنابر، وأعداؤه يُلعنون في كل موسم ويُشتمون في كل مجمع.

أين من سجن أحمد بن حنبل وجلده؟ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً، أحمد بن حنبل معنا دائمًا بذكره وعلمه وسيرته، وأما هم فلا نعرفهم ولا نذكرهم ولا نحبهم.

أين خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية؟ مات تاريخهم معهم وفتاويهم وأقوالهم، هم نكرات في العالم، وهوامش في الدوافين، منسيون في ذاكرة الزمن وهو ملء السمع والبصر، ذكره يشتف الآذان وصوته يجلجل في الأزمان وعلمه يوزع في الشيوخ والشبان: «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلَبَنَا وَرَسَلَنَا إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (٢١).

سرى ذكرهم كالمسك ينشر في الورى وذكر سواهم زكمة في الخياشم
﴿وَلَلَّهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الظَّاهِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .



المجلس العاشر: أليس الله بكاف عبده

ارض بكمية الله يكفيك عن كل كافية، فإنه غالب على أمره ولا يغلبه أحد، وتوكل عليه فإنه حي لا يموت وسواء ميت.

أما كفى إبراهيم الخليل وقد ألقى في النار فصيّرها له برداً وسلاماً.

أما أنجى نوحًا من الطوفان يوم صارت الأرض كوكباً في بحر الماء.

أما شقّ البحر لموسى ودمّر عدوه وفجّر له الصخر بالماء العذب.

أما حمى رسولنا ﷺ في كل معركتك، أما أنقذه من الوييلات.

أما نجاه من الاغتيالات، أما نصره في الغزوات، أما آنس قلبه من الوحشة، وثبت فؤاده في الهول، وشدّ أزره في النازلات.

من الذي دعاه بما لباه؟ ومن هو الذي انطرح على عتباته فما أجاب دعواه؟ ومن الذي سأله فما أعطاه، ومن ذا الذي لجأ إليه فما كفاه، «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» يعني ويفقر، ويحيي ويميت، ويولى ويعزل، ويملك ويخلع، ويُمْرِض ويُشافي، ويُتَلَقَّى ويُعافي.

النواصي بيده والمقاليد في قبضته، والخلائق في تصرفه.

إلْجَأْ إِلَيْهِ إِذَا دَهْتَكْ مَهْمَةَ وَاقْصَدْ جَنَابَ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَ جَلَالَهُ هُوَ كَاتِبُ الْأَرْزَاقِ وَالْأَقْدَارِ
بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا مُسْلِمَ أَنْ تَقْرَعْ بَابَهُ وَأَنْ تَقْصِدْ جَنَابَهُ، وَأَنْ تَتَدَبَّرْ
كَتَابَهُ، وَأَنْ تَصَاحِبْ أَحْبَابَهُ، عِنْدَهَا سُوفَ تَجِدُ الْيِسْرَ وَالْفَلَاحَ وَتَغْنِمَ
الْأَجْرَ وَالنَّجَاحَ:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَحُونَ﴾.

* * *

المجلس الحادي عشر: ولا تهنووا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون

الأعلون عقيدة، فهي بيضاء راسخة رسوخ الجبال، صادقة صدق الفجر، كاملة كمال حاملها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الأعلون عبودية، فالرب والإله والناصر والكافي والرازق هو الله رب العالمين.

والأعلون مثلاً، فهي صفوه التعاليم وخلاصة قيم الأمم وغرة ما وصلت إليها الكتب المقدسة.

والأعلون كتاباً، فهو وحي يوحى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يُمَلَّ على كثرة الترداد، ولا تفني عجائبه ولا تنقضي عبره.

والأعلون رسالة، فهي ريانية عالمية شاملة كاملة، فهي سر إنقاذ العالم ومكnon فلاح الإنسان، ومصدر نجاة البشر في دنياه وأخراه.

والأعلون قائداً، فهو معصوم مؤيد بالوحي ظاهر بالحجّة قبلكم، حاكم بالعدل حامل للحق، ناشر للفضيلة قدوة للأنام.

والأعلون تاريخاً، ففي القائمة الصديق، والفاروق، وذو النورين، وأبو السبطين، وسيف الله، وحواري رسول الله، وأمين الأمة، وهلم جراً.

والأعلون تضحية، فسلوا بدرأً وأحداً والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت، سلوا جمامج الشرفاء في الدنيا لماذا قطعت؟ سلوا دماء الأبطال في أودية المعمورة لما سُفكت؟ سلوا المهج الطاهرة لأي مبدأ قُتلت؟

والأعلون تراثاً، فليس عندكم حكايات ألف ليلة وليلة ولا أكاذيب حمورابي وهوَس أفلاطون ولا أحلام شكسبير، لكنْ عندكم كتاباً يُتلَى، وسَنَة تتبع، وآيات وعظات، وسلطاناً وبرهاناً، ونوراً وهداية وشفاء لما في الصدور.



المجلس الثاني عشر: إِنَّ اللَّهَ اشترى

عقد مكتوب، ومياثق موقع، وسلعة تعرض، ومهج تباع.
المشتري هو الله جل جلاله، «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» وَمَنْ أَوْفَى مِنَ اللَّهِ؟ والباعة المؤمنون رؤاد بدر واحد، وتلك المواقف المأثورة والمشاهد المذكورة.

والسلعة جنة عرضها السموات والأرض، مَنْ دخلها لا يهرم ولا يندم لا يبلى شبابه ولا تذبل ثيابه.

والثمن مهج المصلين طارت من الصدور على رؤوس السيوف، وتناثرت من الأحشاء على صدور الرماح، فهل سمعت بيعاً كهذا البيع أوفى وأغلى وأجمل وأكمل وأشرق وألطف.

أمضاه أَحْمَدُ عَنْ أَبْطَالِ أُمَّتِهِ وَاللَّهُ أَنْزَلَهُ عَهْدًا وَمِياثِقًا
الأموال والأنسُوف والأعراض والجماجم والدماء كلها لمن خلقها، وإنما هي عندنا عارية وصاحب العارية أحق بها، «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمْنَاتَ إِلَيْهَا».

ليس لنا شيء ولا معنا وعندنا شيء، فالعطاء والهبة والمنح والأيدي من الله عز وجل. خلق ورزق وعافي وستر ولطف وتكفل.

من بخل بمحاجته في سبيل الله خرجت منه غصباً وسالت رخيصة
وذهبت ذليلة:

نفوس تذوق الموت قتلاً ولا ترى سوى القتل للمجد المبجل مكسباً



المجلس الثالث عشر: إن هؤلاء يحبون العاجلة

عييد الدرهم والدنانير أذيال الدنيا، الحقراء التافهون، لا هم لهم
ولا مقاصد، مطالبهم في الحياة كساء وغذاء ولذة.

بخلاء جبناء، ألسنتهم والغة في أعراض الأوفياء، وأيديهم
مقبوضة عن العطاء، وقلوبهم قاسية مليئة بالبغضاء، يحبون العاجلة
فيعملون لها ويتحابون من أجلها ويرتاخون لذكرها، ويحبون العاجلة
فيخدمونها، فهو قيام في ليالي الهوى على أقدام الطمع، ووقف على
أبواب الشح يستجدون بأكفّ الفقر، فهم فقراء ولو جمعوا، جوعى ولو
شعوا.

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر
يحبون العاجلة، وهي عاجلة في سعادتها فلا تدوم، عاجلة في
راحتها فلا تبقى، عاجلة في عمرها فلا تستمر.

ذنبهم أنهم يحبون العاجلة، وسيتتهم أنهم يعشقون العاجلة.
نسوا ذكر الله، وهجروا بيته، وصدّوا عن سبيله، لأنهم يحبون
العاجلة.

حاربوا أولياء الله وتدعوا حدوده وانتهكوا حرماته لأنهم يحبون العاجلة.

يستعجلون شهواتهم ويبحثون عن رغباتهم وهم سكارى في غفلاتهم، ويكتفى أنهم يحبون العاجلة.

والله أعلم. وصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	الرائق
٢٣	كن في الدنيا كأنك غريب
٣٨	يا حسرتاه تقضي العمر
٣٨	أهمية الوقت
٤١	أقسام الشباب في العطلات الصيفية
٤٦	الدنيا الحقيرة
٥٥	لعلك تنجو
٦٧	تعرف على الله
٨١	نفاس الأوقات
٩٢	مثل الدنيا
١٠٠	يا متعِّب الجسم
١٣٠	أمير وفقير
١٤٠	لقد خلقنا الإنسان في كبد
١٥٠	وفي أنفسكم أفالا تبصرون
١٥٦	أنفاسك الغالية
١٦٦	فائخذوه عدوا
١٧٧	الأمر بتقوى الله

الصفحة

الموضوع

١٩٢	الأعمال بالخواتيم
٢١١	مجالس المؤمنين المجلس الأول: واصبر نفسك
٢١٤	المجلس الثاني: وأتممت عليكم نعمتي
٢١٦	المجلس الثالث: ذبح لمرضات الله عز وجل
٢١٨	المجلس الرابع: لا تحزن إن الله معنا
٢٢٠	المجلس الخامس: إني أوعك كما يوعك رجالن منكم
٢٢٢	المجلس السادس: تغيير القدم ساعة
٢٢٤	المجلس السابع: فبدلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون
٢٢٦	المجلس الثامن: يا ضعيف العزم
٢٢٨	المجلس التاسع: ورفعنا لك ذكرك
٢٣٠	المجلس العاشر: أليس الله بكاف عبده
٢٣٢	المجلس الحادي عشر: ولا تهنو ولا تحزنو وأنتم الأعلون
٢٣٤	المجلس الثاني عشر: إن الله اشتري
٢٣٦	المجلس الثالث عشر: إن هؤلاء يحبون العاجلة
٢٣٩	المحتويات



